

الإسلامية العربية السعودية  
جامعة الملك عبد العزيز  
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية  
قسم الدراسات العليا العربية  
فج الأدب



# أبو بكر الخوارزمي

حياته وأدبه

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

١٥٥٢

إعداد:

عائض سعد الحامشي



إشراف:

الأستاذ الدكتور محمد نبيه حجاب

١٢٩٧ هـ / ١٢٩٨ م  
١٩٧٧ م / ١٩٧٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

( أ )

### المقدمة

كثرت كثيرا ما أقرأ وأسمع عن شهرة أبي بكر الخوارزمي في عالم الأثبات . . .  
فلا تكاد تذكر الرسائل الإخوانية الا وذكرا علمها الخوارزمي . . . ولا يأتي ذكر  
المناظرات الا وتكون مناظرة الخوارزمي وديع الزمان أول ما يتبادر الى الذهن .  
حتى قرأت في مجلة الأزهر مانصه : " ومن العجب أن يكتب الكاتبون من  
إخواننا رسائل متفرقة في أدبنا هم أقل شأنا من أبي بكر ، ويهملون أبابكر  
الخوارزمي ، فلا يكتب عنه كاتب من المحدثين .

وقد أغفله حساده ومناجزوه ، ليظل في التاريخ مجهولا وفي عالمهم

الأدب مضمورا " ( ١ )

فمجيئ بدوري من إغفال الدارسين لأديب يمد من أكبر أدباء القرن الرابع  
الهجري . . . أسهم في الأدب شعره ونثره وألف في النقد والنسب والأمثال  
وكانت له المكانة الأولى لدى الولاة والوزراء في عصره . . .

فلما أشار على أستاذي الدكتور محمد نبيه حجاب بهذا الموضوع ، زاد  
عزمي مضيا وأصرارا على اتخاذه موضوعا لرسالتي هذه التي أتقدم بها للجاستر .  
مع علمي أنه موضوع بكر لم يخدم ولم يعن به ، الا من خلال تلك الترجمات الستة  
تقتصر على تاريخ ولادته ووفاته ونسب من شعره ونثره .

ولم يقلل من عزمي صعوبة جمعاده وتفرقه في المصادر المختلفة وخاصة  
المخطوط منها ، بل ذلك ما دفعني أكثر للمضي في دراسة هذا الموضوع . . .  
لا في الرجل الذي ساهم في إغناء تراثنا . . . بعض حقه من الوفاء ، وقد ظننت -

---

( ١ ) مجلة الأزهر جزء ٣ السنة الرابعة والثلاثون .

- عندما بدأت البحث - أن المصادر التي يمكن الرجوع إليها في هذا الموضوع غنية ومتنوعة عن حياة الخوارزمي وأدبه لما طار له من الشهرة والذكر .  
ولكني حين رجعت لتلك المصادر لم أفرز بكثير من التفاصيل التي توضح ماغض من حياته وماضاع من أدبه . فأكثرها يكتفى بذكر اسمه ، ونسبته وشهرته وشي من أبياته السائرة .

وأكثر من كتب عنه هو تلميذه الثعالبي في كتابه بتيمة الدهر الذي أمدني بطائفة من شعره ، ولكنه بخل علينا في ترجمته لحياته بالمعلومات الوافية عنها . فقد اقتصر على معلومات لا تفنى الهاحت كثيرا مع أن كل من ترجم للخوارزمي يستمد كل معلوماته منها . . .

وقد تناطت بعض المراجع الحديثة حياة الخوارزمي وأدبه ولكن أكثرها أوكلمها قام على تكرار ما ذكره السابقون ، وقد أهملت تلك المراجع مؤلفات الخوارزمي وبعضها أضاف إليه كتب ليست له وأغفل ما هو له .

وكان الظلم الذي لحق الخوارزمي في حياته لا زال يلاحقه بعد مئات بتجاهله وإهمال أدبه . وقد اقتضتني طبيعة البحث أن أجمل له تمهيدا عن نشوء الأوطان السياسية في العصر العباسي الثاني ، وذلك أن التجزء الذي أصاب الخلافة الإسلامية في القرن الرابع ، كان له أثره على مسار الأدب وازدهاره كما كان له أثره في تعدد مراكز الثقافة في البلاد الإسلامية في هذا العصر .

وقد كان الخوارزمي كثير التجوال بين تلك المراكز ، كثير الاحتكاك ، والصدام - أحيانا - مع وزرائها وولاة الأمرفيها . ولم أغفل الحالتين الاجتماعية والاقتصادية من حيث أن نتاج الأديب هو ثمرة التفاعل بينه وبين بيئته وصجتمه .

وجعلت للبحث ثلاثة أبواب :

عقدت الباب الأول - الذى يعتبر تمهيدا للأبواب الأخرى - للحديث عن عصره الأدبى وقسمته الى فصلين تناولت فى الفصل الأول بيئات الأدب فى عصره ، واقتصرت فى حديثى عنها على بيئة فارس وخراسان ، وبيئة العراق ، وبيئة الشام ، حيث اقتصرت رحلات الخوارزمى على تلك البيئات .

وأفردت الفصل الثانى لظاهرة المناظرات العلمية والأدبية فى العصر العباسى الثانى ، حيث كانت تلك المناظرات سمة العصر البارزة التى عمت شتى العلوم . ولأن الخوارزمى يعد علما من أعلامها . . وقد كانت نهاية حياته نتيجة لفلسفة أحد خصومه عليه فى إحدى تلك المناظرات ، وقد اقتضانى بحثى فى هذه الظاهرة التى لم يعالجها أحد من الدارسين أن أبين جذورها من العصر الجاهلى ومرورا بالحصار الاسلامى وما بعده .

وتناولت فى الباب الثانى حياته العامة ، وقسمته الى فصلين . . درست فى الفصل الأول أصله ونسبه ومولده وموطنه ووفاته ، وثقافته وأساتذته وتلاميذه . واستعرضت فى الفصل الثانى :

رحلاته الأدبية ، وصلاته بالأمراء والوزراء والكتاب فى مختلف الأقاليم . أما الباب الثالث ، وهو بيت القصيد فجعلته لدراسة أدبه وأسلوبه ، وقسمته خمسة فصول .

تناولت فى الفصل الأول :

مصادر أدبه المطبوع منها والمخطوط .

وجعلت الفصل الثانى لدراسة نشره من خلال رسائله الموجودة فى ديوانه .

ولم يفتنى أن أشغمها بتلك الرسائل التى عثرت عليها مما لم يحوه الديوان . . ومقدمة كتابه الأمثال التى هي بلعقال أشعبه .

كذلك شفيتها بالمناظرة التي دارت بينه وبين بديع الزمان ثم ختمت  
 الفصل بخصائص نثره الفنية ومدرسه الأدبية .  
 أما الفصل الثالث ، فقد أفردته لشعره بأغراضه المختلفة وخصائصه  
 الفنية ، وإن كان له نظرات في النقد فقد أفردت لها الفصل الرابع .  
 وأخيرا أبرزت مكانته الأدبية من خلال موازنته بخيره من أدباء عصره ففى  
 الفصل الخامس والأخير ، وفى الخاتمة لخصت مدرسته فى هذه الأبواب والفصول .  
 وقد عولت فى دراستى هذه . . على رسائله ومقدمة كتابه الأمثال ، وغيرهما من  
 آثاره الأدبية .

كما استقيت الكثير من شعره ونظراته فى النقد من كتب الثعالبي المخطوط  
 منها والمطبوع ، كما أمدتني المخطوطات الأخرى بطائفة من منظومه ومنثوره ككتاب  
 المتبى ومخطوطة رسائل بديع الزمان وغيرها ، وقد اقتضانى البحث عن مؤلفات  
 الخوارزمي والتحقق من نسبتها إليه الجهد الكثير . . . فقد طوفت فى كثير  
 من البلدان للبحث عن كتبه المخطوطة . . وخاصة ما ذكره بروكلمان من وجود  
 مقامات له فى مكتبة بايزيد بتركيا . . وقد تبين لي أن تلك المقامات هي مقامات  
 بديع الزمان .

كما تبين لي أيضا أن كتاب الأمثال المولدة المنسوب للثعالبي هو للخوارزمي  
 كما استطعت الكشف عن أسما بعض كتبه المفقودة والتي لم يشر إليها أحد من ترجم  
 له كشرح ديوان المتنبي وكتاب الأنساب . . ورجحت أن بعض الكتب التي لا تزال  
 مخطوطة ومنسوبة للثعالبي هي للخوارزمي .

ومدراسى لجوانب حياة الخوارزمي وجمع شتات أدبه من مآلنه ومتبمسي  
 لمؤلفاته المطبوعة والمخطوطة والمفقودة ونفى ما نسب إليه من كتب غيره . . أرجو  
 أن أكون بذلك كله قد رفيت الرجل بعض حقه وخرجت بدراسة عنه ان كنت لا أدعى لها

الكمال ، فاني أرجو أن تكون قارئته - ان الكمال لله وحده - .

ومحمد ، فان من حق الوفاء عليّ أن أذكر لأستاذي الدكتور محمد نبينه  
حجباب ما بذله في سبيل انجاح هذا الموضوع من جهد وتعب كبيرين . . كما  
أرجو أن تفي كلمة الشكر زميلي الفاضل عبد الرحمن العثيمين لما قدمه لي من  
عسرة كريم .

أسأل الله التوفيق والسداد . . هو مولاي عليه توكلت واليه أنهب . . ،،،

=====

XXXXXX

\*

### تمهيد

#### " نشأة الأوطان السياسية في العصر العباسي الثاني "

ولد أبو بكر الخوارزمي ونشأ في عصر عرف في التاريخ ( بعصر الدويلات )  
 وهمنون به العصر الذي انفصل فيه كثير من الأقاليم والنواحي عن الدولة الإسلامية  
 ولم يمد يربطهم بخليفة بغداد سوى التبعية الاسمية ، فكل دولة رئيسها وجيشها  
 وخزانتها المالية المستقلة عن الدولة .

ولعل من متطلبات البحث ، بل من تمامه وكما له أن ألقى بعض الضوء على نشأة  
 هذه الأوطان السياسية . . . وذلك ان الخوارزمي - أديب نيسابور - كان دائم  
 الترحال ، تارة في طلب العلم ، وطورا في طلب العطاء . . متوخيا في ذلك  
 الاجازة ما أمكن . .

اتسمت الفتوحات الإسلامية شرقا وغربا ، وبلغت أقصى اتساعها في القرن الثاني  
 الهجري . . وقد اكتسحت هذه الفتوح أكبر امبراطوريتين عرفتا في التاريخ  
 القديم ، هما امبراطورية فارس و امبراطورية الروم ، فضمت بذلك مناطق كثيرة الى  
 جسم الدولة الإسلامية ، فدخل الناس في دين الله أفواجا من كل الأجناس ،  
 وكلها تددين بدين واحد هو الاسلام ، وتأتتمر بأمر خليفة واحد هو خليفة رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم ، فتوحد شعور هذه الأجناس وأصبحوا كأنهم اخوة  
 في أسرة واحدة ، لا يفرق بينهم الجنس ولا يميز بينهم اللون ، بفضل تعاليم  
 الدين الاسلامي الحق ، واستطاعت الحضارة الإسلامية خلال تلك القرون  
 ان تنتظم عدة ثقافات فارسية يونانية وهندية وتهضما وتمثلها . . وتطبعها  
 بطابع اسلامي يصلح لكل من ينتمي للاسلام ،

كل ذلك بسبب ما أودعه الله في هذا الدين الكريمة من صفات  
 العموم التي تصلح لكل زمان ومكان .

وقيت ذلك ولقلا سلامية قوية متماسكة حتى جاء المباسيون - وسجلهم فسي  
الواقع كان بفضل الخراسانيين - فبدأ المباسيون يعتمدون على الفرس دون العرب -  
اعترافا بفضلهم عليهم . . . ومن ثم أخذ النفوذ الفارسي يتزايد في البلاط المباسي ،  
والواقع أن هذا النفوذ كان ضعيفا أمام حزم الخلفاء الأقوياء . . . وحين حاول  
البرامكة أن يقيموا دولة داخل الدولة بطش بهم الرشيد بطشته المشهورة فلم تقم  
لهم بعدها قائمة . . . ثم استعاد الفرس بعض نفوذهم بعد أن انتصروا للمأمون على  
أخيه الأمين . . . وذلك أنهم أخواله .

ولما ولي الممتصم - وأمه تركية - أو جس منهم خيفة فاعتمد على الترك ، فأخذ  
نفوذ هؤلاء الأتراك يزداد يوما بعد يوم ، في حين كان نفوذ الفرس يتراجع إلى الوراء ،  
وظهر نفوذ الأتراك قويا منذ عهد المتوكل = ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ ، فاستبدوا بأمر  
الدولة وطمسوا سلطانهم على سلطان الخليفة وانتهى بهم الأمر أن تأمروا على  
المتوكل وقتلوه سنة ٢٤٧ هـ . (١)

والحقيقة أن الخلفاء أنفسهم ضعفوا منذ هذا العهد ومالوا إلى الدعة . . . وضعف  
الدين في نفوسهم فرفضوا في الملذات وأحاطوا أنفسهم بعشرات الآلاف من الخدم  
والجوارى والخصيان وجعلوا من الدنيا جنة لهم . (٢)

وظل الأمر للأتراك ، والحال تزيد سوءا والخلافة تفقد هيبتها في نفوس الناس (٣)  
حتى كره الفرس عليها ثانية بعد أن رأوا ما آلت إليه البلاد من فوضى ، فاقترحهم

(١) أنظر تاريخ أبي الفداء ١٧/٢ وما بعد ها ، وانظر كثيرا من التفاصيل في ذلك

مقال الشعر وإعلامه ص ٨ وما بعد ها .

(٢) أنظر ما يرويه أبو الفداء في ذلك في تاريخه ٧٣/٦ وما بعد ها .

(٣) أنظر تفصيل أدوار الضعف الذي مرت به الخلافة . نفس المرجع ٧٨/٦ وما بعدها .



البهيمون بغداد سنة ٣٣٤ هـ ، وكان ذلك بداية انحسار النفوذ التركي وبدء عصر عباسى جديد هو - عصر الدويلات - فرغم أن الدولة المباسية بدأ التفكك فيها قبل مجيى\* البهيميين لبغداد فان مجيى\* البهيميين قضى على البقية الباقية وأحدث فى الخلافة ما لم يسبق به .

فباستيلائهم على بغداد بدأ طور جديد من أطوار ضعف الخلافة المباسية ، يقول ابن الأثير : " وازداد أمر الخلافة اذ بارا ولم يبق لهم من الأمر شيئ " البته ، وقد كانوا يراجمون ويؤخذ أمرهم فيما يفعل ، والحرمة قائمة بعض الشيء ، فلما كان أيام معز الدولة زال ذلك جميعه بحيث أن الخليفة لم يبق له وزير ، انصا كان له كاتب يديراقطاعه وكانست الوزارة لمعز الدولة يستوز لنفسه من يرهد (١)

وقد آلت الخلافة فى عهد بنى بويه الى حال جعل العلويين الذين أفنوا شبابهم وشيوخهم فى سبيل الحصول عليها ، يزهدون فيها على لسان الشريف النرضى الذى يقول : (٢)

أصيت أرحم من <sup>صُرِّكْتَ</sup>أغبطه \* يا قرب ما عاد بالضرا \* بيكيــــــــــــــــنى  
هيهات أعر بالسلطان ثانيــــــــــــــــة \* قد ضل عندى والاج الســــــــــــــــلاطين

( ١ ) أنظر الكامل ٦ / ٣١٥ . . . ويقول ابن الأثير ان ما جعل البهيميين يسيئون . . . معاملة الخلفاء هو تعصبهم للشيعة حتى فكر معز الدولة فى اخراج الخلافة منهم والبيعة لأحد العلويين أو للممزر لدين الله الفاطمى . . . ويعتبر معزز الدولة هذا أول من ابتدع النياحة واللطم والضرب على الحسين فى ١٠ / محرم ٣٥٢ هـ كما يعد أول من ابتدع عيد غدیر خم الذى صار سنة عند الشيعة من بعده الى غير ذلك من البدع . أنظر الكامل ٨ / ٤٩٩ ( وأبى الفــــــــــــــــدا )

٠١١٠ / ٦

( ٢ ) انظر الكامل ٨ / ٤٥٤

هذا ما كان من أمر الخلفاء ، أما الخلافة فقد تجزأت الى اثنتي عشرة ولاية (١) . على أن هذه الولايات على كثرتها لم تكن على وفاق <sup>فيها</sup> بينها ، بل كانت دائما في حروب مستمرة ، ونحن نعرف ما يجره التفكك والحروب الداخلية والفتن من بلاء وفساد واضطراب في الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، فضعفت بذلك هذه الولايات وطمع فيهم الروم واستطاعوا أن يصلوا الى الجزيرة والرها ونصيبين يقتلون وينهبون ولا يجدون أية مقاومة . (٢)

ونتج عن هذا الصراع المستمر أن انصحت دول واحتلت مكانها دول أقسى

منها حتى تركزت القوة في الشرق في خمس دول هي :

(١) البويهيون - ٣٢٠ - ٤٤٧ هـ

(٢) الحمدانيون - ٣١٧ - ٣٩٤ هـ

(٣) الفزنويون - ٣٥١ - ٥٨٢ هـ

(٤) الزياريون - ٣١٦ - ٤٣٤ هـ

(٥) السامانيون - ٢٦١ - ٣٨٩ هـ (٣)

وصور لنا أبو الفداء الحالة الاقتصادية والاجتماعية إبان هذه الحروب

بين تلك الولايات تصويرا تقشعر منه النفوس . وقد يكون فيه مبالغة ولكن يكفى

أن يكون فيه شئ من الصحة ليكون عبرة وصورة مؤلمة ومرعبة في آن واحد ، فهو يقول :

" ان القوت عدم ببغداد سنة ٣٣٥ هـ إبان الحرب بين البويهيين والحمدانيين

حتى أكل الناس بعضهم (٤) . ويقول ابن الأثير عن سنة ٣٣٤ هـ : " فيها اشتد الغلاء

ببغداد حتى أكل الناس الميتة والكلاب والسنانير وأخذ بعضهم ومعه صبي قد شواه

(١) أنظر تفصيل ذلك في أبي الفداء ٩٠/٦ وما بعد ها .

(٢) أنظر الكامل ٤٥/٧ (وأبو الفداء ١١٨/٢) .

(٣) أنظر مزيدا من التفصيل عن الولايات المشرقية في كتاب (الولايات الإسلامية

في المشرق) .

(٤) أنظر (أبي الفداء ١٠١/٦) .

ليأكله . . . وكثر فيهم الموت حتى غجز الناس عن دفن الموتى وبيعت السدور  
والمقار بالخبز" .<sup>(١)</sup>

واستمرت الفتن بين المذاهب الدينية ، كما ظهرت مذاهب جديدة كلها  
من المذاهب الغالية في التشيع<sup>(٢)</sup> ، وظهرت عصايات المكدين والشاطار واللصوص ،  
وذب الفساد حتى الى القضاء فقد ضمن مقابل مال يدفعه القاضى للوالى  
ثم ضمنت بعده الشرطة والحسبة .<sup>(٣)</sup>

وجار حكام هذه الدويلات على شعوبهم وفرضوا عليهم الضرائب الباهظة ،  
وكانوا يصادرون أموال التجار اذا احتاجوا للمال ، وأصبح الانسان لا يأمن على نفسه  
أوماله ، فتغيرت المفاهيم واختلفت القيم ، واهتز الذوق العام .

وعلى الرغم من ذلك كله فان الأديب لاقى رواجاً ، وسوقاً نافقة في هذه  
الدول المتنافسة ، فقد جر هذا التنافس الى الاكثار من الأديباء حول هؤلاء  
الحكام ، فقد جرت العادة انهم كانوا لا يسندون الوزارة الا الى رجل كفى تتوفر فيه  
القدرة الأدبية . . كما كان من أمر المهلبى ، وابن العميد والصاحب ، وهؤلاء  
الوزراء الأديباء ، أحبوا الأديب وأكرموا الأديباء . . غير أن الرواج للأديب والتمناية  
به وكثرة المشتغلين به لم تنتج لنا أدباء رفيعا يوازي ذلك الرواج وتلك العناية .  
ان الأحوال الاقتصادية والاجتماعية التى أحاطت بالأديباء تلك الفترة ظهر أثرها على  
نتائجهم فخرج معظمهم عن رسالته وأصبح أدباء نفعيا يطلب به الأديب النوال والشهرة  
والمكانة لدى الولاة والوزراء ، ووظفوا في خدمة السلاطين والوزراء ، والدعاية  
لهم وتسليتهم .

(١) الكامل ٤٦٥/٨  
(٢) نفس المرجع ٢٩٠/٨  
(٣) نفس المرجع ٣٦/٨ (وأبى الفدا ١٠٨/٦)



الباب الأول

مهمته الأثرية

## الفصل الأول

### بيئات الأدب في عصره

تعددت بيئات الأدب في القرن الرابع الهجري تبعاً لتعدد الدويلات الإسلامية التي انفصلت عن الخلافة العباسية الأمّ كلياً أو جزئياً - كما مر معنا - فلم تعد بغداد وحدها حاضرة العالم الإسلامي في هذا القرن . . ولم يبق في مقدورها أن تحتكر الأدباء والعلماء كما كان الأمر أيام الخلفاء الأقوياء من بني العباس . . بل نافستها في هذا الفضل والمكانة مراكز ثقافية أخرى ، ففي مواطن إسلامية كثيرة . . بعضها زاد عليها في هذا المجال .

فهناك حلب ، وقرطبة ، والقاهرة ، وأصبهان ، والرى ، وبخارى وشيراز وفرنسة وغيرها .

وسوف أتناول تلك البيئات التي تردد عليها الخوارزمي واستقى ثقافته وعلمه

منها ، وكان إنتاجه من نبتها ، وأعنى بها :

- أ ) بيئة فارس وخراسان .
- ب ) بيئة العراق .
- ج ) بيئة الشام .

أ - بيئة فارس وخراسان :

كثرت مراكز الثقافة في هذه البلاد الفارسية ، أمثال : حضرة صاحب في أرجان والرى وأصبهان ، وحضرة الدولة ( فناخسرو ) في شيراز ، . . والسامانيين في بخارى وابن العميد وزير ركن الدولة في الجبل . . وهناك سجستان ، وفرنسة وهمدان وكلها في هذه الفترة أصبحت تعج بالأدباء والعلماء في كل فن والتنافس قائم بينها على أشده . . فهذه حضرة صاحب

"لا تغلوفى كل ليلة من ليالى رمضان من ألف نفس مفطرة فيها" (١) ، وأكثر من يومها هم الفضلاء والأدباء والعلماء . يقول الخوارزمى عنها : " مجمع الرجال ومثابة العطاء وملقى الرحال وموسم الشمراء ، وقرارة ينصب اليها العلم والأدب ، وقبلة يهوى اليها المعجم والصرب . . . فقد نفخت اليه البلاد رجالها ، وأبرزت له رجالها ، وألقت له الأرض أفلاذ كبدها ، وحسبك بالفلاء جالبا ، وبالأعسان جازبا . . . وقد رأيت بهذه الحضرة أقواما كنت شاهدتهم على باب سيف الدولة ، ومضهل الصبا عذب وعود الشباب رطب . . . فلما رأيتهم قد هاجروا الى هـذـه الحضرة وجعلوها من بين الدنيا هجرة ، علمت أن الكرم يتوارث بين الكرام ، وأنه المحدر الى أصفهان من الشام . . . وأن المغرب لسيف الدولة بن حمدان وأن المشرق لحضرة الوزير أيده الله . . ." (٢) .

وقد قيل أن صاحب امتدحه من الشمراء ما أرى على شمراء الرشيد . (٣)  
 وقيل : مدحه غصماعة شاعر من أرباب الدواوين . . . (٤) ويقول هو عن نفسه :  
 " مدحت بمائة ألف قصيدة عربية وفارسية " (٥) وكانت كتبه لا يحملها أربعمائة  
 جميل . (٦) .

وقيل مثل هذا عن ابن الصيد . ٣٦ وابن ميكال ، وابن ووشمكير ٤٠٣ وغيرهم فلم ترج للأدب والعلم سوق كما راجت فى بلاد فارس فى هذه الفترة فكان من أدبائها

( ١ ) المتيبسة ١٩٧/٣

( ٢ ) رسائل الخوارزمى ص ١٠٤ - ١٠٥ .

( ٣ ) انظر احكام صنعة الكلام ص ١١٦ وانظر المتيبسة ١٩٢/١ - ١٩٣ .

( ٤ ) مجمع الأدباء ٢٥٧/٦ .

( ٥ ) بغية الوعاة ١/٤٥٠ .

( ٦ ) المتيبسة ١٩٧/٣ .





بالأدب وكثرة الانتاج ، حاننا نلاحظ أن أولئك الحكام من بنى بويه وغيرهم من الحكام . . والوزراء - فى الغالب - لم يكن هدفهم من ذلك سوى التباهى والمنافسة حتى صار ذلك تقليدا ، ومن مكملات الجاه والشهرة . . فتزودوا من انتاج هؤلاء الأدباء لتفكه والتسلية ، والتزلف ولتصمير بهم مجالس الشرب والنادمة ، كما أصبح تقدير الأدب فى عصرهم ليس لذات الأدب . . وإنما لوجاهة قائله يقول الشعالبي : " فان وقع خلال ما أكتبه البيت والبيتان - مما ليس من أبيات القصائد ووسائط القلائد - فلأن الكلام معقود به . . . أو لأنه شعر ملك أو أمير أو وزير أو رئيس خطير ، أو امام من أهل الأدب والعلم كبير ، وإنما ينفق مثل ذلك بالانتساب الى قائله لا بكثرة طائله :

(١)  
وغير الشعر أكرمه رجــــــــــــــــالا \* وشر الشعر ما قال المبيــــــــــــــــد

ولأن هذا رأى مؤلفي المصروعبة الأمراء والوزراء . . وجدنا أن جبل أدب هذه الفترة فى شرقي الدولة الاسلامية يخدم هذه الأغراض . ففي الشعر نجد الشعراء يمدحون حكامهم بما يشبه التقديس ، ويفرقون فى المجون والفضل الشأن ووصف الخمر وسقاتها أو يصرفون شعرهم فى وصف توافه الأشياء ، ولا نجد هم يلقون المواضيع الجادة أو يحالجون الأهداف السامية أو يصفون الطبيعة وصفا موحيا أو يعبرون عن المواقف الراقية . . الا نادرا . حتى ليكاد القارئ لجبل أدبهم يفتقد الماطفة والصدق فيما يقولون . فهذا الشعالبي مؤرخ أدب تلك الفترة يجمع لنا فى كتابه " يتيمة الدهر " ما هو أكبر شاهد على نوعية انتاجهم وطريقتهم . . ومن الناحية الفنية نرى أن هؤلاء الأدباء قصروا فى اللحاق بأدباء بقية الأمصار فى هذه الفترة ناهيك بما قبلها من الفترات . . ومع كل هذا نأرى أن بين هذا الانتاج الخيزرانتاجا جيدا يستحق الدرس

والكشف عنه وان قل . . أو كان مبعوثا في خضم ذلك الانتاج الزاخر . .  
 وأن بين أدبائه فحولا لانهمضهم حقهم . . وقد يكون الشمالي جمع في يتيمته  
 من شعرهم ما يلائم ذوق عصره ويرضى ذوق ولاية الأمر في زمانه من الأعاجم  
 . . في حين أن لهم شعرا وأدبا مبعوثا في كتب التراث أسمى وأعف مما  
 يدانا لعنا في اليتيمة ، ولكننا نلاحظ ظاهرة تجعلنا نترث في اصدار  
 أحكامنا على هؤلاء الأدباء هي أن أغلبهم في ذلك الزمان ليس له وطن فكانوا  
 يلبثون في البلاد ويقيمون بكل مكان ، فتارة في حلب وأخرى في بغداد ومرة  
 في أصفهان وأخرى في بخارى كالخوارزمي فهو كالنحلة التي تدور على كل  
 الأشجار وتقع على كل زهرة ومن كان هذا حاله فلا شك انه اكتسب دربة  
 وثقافة متنوعة . . . ان لم يعترف بحدود الأدب كما اعترف الناس بحدود  
 الدولات ، بالرغم من أن الوزراء والولاة كانوا يمارسون بعض الضغوط مع كبار  
 الأدباء ليحتفظوا بهم ولئلا ينتقلوا الى منافسيهم . . مرة ببذل المال والملاينة  
 ومرة بالشمدة والتهديد . (١)

### بيئة العراق :

لم يكن هناك عاصمة ثقافية تنافس بغداد في الأدب وشتى فروع العلم  
 قبل تجزئ وتفكك دولة العباسيين في القرن الرابع الهجري - فقد كانت قبل  
 ذلك هي العاصمة الكبرى للخلافة العباسية ، وكان طلاب العلم والمال  
 والشهرة يفتدون اليها من كل حدب وصوب ، وطبيعى والحال هذه أن يكون لها  
 نخبة كبيرة من الكتب ما بين مترجمة ومؤلفة تمتد لطلاب العلم بما يريسون ومكتبة

(١) أنظر شكوى الخوارزمي من مثل هذه الضغوط في رسائله ص ٧ ، ص ٧٤ .

"بيت الحكمة" أشهر من أن تعرف" والحديث عن مكانة بغداد الثقافية والملمية ، ومن أشهر فيها من الأدباء - منذ نشأتها حتى عصر الخوارزمي - يطول والذي يهمنا هنا هو حال هذه العاصمة في هذه الفترة . . . أعني القرن الرابع الهجري . . . وهو القرن الذي أصبحت فيه بغداد واحدة من آحاد . . . بعد أن تعددت الصوامع الثقافية وكل منها يناصبها في المجد ، وينافسها في الشهرة والأدب ولأن الأدب يدور مع الحكماء حيث كانوا لم تسعد بغداد . . . وخاصة منذ استيلاء البويهيين عليها سنة ٣٣٤ . . . بأهم المراكز الثقافية في العالم الإسلامي ، فقد قل النشاط الثقافي والأدبي فيها . . . ذلك أن الأدباء والعلماء توزعتهم حواضر العالم الإسلامي ووجدوا من الأمراء والوزراء والحكام من يقدرهم ويفهمهم أكثر من أمراء آل بويه .

أما الخلفاء فقد مر معنا أنهم وصلوا إلى حالة لم يعد للشعراء فيهم مدح . . . وهذا لا يعني أن بغداد خاصة والعراق عامة فقدت مكانتها الأدبية نهائياً وغلت من الأدباء والعلماء . . . بل إن حركة التأليف كانت إلى حد ما نشطة فيها . . . ذلك أن الأدباء والعلماء حينما رأوا ما حل بالدولة من . . . التجزؤ والانعساق وما نتج عن ذلك من اضطراب ومآسى وفتن ، أكبوا على التأليف ووجدوا فيه سلوة لهم على الأقل تنسيبهم أو تشغلهم عن واقع العالم الإسلامي المرير . . . كما كان من أمر أبي الفرج الأصفهاني حين ألف كتابه "الأغانى" وكان بها في ذلك الوقت من الأدباء أمثال الوزير المهلبى ت ٣٥٢ هـ والشيرازى ت ٣٨٣ هـ وابن سعدان ، وسـطـابور ابن أردشير والصابى ت ٣٨٤ هـ والناقد أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي ت ٣٨٨ هـ والقاضى التنوخى ت ٣٨٤ هـ وابن لنگه وأبو عبد الله الحسين بن علي النمرى والسيرافى اللخوى ت ٣٨٦ هـ وابن نياثة السعدى والسامى ت ٣٩٤ هـ وعبد العزيز بن يوسف والشريف المرتضى ، وهاتى على رأس هؤلاء الشريف الرضى . ٤٠٦ هـ

الذي نستطيع أن نقول انه الوحيد في رأينا - الذي بلغ درجة " النبوغ " في هذه البيئة ان ذاك ، فقد لحق بمستوى المتنبى وأبى العلاء المصرى وذلك انه حافظ على الجذ في القول . . وله من شرف النسب وعزة النفس ما يمنعه من التردى الى المستوى الذي وقع فيه معاصروه من الاشتغال بسفاسف الأمور وصرف شعرهم الى المجون والجهر بالفحش أو ما يسمى " بالآداب المكشوف " حتى فقدوا اتزانهم وفسد ذوقهم وأفسدوا غيرهم كابن الحجاج وابن سكرة . . وعلى أية حال فان مسار الآداب ومفهومه وغاياته ومستواه " في عمومها " قد تغير وخرج من الجذ الى الهزل ومن السموالى التسفل ، وكنا نتوقع من أدياء هذه الفترة - وقد حل بالبلاد ما ليس يخفى عليهم من تفكك في . . الخلافة وفتن تعج بها الأمة ، ( مذ هبية أو عصبية أو سياسية ) ومن بعد عن التعاليم الاسلامية من حكام ومحكومين <sup>وحتى</sup> تسلط العدو وعلسى الأشراف الاسلامية - كنا نتوقع أن يدرك الأدياء وخاصة الشمراء منهم كل هذا وينفعلوا به وينتجوا أدياء مسئولوا يخدم مصالح الأمة ويعيدوها الى صوابها وحيى فيها النزعة الدينية وحب الجهاد ، ويمالج الأمراض الاجتماعية والخلقية التى تفشت في مجتمعاتهم .

ولكن حكام المشرق الاسلامى بالرغم من رعاية آل بويه للأدياء والعلماء وبذل العطاء لهم لم يكن اهتمامهم منصبا على جودة ما يسمعون وانما كان اهتمامهم أن يكثر الأدياء والشمراء في مجالسهم للتباهى والتسلية بما يقولون - كما مر بنا - .

### بيئة الشام :

لعل الأدياء لم يزد هرفى وقت من الأوقات كما ازد هرفى القرن الرابع



فمدحوه بصدق وأجادوا لأن الاجادة مرهونة بالصدق . وكان بالاضافة الى ذلك فصيحاً أديباً بليغاً ناقداً <sup>(١)</sup> . . فوجد الأدباء فيه من يفهمهم ويعترف لهم أقدارهم ، فيكافئهم على قدر الاحسان والاجادة ، ويميز الغث من السمين من انتاجهم فأما حضرته والقفا حول مجلسه وخرجوا معه في عروبه حتى قيل : " انه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك - بعد الخلفاء - ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ، ونجوم الدهر " . . <sup>(٢)</sup> ومن هؤلاء الأعلام ، المتنبى وأبو فراس الحمداني ٣٥٧ هـ والوأياء الكمشقي وابن نباتة والخالديسان والسري الرفاء والناصي ٤٠٠ هـ وأبو الفرج البغاف ٣٩٨ هـ والناشسي والزاهسي والخليع الشامي وأبو طالب الرقي وكشاجم وعلي بن دينار . والخوارزمي وابن خالويه ٣٧٢ هـ وابن جنى ٣٩٣ هـ وأبو الطيب اللفوي وعلي بن عبد العزيز الجرجاني ٣٩٢ هـ وأبو علي الفارسي وغيرهم ، وهم من هم في تاريخ الأدب واللفظة . . فلم تنجب العربية بعد هم وفي وقت واحد ومكان واحد مثل عدد هم ولا من وصل الى منزلتهم .

ويلاحظ أن شعراء الشام وما جاورها أشعر من شعراء العراق وما جاورها حتى أن الثعالبي رأى أن هذا ملاحظ أيضا بالنسبة لشعراء الجاهلية والاسلام <sup>(٣)</sup> " لقريهم من غنط العرب - ولا سيما أهل الحجاز - ومدحهم عن بلاد المعجم <sup>(٤)</sup> "

والحقيقة أننا نلاحظ هذا الفرق بين الأدبين في عهد سيف الدولة بوضوح . . ولا أدري صحة دعوى الثعالبي من امتداد هذا الحكم منذ العصر الجاهلي .

(١) أنظر نفس المرجع ٣٥/١ في نقده للمتنبى والخالدي .

(٢) اليتيمة ٠٢٧/١ .

(٣) أنظر اليتيمة ٠٢٤/١ .

وقد فسّر الثعالبي بعد ضم عن بلاد العجم بأنهم لم يختلطوا بهم  
ويدخلوهم كما هو الحال مع أهل العراق وماجاورها الذين خالطوا العجم  
والنبت في أرضهم . ( ١ )

ولعل من أسباب تفوق شعراء الشام على غيرهم من شعراء العراق  
وماجاورها ما كان بيديه سيف الدولة من شجاعة ومروءة وكرم وما يتمتع به من ملكة  
أدبية ونقدية لم تكن عند واحد من ولاية ذلك العصر خاصة في البلاد  
الفارسية ، فقد وقعت الدولة الحمدانية وعلى رأسها سيف الدولة تجانبه  
دولة الروم واستطاعت بمفردها أن توقف زحفهم على بلاد الاسلام وأن تميزهم  
في مواطن كثيرة حتى قيل لقد بلغت غزواته للروم أربعين فزوة ( ٢ ) ، في حسين  
كان أمراء الدولات الآخرون - في فارس والعراق ، وعلى رأسهم البويهيون -  
في صراع دوى مع غيرهم ، ثم عاد التنازع بين البويهيين أنفسهم مما جر على  
البلاد الخراب والدمار ، وإذا لم تفجر مواقف البطولة ، ونشوة النصر  
للاسلام ينابيع الشعر والأدب فأى شئ آخر يفجرها ؟

فالشعر انما يقوى ويزدهر في مواقف البطولة وساعات الحرب وأمر آخر جعل  
منزلة شعراء الشام فوق منزلة غيرهم من الأقاليم خاصة في عهد سيف الدولة ،  
ذ لكم يهيب سيف الدولة ذر الشخصية العربية الأصيلة فهو - كما مر  
بنا - الشاعر الناقد الذي يهزه الأندب الرفيع . . يقول الثعالبي يذكر وجوده  
في أهل الشام : " رزقوا ملوكا من آل حمدان ونى ورقا وهم بقية الصرب  
والمشغوفون بالأدب والمشهورون بالمجد والكرم والجمع بين أدوات السيف والقلم  
ما فيهم الا أديب جواد ، يحب الشعر وينتقده ويشيب على الجهد منه " ( ٣ ) .

( ١ ) انظر اليتيمة ٢٤ / ١ ( ٢ ) انظر نفس المرجع ٤٠ / ٢

( ٣ ) نفس المرجع ٢٤ / ١ - ٢٥ .

وقد يكون تأثير طبيعة أرض الشام من أسباب تفوق أدبائها - والأدب  
ابن بيته - وطبيعة الشام ، وماحباها الله به من جمال أخاذ ، بأنهارها  
الجارية ، ورياضها الفناء الزاهرة وأشجارها الباسقة وجبالها الشاهقة  
وهوائها العليل ، واعتدال مناخها - حتى عدت من جنان الدنيا الأربع -  
تلك الطبيعة الساحرة الجميلة ، ألهمت شعراءها المعاني الجميلة ،  
وأوحت اليهم بالأغنية اللطيفة ، وأرهفت حسهم ، وشاعرهم ، حتى برعوا  
فى فن الوصف خاصة وهيبات أن يباريهم فى هذا المجال سوى الاندلسيين  
لتشابه البيتين . . ومع ذلك لم ييلفوا مبلغهم . .

---

=====  
XXXX  
\*\*  
\*



## الموصل الثاني

ظاهرة المناظرات

الأدبية والعلمية في العصر العباسي الثاني

---

=====

\*\*\*

\*

### ظاهرة المناظرات

الأدبية والعلمية في العصر العباسي الثاني

المناظرات فن من القول يعتمد على قوة الاتجال والعارضة وسرعة البديهة والصبر على الجدل . كما يعتمد على البرهان والمنطق . . والمتناظران أشبه ما يكونان بمتصارعين . . غير أنهما يتصارعان بالحجة والمنطق ويشتركان معهما في الصبر وقوة الاحتمال ومعرفة نقاط الضعف والقوة في الخصم .

وقاية المناظرة هي اظهار الحقيقة . . وغالب ما يحضر مجلس المناظرة حكام يحكمون بالغلبة لأعد الخصمين . . مع أن من أدب المناظرة أن يسلم الخصم لخصمه متى ما ألزمه بالحجة وعجز عن ردها ، فالحكم بينهما العقل والمنطق والحجة ، فإذا لجأ أحدهما وكابر ولم يسلم إذا أفحمه خصمه وألجمه الحجة ، فذلك دليل على ضجره وجهله وتمصبه . (١)

وهذا الخوارزمي يؤنب أحد تلاميذه حين كابر ولم يسلم لمناظره بمسند أن توجهت عليه الحجة : " بلغني أنك ناظرت فلما توجهت عليك الحجة كابت ولما وضع نير الحق على عنقك ضجرت . . وكنت أحسب أنك أعرف بالحق من أن تعلمه وأهيب لحجاب المدل والانصاف من أن تشقه كأنك لم تعلم أن لسان الضجسر ناطق بالمعجز . وان وجه الظلم مبرقع بالقبح . . وقد عجبت من حسن ظنك بك وأنت انسان والله المستعان " (٢) .

(١) أنظر مزيدا من التفصيل عن أدب الجدل في نقد النشـر ١٢٨ وما بعد ها .

(٢) أنظر رسائل الخوارزمي ص ٨ .

من أجل هذا لا يصلح لهذا الميدان الا كل قرن واسع الثقافة شوى  
الحجة قويم المعرفة ، سريع البديهة ، متمرس فى الجدل - عارف باستعمال  
المنطق - عالم كيف يماول ويجادل خصمه . . وسلاحه كما قلنا العلم والحجسة  
والبرهان والمنطق السليم وقوة العارضة وسعة الاطلاع .

ومن هنا نعرف أن الثقافة وحدها لا تكفى لهذا الفن . . فالذى لا يملك  
قوة العارضة ، يغلب ولو كان أعلم من خصمه وكذا اذا كان ضجرا قليل الصبر  
والاهتمام . . فقد تعارف القوم أن الضجر ورفع الصوت دليل على ضياع  
الحجة وغلبة الخصم . .

وقد أصبح فن المناظرات فى هذا العصر الذى ندرسه علما متكاملا وضع له  
المعتزلة قواعد وأصولا . . يتعلمونها ويتمرسون بها قبل مقارعة الخصم .  
ولذلك اجادوا هذا العلم واشتهروا به وغلبوا خصومهم ، وهذا لا يعنى  
أن هذا الفن لم يعرف الا على أيدي المعتزلة ، ولكنه اكتمل بجهودهم ، فقد  
عرف العرب منذ الجاهلية بشدة الجدل ولهم فى ذلك صولات وجولات لما بينهم  
من عداوات وثارات وخصائن ، ولما فى طباعهم من حماسة وعصبية وترفع واستعلاء ،  
ولما عرفوا به من فصاحة وبلاغة ومن مظاهر هذا الفن قبل أن يكتمل المنافرات  
والمناخرات ، وهي أن يفتخر كل من المتنازعين على خصمه ويفضل نفسه  
أو قومه عليه مستدلا بصفات ووقائع يسلم بها خصمه . ثم يحكمون بينهما  
حكما يفضل أحدهما على الآخر أو يسوى بينهما وهو ما يفعله الحكم غالبا ، للخروج  
من عداوة أحد الخصمين .

ومن ذلك أن عامر بن الطفيل العامري ناقر علقمة بن علاثة العامري حين تنازعا  
رئاسة القبيلة وهي أشهر المنازرات فى الجاهلية .  
قال علقمة : " الرئاسة لجدى الأحوص وانما صارت الى عمك - أبى براء - من أجله

وقد استسمن عمك وقعد عنها فأنا أولى بها منك وإن شئت نافرتك .  
فقال عامر : " قد شئت . والله لأننا أشرف منك حسبا وأثبت منك نسبا وأطول  
قصبا ."

فقال علقمة : أنا فرك ، واني لبرّ واني لفاجر واني لولود واني لعاقبر  
واني لوف واني لغادر . فقال عامر :  
اني أنشر منك أمة وأطول قمة وأحسن لمة ، فقال علقمة :  
" أنا جميل وأنت قبيح وأنا أولى بالخيرات منك "

فحكما بينهما سفيان بن حرب ثم أبا جهل ابن هشام فاعتذرا خوفا من عداوة  
أحد الطرفين .

فذهبوا إلى هرم بن قطينة بن سنان الخزاري فقبل أن يحكم بينهما فقال  
في حكمه : " يا بني جعفر ، أنتما كركبتى البعير تقمان إلى الأرض مما وليس  
فيكما أحد إلا وفيه ماليس في صاحبه وكلاكما سيد كريم " فساوى مخافة استفحال  
الشر . ولذلك قال حين سأله عمر بن الخطاب : يا هرم أي الرجلين  
كنت تفضل لو فعلت ؟ فقال : لو فعلت ذلك اليوم عادت جذعة ، ولبلغت  
شعفات هجر . فقال عمر : نعم مستودع السر أنت يا هرم ، مثل هذا  
فليسد المشيرة . (١)

ومثلها ما دار بين كسرى ووفود العرب إليه وهي معاورات شائقة تدل على  
بلاغة القوم وقوة عارضتهم (٢) . وكذا مناصرة طريف بن العاص الدوسي للحارث  
ابن ذبيان (٣) . وقد شك زكي مبارك في المناقرات والخطب المنسوبة للجاهليين  
وخاصة معاورات وفود العرب في الجاهلية مع كسرى وحجته أن لفتها أشبه بلغة

(١) جصبرة خطب العرب ١/٤١٠ .

(٢) انظر العقد الفريد ١/١٦٦ وطبعدها .

(٣) انظر الامالي ١/٧٢ - ٧٣ .

النشر الاسلامي (١) . . ولما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم لم يستسلم له قومه من قريش فأخذوا يجادلونه ويحاجونه ، وهم أهل فصاحة ولسان وهم الذين قال الله فيهم : " بل هم قوم خصمون " . وكثيرا ما كان يؤمن بعضهم عند مناقشته وتوجه الحجة عليه وقصة اسلام عمر مشهورة في السيرة . ( ٢ )

ومن أقدم المناظرات في الاسلام ما كان بين الخوارج وعلی بن أبی طالب وبينهم وبين عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - . ( فمن مناظرة ابن عباس لهم مارواه صاحب الكامل ؛ قال لهم عبد الله بن عباس : ما الذي نقتم على أمير المؤمنين؟ قالوا : قد كان للمؤمنين أميرا ، فلما حكم في دين الله خرج من الايمان فليتبع بعد اقراره بالكفر نمد اليه .

فقال ابن عباس : لا ينبغي لمؤمن لم يشب ايمانه شك أن يقر على نفسه بالكفر . قالوا : انه قد حكم .

قال : ان الله عز وجل قد أمرنا بالتحكيم في قتل صيد فقال عز وجل : " يحكم به ذوا عدل منكم " . فكيف في اامة اشكلت على المسلمين ؟ فقالوا : انه قد حكم عليه فلم يرض . فقال :

ان الحكومة كالامامة ، ومتى فسق الامام وجبت معصيته وكذلك الحكمان لما خالفا نبذت أقابيلهما . فقال بعضهم لبعض :

لا تجملوا احتجاج قريش حجة عليكم فان هذا من القوم الذين قال الله فيهم : " بل هم قوم خصمون " ( ٣ )

وقد رجع مع علي كرم الله وجهه الفان من الخوارج ، بعد مناظرة طويلة له معهم . وهذا دليل على ما لقوة حجة المناظر من أثر في السامعين

- 
- ( ١ ) أنظر انظر الفقه ٤٠/١ - ٤١ .  
 ( ٢ ) أنظر سيرة ابن هشام ١/٩٢ .  
 ( ٣ ) الكامل ١٠٢/٢ ، ١٠٧ ، وأنظر الآية : سورة الزخرف آية ٥٨ .  
 ( ٤ ) نفسها المرجع ١١٢/٢ وأنظر ما كان يدور في مجلس معاوية من هذه المناظرات بينه وبين خصومه في المقعد الفريد ١/١٩٤ وما بعد ها .

وكان لعمر بن عبد العزيز مثل هذا الموقف من الخوارج حين طلب منه شذوب الشيباني وعاصم أن يلصن أهل بيته ويتبرأ منهم ليتبهموه . . وكان من قوة حجة عمر بن عبد العزيز أن قال عاصم : ما رأيت حجة أبين ولا أقرب مأخذا من حجتك . أما أنا فأشهد أنك على الحق وأنى برء ممن خالفك وقال شذوب : " ما أحسن ما قلت وأبين ما وصفت ولكنى أكره أن أفتتت على المسلمين بأمر لأدرى ما حجتهم فيه حتى أرجع إليهم فلمل عند هم حجة لا أعرفها . فقال له : " أنت أعلم " ( ١ )

وكم كان يدور في مجالس الخلفاء ( معاوية وعبد الملك بن مروان والحجاج الثقفي وغيرهم ) من هذه المناظرات والمحاوير ( ٢ ) ، ثم جاء العصر العباسي وهو عصر ازدهار العلوم واصطراع الجدل بين الأحزاب السياسية والمداهب الدينية فاندلجت المناظرات بين المعتزلة وطوائف المتكلمين وأصحاب الديانات المختلفة وهمود ونصارى وصائبة . . الخ . واتخذها المعتزلة ضجعا للدفاع عن مذاهبهم ومغالبة خصومهم ، وقد نتج عن هذه الحركات علم جديد هو " علم الكلام " الذي كان يعتمد على اجادة فن المناظرات . ان كانت المناظرة لغة العصر الفكرية . ثم اهتمت المناظرات في هذا العصر وما تلاه حتى شملت كل جوانب المعرفة .

وألف الجاهظ كتبا مستقلة يمكن أن تدخل تحت فن المناظرات كرسالتيه " فخر السودان على البيضان " و " مفاخرة الجوارى والفلمان " وكتاب " فخر القحطانية والمدنانية " ( ٣ ) وما احتواه كتابه الحيوان " من مناظرات دليل على اتجاه العصر . . فقد استغرقت المناظرة التي يروها بين معبد والنظام في الكلب والديك وأيهما أفضل أكثر من مجلد من كتاب " الحيوان " .

ناهيك بما كان يدور من مناظرات في مجالس المعتزلة ومن أعلامهم فيهمها :

( ١ ) أنظر المطالمة المختارة ص ٢٩٥ وما بعد ها نقلا عن سيرة عمر بن عبد العزيز لابن

عبد الحكم ص ١٣٠ .  
( ٢ ) أنظر العقيدة الفريدة ١٩٤ / ١ وما بعد ها . وزهر الآداب ١ / ٤٦ ، ٢٠٤٦ / ١١٧ .

( ٣ ) أنظر رسائل الجاهظ ص ٦١ وما بعد ها .

أبو الهذيل الملافة . . الذي أفحم ثلاثة آلاف من خصومه . وكان من أصلب المعتزلة عبداً وأقواهم شكيمة في ميدان المناظرة والجدل ، كما يشهد لـه بذلك خصمه صالح بن عبد القدوس حينما ناظره فأفحمه . ( ١ )

ومنهم النظام الذي تتلمذ عليه الجاحظ ، وقد بلغ من سعة علمه أنه كان يحفظ القرآن والانجيل والزبور وتفاصيلها ، كما كان يحفظ كتب أرسطو ومناقضها (٢) . ومن أعلامهم ثمامة ابن الأشرس وعلى الجبائي ٣٠٣ هـ وهؤلاء هم الذين أقاموا للمناظرات سوقاً ، وطبخوا المصر بطابعها ، وقد بلغ من تأثيرهم أن آمن بنو هبهم ، المأمون ، والمعتصم ، والواثق ، وحاول المأمون أن يحمل الناس على القول بخلق القرآن . ( ٣ )

وعقد المعتصم مناظرة بين المعتزلة والامام أحمد بن حنبل استمرت ثلاثين يوماً حول الموضوع نفسه . ( ٤ ) . وكانت هذه المناظرات تدور أيضاً بين أصحاب المذاهب الفقيه ومنها ماجرى بين أبي السمالى الجهنى ، وأبي اسحاق الشيرازى حول اجبار البكر البالفة ، وصحة صلاة من اجتهد في تعيين القبلة صلى ثم تبين له خطؤه في وقتها . ( ٥ )

وكانت مجالس الخلفاء كهارون الرشيد وابنه المأمون وغيرهم مجالس واسعة لهذا الفن . ( ٥ ) فكثيراً ما كان يتناظر المبرد ت ٢٨٥ هـ وشمس . . وكان المبرد أقوى حججة وأسرع بديهية من شمس ولهذا غلبه في أكثر من مجلس . . مع أن شمس ليس بأقل علماً من خصمه ولكن المبرد يغلبه بالمصاولة وقوة الارتجال

( ١ ) انظر أدب المعتزلة ص ٢٢٥ .

( ٢ ) انظر نفس المرجع ص ٢٣١ .

( ٣ ) انظر الكشكول ١ / ٤٤٤ .

( ٤ ) انظر طبقات الشافعية ٣ / ٢٧٥ - ٢٨٠ .

( ٥ ) انظر مصجم الأدباء ١٩ / ١١٨ وانظر في هذا تاريخ الأدب العربي في مصر

الصباسي ص ٤٢٩ . لشوقي ضيف .

يقول الدينوري : " ان ثعلب مذ حبه مذ هب المعلمين فاذا اجتمعا في محفل حكم للمبرد على الظاهر الى أن يصرفا الباطن " (١) ، ولهذا كان المبرد يحب الاجتماع بثعلب وثعلب يكره ذلك . (٢)

ولكثرة ما كان يجري بينهما من المناظرات وصحوة ذلك عليهم أصبحا مضرب المثل يقول الشاعر فيهما :

فأبدانا في بلدة والتقاؤنا \* عسير كلقيا ثعلب والمـــــــبرد (٣)

وقد أراد الزجاج أن يثار باستانه ثعلب من المبرد . يقول الزجاج : " لما قدم المبرد بغداد جئت لأنظره وكنت أقرأ على أبي العباس ثعلب فمزمت على اعناته فلما باحثته أجمنى الحجة وطالبنى بالملة وألزمى الزامات لم أهتد اليها فاستيقنت فضله واسترجعت عقله (٤) . وكان ثعلب والرياشي يتناظران في النحو وإيام العرب والاختيار والاشعار (٥) . . . ويمكننا أن نقول ان هذا الفن شمل حتى المنظوم من القول فيمكن أن ندخل المناقشات في اطواره ان هي محاورات ومجادلات . بل ان بعض الشعراء تأثر بمدارس المتكلمين وأخذ بمنهجهم كابن الرومي . (٦)

ومن المناظرات المشهورة في هذا العصر مناظرة أبي سعيد السيرافي النحوي ٣٦٨ وأبي بشرمى بن يونس الفيلسوف في مجلس الوزير أبي الفتح . الفضل بن جعفر ابن الفرات سنة ٣٢٠ هـ حول المنطق والنحو وأيهما أنفع لبيان صحيح الكلام

- 
- (١) انظر مصجم الأدباء ١٣٧/٥ وتاريخ بغداد ٢٠٨/٥  
 (٢) انظر مصجم الأدباء ١١٨/١٩  
 (٣) مصجم الأدباء ١١٤/١٩ (٤) انظر نفس المرجع ١١٧/١٩ ، ١١٨  
 (٥) انظر نفس المرجع ١٣١/٥ وما بعد ها .  
 (٦) تاريخ الأدب العربي مصر العباسي الثاني ص ٥٤٠ شوقي ضيف .



من سقيمه ، وقد كتبها من حضرهما على الألواح لأهميتها . وذلك أن الوزير ابن الفرات رغب أن يقوم من القوم من يرد على الفيلسوف متى ويفحه حيث رأى أن " لاسبيل الى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر والحجة من الشبهة ، والشك من اليقين الا بما حواه من المنطق " وقد تصدى له السيرافى بعد أن أهدم القوم وقدم تمهيدا بين فيه أن غلبة أحدهما لاتمنى ضمنه وقلة محصوله الثقافى ، اذ ان ما يتكلم به المتناظر ليس هو كل ما يحويه صدره من العلم . وهناك اعتبارات قد تضعف من موقفه ، منها جلال الموقف والهيبة والحيا يقول : " العلم المصون نفس الصدور غير العلم المصروض فى هذا المجلس على الأسماع المصنوعة والعيون المحدقة والمقول الجامدة والأبواب الناقدة ، لأن هذا يستصحب الهيبة والهيبة مكسورة ويجتلب الحياء والحياء مغلبة ، وليس الجراز فى معركة فاصلة كالصراع فى بقعة خاصة (١) ثم يسأل السيرافى " متى " عن معنى المنطق ما يريد به ؟

فيرد متى : " أن المنطق آلة من الآلات يصرف بها صحيح الكلام من سقيمه وفساد المعنى من صالحه كالميزان يصرف به الرجحان من النقصان . . . فيغضى السيرافى متى ، " لأن صحيح الكلام من سقيمه يصرف بالعقل . ويقول له : هيك عرفت الراجح من الناقص من طريق الوزن من لك بمعرفة الموزون أهو حديد أم ذهب أو نحاس أو رصاص ؟ وأراك بعد معرفة الوزن فقيرا الى معرفة جوهر الموزون والى معرفة قيمته وسائر صفاته التى يطول عددها ، فعلى هذا لم ينفعك الوزن الذى كان عليه اعتمادك وفى تحقيقه كان اجتهادك الا نفعا يسيرا من وجه واحد وثقت عليك وجوه ، فأنت كما قال الأول : " حفظت شيئا وضاعت منك أشياء " . . . ودع هذا ، اذا كان المنطق وضعه رجل من اليونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها وما يتمارقونه بها من رسومها وصفاتها ، من أين يلزم الترك والهند والفرس والعرب أن ينظروا فيه ويتخذوه حكما لهم وعليهم ، وقاضيا بينهم ماشهد له قبلوه وما أنكروه رفضوه ؟

(١) أنظر معجم الأدباء ١٩٠/٨ - ٢٢٧ .

فقال متى : انما لزم ذلك لأن المنطق يبحث عن الأعراض المعقولة والمعاني المدركة ويتصفح الخواطر السانحة والسوانح الهاجسة والناس في المعقولات سواء ألا ترى أن أربعة وأربعة ثمانية عند جميع الأمم ؟ وكذلك ما أشبهه ؟

قال السيرافى : لو كانت المطلوبات بالمقل والمذكورات باللفظ ترجع في شمعها المختلفة وطرائفها المتباينة الى هذه المرتبة البينة في أربعة وأربعة أنهما ثمانية، زال الاختلاف وحضر الاتفاق ولكن الأمر ليس هكذا ، ولقد موهت بهذا العثال ولكم عادة في مثل هذا التموه . ولكن لنردع هذا ، اذا كانت الأعراض المعقولة والمعاني لا يوصل اليها باللفظة . . . أفليس قد لزم الحاجة الى معرفة اللفظة ؟ \*

ثم يمترض السيرافى على متى أن ترجمة المنطق من اليونانية الى السريانية ثم الى العربية ، قد أفقده بعض حقائقه وحمل غير ما يحتمل خلال هذه الدورة . فيدافع متى عن ذلك بقوله : " انهم أصحاب عناية بالحكمة ولولا هم ما نشأت العلوم وأصحاب الصناعات . "

ثم يميل به السيرافى الى النحو فيحرجه فيه ولكن متى يعتذر عن اجابته ، لأنه لم ينظر فيه . ولأنه لا حاجة للمنطق الى النحو ، أما النحو فمحتاج الى المنطق لأن المنطق يبحث عن المعنى والنحو يبحث عن اللفظ . . والمعنى أشرف من اللفظ ، ثم يكر عليه السيرافى فيعنته بمسائل نحوية لا يدرك عهصها الا النحاة المتمرسون ، فيبهت متى وينقطع .

والمناظرة طويلة يمكن الرجوع اليها في معجم الأدباء ( ١ ) وقد كانت الغلبة للسيرافى ولعل ذلك بسبب مناصرة الوزير له . مع أن السيرافى هذا فصيح اللسان قوى المعارضة ، ولذلك تغلب على الفيلسوف أبى الحسن العامرى فى مناظرة جمرت

( ١ ) أنظر معجم الادباء ١٩٠ / ٨ - ٢٢٧ والمصر العباسى الثانى لشوقى ص ٥٣ وما بعد ها .

بينهما في النحوفى مجلس ابن الصميد سنة ٣٦٤ هـ وشهدها أبو حيان التوحيدي  
 ت ٤١٤ هـ وقد ناصره ابن الصميد أيضا ، وقال السيرافى عن هذه المناظرة : " ما  
 ذهبت قط بمثل ما ذهبت به اليوم . لقد جرت بينى وبين أبى بشر صاحب كتاب  
 " المنطق " سنة ٣٢٠ هـ فى مجلس ابن الفرات مناظرة كانت هذه أشوس وأشرس منها <sup>(١)</sup>  
 وللباقلانى ت سنة ٤٠٣ مع امبراطور الروم باسيلوس ( ٣٦٥ - ٤١٦ ) مناظرة  
 لطيفة أوردها محقق كتابه " اعجاز القرآن " فى مقدمته . وكان موفدا من قبل  
 عضد الدولة البويهى . فسأله الامبراطور : هذا الذى تدعونه فى معجزات نبيكم  
 من انشقاق القمر ، كيف هو عندكم ؟

فقال له الباقلانى : هو صحيح عندنا . . . حتى رأى الناس ذلك وانما رآه . .  
 الحضور ومن اتفق نظره اليه فى تلك الحال .  
 فقال الملك : وكيف لم يره جميع الناس ؟  
 قال : لأن الناس لم يكونوا على أهبة ووعده لشوقه وحضوره .  
 فقال : وهذا القمر بينكم وبينه نسبة وقراية ؟ لاى شىء لم تعرفه الروم وفيها من . .  
 سائر الناس ، وانما رأيتوه أنتم خاصة ؟  
 فقال له الباقلانى : " فهذه المائدة بينكم وبينها نسبة ؟ وأنتم رأيتوها دون اليهود  
 والمجوس والبراهمة وأهل الإلحاد ، وخاصة يونان جيرانكم ، فانهم كلهم منكسرون  
 لهذا الشأن وأنتم رأيتوها دون غيركم . فتحير الملك . ثم تستمر المناظرة  
 على هذا المنوال ولولا الاطالة لأوردتها كاملة لقيمتها <sup>(٢)</sup> . وللباقلانى هذا  
 مناظرة مع سليمان المنطقى جيدة <sup>(٣)</sup> مما يدل على درسته وتجربته فى هذا الفن .

( ١ ) معجم الأثبات ٢٣٩/٨ - ٢٣٢ .  
 ( ٢ ) أنظر مقدمة اعجاز القرآن ٣٠ - ٣٧ .

وإذا رجعنا الى صميم الأدب يروى لنا البديعى صاحب كتاب "الصبح المنبى"  
 المناظرة المشهورة بين المتنبى والحاتى ، والتي رواها الحاتى من طرف واحد  
 ولذلك فهى تشبه مناظرة البديع والخوارزمى من وجوه فكل منهما يظهر صاحبه عيىا  
 ويظهر نفسه فصيحاً مقلقاً .

وكل من الحاتى والبديع قدم للمناظرة وهو حاقد يريد أن يثأر لكرامته لأن  
 خصمه ازدراه ولم يقم له اعتباراً ، وكل من الخوارزمى والمتنبى كان له حساد من وجوه  
 القوم الذين حضروا المناظرة يريدون أن يتغلب .

فبعد المقدمات الطويلة التى يروىها الحاتى فى كبرياء المتنبى واعراضه  
 عنه يلتفت أبو الطيب للحاتى ويسأله عن حاله فيندفع الحاتى فى الهجوم عليه  
 يستصغره ويحاول أن يحط من قيمته أمام الحضور فى حين يبخل فيه نفسه ويمظمها  
 ثم يبدأ فى نقد بعض أبياته فيقول فى قوله :

إذا كان بعض الناس سيفاً له ولية \* ففى الناس بوقات لها وطبول

أهكذا تمدح الملوك ؟ وفى قوله فى هجاء ابن كيفلغ :

وإذا أشار محدثاً فكأنه \* قرد يقهقه أو عجوز تلتطم

أما كان لك فى أفانين الهجاء التى تصرفت فيها الشمرا مندوحة عن هذا الكلام  
 الذى تنفر منه الأسماع ومجبه كل طبع ؟ ثم يحضى على هذا المنهج حتى يستغرق  
 ( ٩ ) أبيات بالنقد واكتفى المتنبى فى رده على نقد الحاتى :

كما يرويه الحاتى - بأن استعرض بعض أبياته المشهورة وقال : " أما يكفيك احسانى  
 فى هذه وتففر عن اسامى فى تلك ؟ " ولكن الحاتى يعود للسلاح التقليدى لكل  
 من يريد أن ينقد شمره فبفتحهم بأنه سرق تلك الأبيات التى استشهد بها المتنبى

على احسانه . . . فيأخذ الحاتمي في تمزيق شعر المتنبي ونسبه لغيره وهو — ساكتا لا يتكلم الا كما يتكلم المحكوم عليه بالاعدام ومحاول أن يغير مجرى الحديث فيتجاهل أبا تمام ولكن الحاتمي يثبت انه قرأ ديوانه بدليل سرقاته منه ، ثم ينتهي المطاف بالحاتمي أن يقول عن خصمه :

” فيمـهـره ما أوردته عليه وأمسك عنان عبارته وحبس بنات صدره وهقل عن الاجابة لسانه وكاد أن يشغب لولا ماخاف من عاقبة شغبه ومعرفته بمكانى فى تلك الايام (١) ، فما زاد على أن قال : أكثر من أبى تمام فلا قدس الله روح أبى تمام . فقلت : لا قدس الله روح السارق منه الواقع فيه .

ثم قلت : ما الفرق فى لفة الصرب بين التقديس والقداس والقداس ؟

قال : أى شىء فرضك فى هذه المذاكرة بل المهاترة ؟ ثم قال : التقديس : التطهير ولذ لك سمى القدس قدسا لاشتماله على الذى يكون فيه الطهور ، وكل هذه الأحرف تتول إليه . فقلت له : ما أحسبك أضمنت النظر فى كتب اللفظة وعلوم الصرب ولو تقدم منك مطالعة لها ما جمعت بين معانى هذه الكلمات مع تباينها : لأن القداس : حجر يلقي فى البئر ليحمل غزارة ما فيه من قلته . . . والقداس يشبهه الجبان يحمل من الفضة . . . والقداس السفينة . . . فلما علوته بالكلام قال : يا هذا اللفظة مسلمة لك ! فقلت كيف تسلمها وأنت أبوعذرتها وأولى الناس بها وأعرفهم باشتقاقها والكلام على أفانينها ؟ وما أجد أولى بأن يسئل عن غريبها منك . وشرع الجماعة يسألوننى العفو عنه وقبول عذره ؟ . . . الخ القصة . (٢)

(١) فى الرسالة الحاتمية " لولا أن همية الوزير أبى محمد ملأت قلبه ص ١٩٥ .  
(٢) أنظر الصبح المنبى ٧١ - ٨٠ ومعجم الأديبا ١٥٩/١٨ - ١٧٩ ووفيات الأعيان ١/٧٢٨ - ٧٣١ . وقد ألف الحاتمي رسالة فى هذه الفاظ اللفظة أسماها " الرسالة الحاتمية " ، وهي تختلف عن ما رواه ياقوت وغيره . . . ان أن الحاتمي أطال فيها مع أن ياقوت يقول بأولها " هذه مخاطبة جـسـرت بين أبى الطيب المتنبي وبين أبى على الحاتمي . . . هكيتها كما وجدتها " ٧٥٩/١٨ معجم الأديبا .

والحق أن المناظرة رغم ما فيها من فائدة وطرافة . لا يمكن أن تكون على هذه الصورة التي يروونها لنا أحد الخصمين فلا يمكن أن يكون المتنبي بهذا الجهل والخصم ~~بـ~~ وهو من هو في عزة نفسه وثقته بها واطلاعه الواسع ومجالسته لأرباب اللغة وفهمه لدقائق العربية حتى قيل ان أبا علي الفارسي قال له يوماً : كم لنا من الجموع على وزن " فعلى " ؟ قال في الحال : حجلي وظهرى . . قال الشيخ أبو علي الفارسي : فطالمت كتب اللفظة ثلاث ليال على أن أجد لها ثالثاً فلم أجد " (١) ، وحسبك بأبي علي شاهنا له على علمه بالعربية . ولكن الحاتمي أراد أن يتقرب بمفالبة المتنبي وقهره للوزير المهلبى الذى كان حانقاً على المتنبي لترفعه عن مدحه فألف في هذه المناظرة كتاباً . . واستباح لنفسه أن يروى المناظرة بالشكل الذى يرضى الوزير ويشفى غلته من المتنبي ، وقد أفصح الحاتمي أنه انما ألف رسالته الموضحة استجابة لرغبة الوزير ، يقول في مقدمته : " سامنى - أى الوزير - دمتك حريمه وتمزيق أديمه ووكلى بتتبع عواره واحواجه الى مفادرة العراق . (٢) وأشد من هذه المناظرة مناظرة بديع الزمان والخوارزمى التى سوف نتعرض لها بالتفصيل وهي كما قلت تشبه هذه المناظرة ولعل البديع اطلع على رسالة الحاتمي قبل شروعه فى كتابة مناظرته مع الخوارزمى ، ولا استبيح لنفسى أن أطيل أكثر من هذا فى ايراد أمثلة من مناظرات هذا المصر . فالعصر عص عصر مناظرات حتى لقد أجروها بين الجمادات . . كمنظرة السيف والقلم لابن نباتة المصرى وبين الورد والنرجس للماردينى وبين القنديل والشمعدان لليمانى وبين الزهور لجلال الدين السيوطى . (٣) كذلك أجروها مع الطيور كما فعل ابن شهيد فى مناظرته للوزة (٤) . . وعقد

(١) الصبح المنبى ص ٨٠ .

(٢) انظر مقدمة الرسالة الموضحة (١) ، ص ٢٠ .

(٣) جمع هذه المناظرات عزت الحداد فى كتاب واحد أسماه " مناظرات فى الآداب " .

(٤) أنظر كتابه " التوايح والسراييع ص ١٥٢ - ١٥٣ وانظر أمثلة أخرى من المناظرات

فى زهر الآداب ١/٤٣١ ، ٢/١٠٩ . وأيضا أنظر الكشكول فيه مفاخرة بين البخل والكرم وبين مصر والشام والشرق والغرب والعجم والنشر والنظم

١/٣٥٠ وما بعد ها .

الآمدى مناظرة بين صاحب البحترى وصاحب أبى تمام اختراعاً . وهي تشمل النزاع الذى قام بين أصحاب كل من الشاعرين فى صدر كتابه " الموازنة بين الطائيين " (١) وانما أطلت فى هذا الفصل لأن هذا الفن من فنون نثرنا العربى لم يلسق من الباحثين العناية الكافية وهو ظاهرة فى الأدب لها قيمتها ووزنها وتاريخها . . . . . وكانت فنا يعنى ببسط المعانى والفروض فيها . . . وتشعبيها . . . وهي ان صح القول رياضة عقلية تشخذ البديهة وحافز للتعلم والتثقيف والتبحر فى العلوم . . . . . ولا أرانى بما كتبه فى هذه الصفحات عن هذا الفن قد أعطيت الموضوع حقه ، بل ان هذا الفن يحتاج الى دراسة مستقلة قد لا يستوعبها كتاب واحد . وهي لعمرى دراسة مفيدة وممتعة طريفة فى نفس الوقت غير أنها تحتاج لجهد غير قليل لجمع شتاتها من المراجع الكثيرة المتنوعة .

الجاب الفانى

"حياته العامة"



## الفصل الأول

" أصله ونسبه وموطنه ، مولده ووفاته ، ثقافته وأساتذته "

أصله ونسبه :

(٢) هو أبو بكر محمد بن المباس الخوارزمي (١) ، أصله فارسي من طبرستان ،  
احدى المدن الفارسية التي فتحها المسلمون ودخل أهلها فى الاسلام منذ القرن  
الأول الهجرى .

- (١) من المراجع التي ترجمت للخوارزمي وتحديث عن حياته :
- اليتيمة ١٩٤/٤ وطبعها - الوافى بالوفيات ١٩٢/٣ - وفيات الأعيان  
٤٠٠/٤ - ٤٠١ - الانساب للسماعى ٢١٣/٥ - اللباب ص ١٧١ شذرات  
الذهب ١٠٥/٣ - بغية الوعاة ١٢٥/١ - أعيان الشيعة ٢٥٨/٤٥ تاريخ  
الأدب العربى لبروكلمان ١١٠/٢ وطبعها - تاريخ الأدب العربى للزبيات  
٢٣٩ - تاريخ آداب اللغة العربية لجرى زيدان ٢١٥/٢ - تاريخ الأدب  
العربى عمر فروح ص ٥٤٤ تاريخ الأدب العربى للسباعى بيومى - تاريخ اللغة  
العربية احمد الاسكندرى ص ٢٠٠ وطبعها . . تاريخ الشعر العربى  
محمد الكفراوى ١٦٧/٣ - فى الأدب المباسى محمد البصير  
ص ٦٣ وطبعها . الوسيط فى الأدب العربى / احمد الاسكندرى  
ص ٢١٣ . معجم المؤلفين ١١٩/١٠ . كنوز الأجداد كرد على ص ١٩٠  
وطبعها - معجم المطبوعات العربية ٥٢/٢ . بديع الزمان  
المهدانى راءد القصة ص ٨١ دائرة معارف القرن العشرين  
٣/٧٤٥ . الأعلام ٥٢/٧ ، معجم المؤلفين ١١٩/١٠ . دائرة معارف  
البيستانى ٣٠/٢ .  
(٢) أنظر اليتيمة ٢٠٤/٤

ولد الخوارزمي ونشأ بخوارزم <sup>(١)</sup> ، ولهذا لقب بالخوارزمي ويلقب أيضا  
 بالطبرخزمي ، والطبرخزمي ، فليل لقب بذلك لأن أصله من طبرستان ، ومنشؤه  
 بخوارزم <sup>(٢)</sup> ، وقيل بل لأن أباه من خوارزم وأمه من طبرستان <sup>(٣)</sup> ، ويقول  
 ابن القيسراني : انه سمع الأديب أبا بكر البخاري الخالدي يقول : ان أبا بكر  
 الخوارزمي يعرف عند هم بالطبرخزمي ، يعني : طبري خوارزمي <sup>(٤)</sup> .

ويلقب أيضا بالطبري نسبة لخاله محمد بن جرير الطبري " صاحب التاريخ  
 المشهور " . كما ذهب الى ذلك ابن الأثير والسمعاني <sup>(٥)</sup> وغيرهم . . . وصاحب  
 كتاب أعيان الشيعة ذهب الى أن الطبري ليس هو صاحب التاريخ والتفسير " محمد بن  
 جرير بن يزيد الطبري المولود بآمل من طبرستان ، وإنما هو طبري آخر اسمه :  
 " محمد بن جرير بن رستم الطبري " فأوقع ياقوتا وغيره في الاشتباه اتحاد الكنية  
 والاسم والنسب . . . <sup>(٦)</sup> وصاحب كتاب نشوار الحاضرة ( وهو معاصر للخوارزمي )  
 يدعي أنه نسبة " لطبرية الشام " حيث قال في محوذايراد أبيات للخوارزمي " .  
 لأبي بكر الخوارزمي الطبري من طبرية الشام " <sup>(٧)</sup> وهي نسبة غريبة فرغم أن . . .  
 التنوخي معاصر للخوارزمي فاننا لا نستطيع الأخذ بقوله . . . لأننا لانجد سببا  
 معقولا لنسبته لطبرية ، فالخوارزمي لم يولد ولم ينشأ بها . وقد يكون موها في  
 أثناء وجوده بالشام غير أن مروره بها لا يعد سببا لنسبته اليها الا اذا قصد  
 أنه قال هذه الأبيات وهو " بطبرية الشام " على أنه احتمال بعيد . والخوارزمي  
 نفسه يلقب نفسه بالطبري <sup>(٨)</sup> ، على أن الخوارزمي أشهر من الطبري والطبري

( ١ ) انظر اليتيمسة ٢٠٤/٤

( ٢ ) انظر بقية الوعاة ١٢٥/١ ، وشد رات الذهب ١٠٥/٣ .

( ٣ ) انظر وفيات الأعيان ٤٠٠/٤ ، ولب اللباب ص ٩٨

( ٤ ) انظر الانساب المتفقه ص ٩٧ .

( ٥ ) اللباب ص ١٧١ والانساب ٢١٣/٥ والانساب المتفقه ص ٩٧ ومجمع البلدان ٧/١ .

( ٦ ) اللباب للجزري ٤٦٧/١ ( ٦ ) أعيان الشيعة ٢٥٨/٤٥

( ٧ ) نشوار المحاضرة ١٥٨/٦ ( ٨ ) الرسائل ص ٣٨٠

أشهر من الطبرخزى . ولا أدرى لماذا ذهب المؤرخون بعيدا فى تعليل تلقيبه بالطبرى مع أن أقرب تعليل هو أنه لقب بذلك لأن أصله من طبرستان ، فكما لقب بالطبرى لأنه ولد بخوارزم لقب أيضا بالطبرى لأن أصله طبرستان .

ولا نعرف شيئا عن والده سوى ما ذكره أبو بكر من أن والده كان ثريا وقد ترك له ثروة طائلة . ( ١ )

أما والدته فهي أخت / محمد بن جرير الطبرى المشهور إذا صح أنه خاله من طبرستان فهي من بيت علم وأدب .

#### مولده ووفاته :

ولد الخوارزمى سنة ٣٢٣ هـ كما هو ثابت فى معظم المصادر . ويبدو أن ذلك لم يقع للدكتور زكى مبارك حيث قال : " لا نعرف بالضبط متى ولد " (٢) ولورجع الى بيتيمة الدهر (٣) أو بغية الوعاة (٤) لا أدرك أن سنة مولده معروفة وليست مجهولة . . . وأنه حق كما ذكرنا باتفاق الرواة .

أما سنة وفاته فموضع خلاف فبعضهم ذهب الى أنها كانت سنة ٣٩٣ هـ (٥) ، والباقيون قالوا أنها كانت سنة ٣٨٣ هـ (٦) .

وسر الخلاف على ما يبدو ويرجع الى اختلافهم فى العام الذى ورد فيه البديع نيسابور بعد مفارقة هذان ليتصل بحضرة الصاحب بن عباد . . . ومصروف أن المناظرة المشهورة بين الخوارزمى والبديع كانت فى السنة التالية لورود الهذانى

( ١ ) أنظر رسائله ص ٢٢٩ . ( ٢ ) النشر الفنى ٢ / ٢٦٠ .  
 ( ٣ ) ٢٠٩ / ٤ . ( ٤ ) ١٢٥ / ١٥ .  
 ( ٥ ) الكامل ١٧٩ / ٩ . ( ٦ ) البيتيمة ٢٠٩ / ٤ و بغية الوعاة ١ / ١٢٥  
 ومعجم الأدباء ١٨٣ / ٢ وطبقات النحاة ص ١٣٠ والكامل ١٠١ / ٩ وشفرات  
 الذهب ١٠٥ / ٣ والأنسب ٢١٣ / ٥ واللباب لابن الأثير ١ / ٤٦٧ .

نيسابور، وأن الخوارزمي توفي في نفس السنة ، اشر المناظرة .

( ١ )

وقد ذكر ياقوت في معجم الأندباء أن بديع الزمان ورد نيسابور سنة ٣٩٢ هـ .  
فمن اعتمد على ما ذكره ياقوت جعل وفاة الخوارزمي سنة ٣٩٣ هـ غير أن ما ذكره ياقوت  
من ورود بديع الزمان نيسابور سنة ٣٩٢ هـ وهم بدليل أن ياقوتا نفسه يذكر في نفس  
الجزء في موضوع آخر أن بديع الزمان " وافي نيسابور سنة ٣٨٢ هـ وهو نفسه ( ٢ )  
يذكر أن وفاة الخوارزمي كانت سنة ٣٨٣ هـ ( ٢ ) . ولعل من المفيد أن نذكر أن  
ياقوتا اعتمد على اليتيمة فيما نقله من أخبار بديع الزمان حيث قال : " لم يقتصر  
أحد خبره أحسن مما أقتضه الشمالي . . فنقلت خبره من كتابه ، ولخصته من بعض  
سجحه " ( ٣ ) ، والشمالي يذكر أن بديع الزمان " وافي نيسابور سنة ٣٨٢ هـ ( ٤ ) .

ومن الثابت أن وفاة صاحب كانت سنة ٣٨٥ هـ ولو ثبت ما ذكره ياقوت فسي  
أحد أقواله - للزم أن تتأخر وفاة صاحب الى ما بعد سنة ٣٩٢ هـ وهذا ما لم يقل به  
أحد . ومن الغريب أن الكامل الذي ذكر أن وفاة الخوارزمي كانت سنة ٣٩٣ هـ  
يذكر في نفس الجزء أنه ضمن المتوفين سنة ٣٨٣ هـ . ( ٥ )

و بدليل آخر يبطل زعم من ذكر أن وفاة الخوارزمي كانت سنة ٣٩٣ . ذلك أن  
الخوارزمي باتفاق مات قبل وفاة صاحب ابن عباد و بدليل هجاء صاحب له بمسند  
وفاته ( ٦ ) ، وقد ثبتت وفاة صاحب سنة ٣٨٥ هـ فكيف تكون وفاة الخوارزمي سنة . .

٣٩٣ هـ ؟

- 
- ( ١ ) أنظر معجم الأندباء ١٦٦/٢ ( ٢ ) نفس المرجع ١٨٣/٢  
( ٣ ) نفس المرجع ١٦٣/٢ ( ٤ ) انظر اليتيمة ٢٥٧/٤  
( ٥ ) أنظر ١٠١/٩  
( ٦ ) أنظر وفيات الأعيان ٤٠٢/٤ ونزهة الألباء ص ٣٢٦ و مرآة الجنان ٤١٧/٢  
والوافي ١٩٣/٣

ولو لم تثبت لدينا هذه الأثلة كلها ولم يثبت تناقض الأثلة المعارضة لرجحنا

رواية الشمالى المصاحف لكل من الخوارزمى وديع الزمان ، وتلميذ الخوارزمى على  
رواية ياقوت وابن الأثير وقد بين الشمالى أن وفاة الخوارزمى كانت سنة ٣٨٣ هـ  
وقد رأينا أن مرجع ياقوت هو اليتيمة فيما ينقل عن الخوارزمى والبديع .

وهكذا تثبت وفاة الخوارزمى بالدليل القاطع سنة ٣٨٣ هـ وأن من ذكر  
وفاته سنة ٣٩٣ هـ إنما بنى على وهم . وقد سبق أن ذكرنا أن وفاته كانت فى السنة  
التي ناظر فيها بديع الزمان ومن هنا ربط بعضهم بين وفاته وبين هزيمته ، وليس  
ببمقدور أن يموت كذا من تلك الهزيمة ، وقد رأى عرشه الذى ظل يبنيه طوال حياته  
يتزلزل تحت قدميه ، وقد رأى الشماتة فى أعين حساده ، وبعد أن رأى هوى  
الحاضرين مع خصمه والذى ما كان يمدده الا واحدا من تلاميذه . . وهذا كله ما ستره  
فى موضعه عند الحديث عن أدبه .

وهيما علم بديع الزمان بموته رثاه بما يشبهه الشماتة ، أو كما قال الشمالى :

” دس فيع سعاية ثانية ” (١) وذلك فى قوله : (١)

حنانك من نفس خاففت	*	ولبيك عن كمد ثابت
أبا بكر أسمع وقل كيف ذا	*	ولست بمسمة الصامت
تحملت فيك من الحزن مس	*	تحمله ابنك من صامت
حلفت لقد مت من معشور	*	فنيين عن خطر المائمت
يقولون أنت به شامت	*	فقلت لثرى بنم الشامت
وعزت على محاداته	*	ولا متدارك للفاءت

وقريب من مرثية بديع الزمان ، مرثية أبى الحسن عمر بن أبى عمر الرقانى ، وقد أساء

اليه ولكنه أحسن على أساءته كما يقول الشمالى . (٢)

(١) انظر اليتيمة ٢٠٩/٤

(٢) نفس المرجع ٢٠٩/٤

يقول الرقائسي (١) :

مات أبو بكر وكان أمـــــــراً \* أدم في آدابيه الفـــــــر  
ولم يكن حراً ولكنـــــــه \* كان أمير المنطق الحـــــــر

فهذا على ما فيه من النيل من أبي بكر ، خير من رثاء بديع الزمان فهو وان طمنه  
في أخلاقه فقد اعترف له بالسبق في ميدان الأثب والاجادة في البيـــــــان .

أما تلميذه " الطيبسي " فقد رثاه بقصيدة تجيش عاطفة وحزنا وقد جاءت

هذه القصيدة وكأنها رد على خصومه ووفاء لأستاذه . يقول فيها : (٢)

شيب فردل الأسي قذالسي \* وكدر الكهر صفوها لــــي

وارتجع الكهر ما حبهــــاه \* وهيمل المجد بالــــزوال

وعادت النيرات بهمصــــا \* وناحت المصم في الجهــــال

فقلت يا صاحبي مســــاذا \* أتت به كرة اللبــــال

أقام ربي النشور أم قــــد \* دعا الى المرض والســــؤال

أم الهمام الامام أودى \* لهفي على ناقد الرجــــال

رب القيا في أبي القوافــــي \* عم المعاني أخ الموالــــي

حاربه الكهر وهو حــــرب \* لما رآه بلا مشــــال

يا أهل خازم من يعــــزى \* أنتم أم المجد والمعالــــي ؟

أم القوافي أم المذاكــــي \* أو التمايق والأمالــــي (٣)

مضى الذي لوراه قــــس \* يوما لأضحى بلا مقــــال

وفلّ منه الردى حســــاما \* ماقله كثرة الــــنزال

وأنضب الكهر منه بحــــرا \* يموج بالدر واللآلــــي

يامن غدى يدعى المعالــــي \* قد رفع الفخ لا تبالــــي

يتبع ..

(١) نفس المرجع ٤/٩٠٢ .

(٢) دمية القصر القسم السادس من مخطوط رقم الترجمة ٥٢٢ (لدى سامي مكي الصانبي)

(٣) انظر الألب العري في الدولة الخوارزمية لهند حسين مخطوط رسالة ماجستير

جامعة بغداد . التمايق : الهوامش والتعليق .

صلى على روحه الا هـي \* مادام يتلوا البيان تـال  
وما سرى في الظلام سـار \* وشدّ بالكور والرحـال

### ثقافته وأساتذته وتلاميذه :

كان الخوارزمي محبا للعلم ، وقد قصر حياته عليه . . فقد جاب الاقـنـاق  
وقطع الغياقي تاركا أهله ووطنه في سبيل العلم وهو في ريعان شبابه (١) ، ليرتاد  
مجالس الملما والأدبا ، والمجالس كما قال الصاحب : " تخرج الناس وتهب لهم  
الذكا وتزيد هم فطنة (٢) " فقد قصد بلاط سيف الدولة الحمداني بحلب  
( وبلاط سيف الدولة يومئذ يموج بفحول الشعراء أمثال : المتنبى والبيهقي والنامي  
والخالديين والشمشاطي والناشبي والزاهي والوهّاء والدمشقي والرستمسي ،  
والصنوبري وأبي فراس الحمداني وغيرهم ) .

وكان الى جانبهم من الأدبا واللغويين والرواة : أمثال أبي الطيب  
اللغوي وابن جنى وابن خالويه - أستاذ الخوارزمي - وغيرهم من جهاذة الأدب  
الصربي وعلوه ، وهم ذروة السنام وثمرة الثقافة الاسلامية الصربية وخلاصة امتزاج  
الثقافة الصربية والفارسية واليونانية . . وقد خلدوا ذكرهم بما أنتجوا في شتى فروع  
العلم ونتاجهم بقي مرجعا لكل من جاء بعدهم حتى اليوم . وقد جمع هؤلاء . . .  
النخبة - في بلاط سيف الدولة الحمداني - حب سيف الدولة للأدب والعلم  
وتقديره للأدبا والعلماء ، وما كان يفدقه عليهم من أموال وأعطيات جزيـلة  
فاجتمع في مجلسه منهم خلق كثير حتى قيل فيه : " لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك  
- بعد الخلفاء - ما اجتمع ببابه من شيخ الشعر ونجوم الدهر . (٤)

(١) أنظر مصجم الأدبا ١٧٨/٦ (٢) انظر اليتيمة ٢٦/١ .

(٣) أنظر اخبار جوده على الشعراء اليتيمة ٣٢/١ - ٣٥ .

(٤) نفس المرجع ٢٧/١ .

وفى هذا الجوالذى تتصارع فيه الآراء وتحتدم فيه الأفكار وتمحص الحقائق وتنقد الأقوال ، وتتقارع فيه الخصوم وتحتد المنافسات ، عاش الخوارزمى ردحا من الزمن ، يحفظ ويستفيد ويتشقق وهو فى السن <sup>التي</sup> أشد ما يكون <sup>فيها</sup> وقبولا لما يلقي اليه . . يقول الخوارزمى عن ذلك : " ما فتق قلبى وشحن فہى وصلل ذهنى وأرهف حد لسانى ، وبلغ هذا المبلغ بى ، الا تلك الطرائف الشاميسة والمطائف الحلبية التى علقت بحفظى وامتزجت بأجزاء نفسى وفصن الشباب رطيب ورداء الحداثة قشيب " <sup>(١)</sup> ومن الملفت للنظر أننا لانجد له أدبا فى مجتمع الحمدانيين أو فى مدح أمراءهم رغم أنه عاش كما قلنا جزءا من عمره فى مجتمعهم وخدمتهم . (٢)

وان كان يروى لهم شعرا كثيرا ، (٣) كما كان يحارغى ألأوأاء الدمشقى وهو من شعراء الشام . (٤) فهل كان وجوده بين أولئك الفحول ، بقصد التعليم والتثقيف فقط ؟ خاصة أنه كان لا يزال فى ريعان عمره - ولكن كيف وللاط سيف الدولة لا يأوى الا من عرف بالفضل والأدب وما معنى خدمته اذا ؟  
والأقرب للواقع أن الخوارزمى قد أدلى بدلوه بين تلك الأدلاء ولكن انتاجه - وهو بعد لم يشمد عوده - لم يقو على الوقوف بين انتاج أولئك القشاعم الكبار ، فشغل الناس عنه اهتمامهم بأولئك الجمايزة الكبار ولعل ديوانه الذى لا يزال فى . . حكم المفقود حتى الآن يحوى بعض ما قاله فى تلك الفترة .

(١) اليتيمة ٢٦/١

(٢) بغية الوعاة ١٢٥/١

(٣) انظر اليتيمة ١٠٤/١ - ١٠٦ ، ٤٥ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ٢٨٩ ، وغيرهـا .

(٤) نفس المرجع ١/٢٩٦ .



ولم تكن بغداد آنثى قد فقدت مكانتها الادبية والعلمية ، فكانت من بسين  
البيئات الثقافية التي قصدها الخوارزمي وأخذ عن علمائها ، وخاصة "علم الحديث" .  
فقد ذكر الحاكم أنه روى الحديث عن أبي علي اسماعيل بن محمد الصفار ، وأقرانه  
ببغداد . ( ١ )

ثم انقلب الى أصفهان حيث كانت الجامعة الثانية - انصح التمييز - في حضرة  
الساحب بن عباد فالخوارزمي وان عاد وهو أحد أفراد الدهر وأمرء النظم والنثر " كما  
يسميه الثعالبي ( ٢ ) ، إلا أن من كان يلم حضرة الساحب من العلماء والادباء لا يقلون  
عن أخذ عنهم الخوارزمي في بلاط سيف الدولة الحمداني " خاصة وان كثيرا ممن  
الادباء الذين تأنوا في بلاط سيف الدولة انتقلوا الى حضرة الساحب بعد وفاة الحمداني  
كما سبق أن ذكرنا . ( ٣ )

ولا تصاب الخوارزمي بهذه المحاسن العلمية والادبية ومساخيته وأخذ من  
يرتادونها ، وحفظه لما يقولون وتتلذذ على بعض أعلامها ، تعددت مشاربه ، وتنوعت  
ثقافته ، فأخذ من كل علم بطرف ، فضرب بسهم وأفرق في الادب ونشره وعمره ، وكان علما فسي  
اللسنة ، قال السمعي : " دخل الخوارزمي مجلس الساحب ابن عباد وعليه ثياب  
خلقه ، وكان خاصا بالفضلاء والشعراء من أقطار الارض فصعد المنصة فاستزراه الحاضرون  
فقال واحد منهم لنا منه أنه لا يعرف العربية : من هذا الكلب ؟ فقال أبو بكر : الكلب  
الذي لا يعرف عشرين لغة في الكلب فسكت الحاضرون فذكر لهم أسماء الكلب . ( ٤ )

( ١ ) انظر الانساب ٢١٣/٥ - ٢١٤ وحقبة الحياة ١/١٢٥ ، طبقات النجاة ص ١٣٠

واللهاب للجزيري ٤٦٧/١

( ٢ ) انظر اليتيمة ٢٦/١

( ٣ ) الفصل الاوّل من الباب الاوّل وانظر رسائل الخوارزمي ص ١٠٤

( ٤ ) انظر الانساب ٢١٣/٥ ، ٢١٤

وكثيرا ما ينقل عنه الثعالبي في كتابه " فقه اللغة " ويقول : علقته عن الخوارزمي  
أو وجدته في تصليقاتي عن الخوارزمي عن ابن خالويه (١) وإذا صحت نسبة كتاب " المنتخب  
من سنن الصرب اليه ، فقد أسهم أيضا في علم البلاغة (٢) . . . . . كما سترى وقد ساعده على  
اعتصام هذه الثقافات وتمثلها حافظة عجيبة ، لا تسمح شيئا الا وعته وحفظته . . . . . فقد  
ذخر الراقب الاسمعي " ان الخوارزمي حفظ كتاب الامثال لابن عبيدة فرليلة ، وقرى عليه  
أوران بن حساب البغالين فأعادها على الترتيب " (٣)

ونحن نمرق قصته المشهورة مع العاجب حين أراد أن يدخل عليه فنممه الحاجب  
بحجة أن الوالي أوصاه ألا يدخل عليه الا من يحفظ اثني عشر ألف بيت من الشعر وفي بعض  
الروايات عشرين . . . . . فقال الخوارزمي للحاجب : ارجع الى مولاي واسأله أمن شعر النساء  
يريد أم من شعر الرجال ؟ فقال الصاحب للحاجب : هذا لا يكون الا أبا بكر الخوارزمي  
وأمره بإدخاله (٤) .

وقد ألف في الامثال ، والنقد ، وحذق في علم الانساب وأيام الصرب ، يقول عنه  
الحاكم : " ولما اجتمع ممن الا ذكر لي بالاساس والكنى والانساب حتى يحيرني في حفظه  
لهذه الانواع " (٥) وقد درس علم الحديث . . . (٦) وتلقى الثقافة الفارسية بلسانها  
باعتباره أحد أبناء الفرس ، وقد عاش في بلاد الفرس . . . . . وما يدل على اتقانه للفارسية  
أنه ألف ديوان شعر بالفارسية (٧) وله بصر المقطوعات الشعرية التي يرمصها بالفساطح

(١) انظر على سبيل المثال ص ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ١٠٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩ ، وغيرها وانظر تعليق

زكي مبارك على نقد الثعالبي النشرا في ٢ / ١٩٠

(٢) انظر هذه الرسالة ص (٣) محاضرات الادباء ٢٢ / ١

(٤) مرآة الجنان ٢ / ٤١٦ - ٤١٧ ، وفيات الاعيان ٤ / ٤٠١ ، الوافي ٣ / ١٩٣

(٥) الانساب ٥ / ٢١٣ - ٢١٤ (٦) انظر مثالب الوزيرين ص ٧٨

(٧) انظر الفصل الاوّل من الباب الثالث من هذه الرسالة .



ويقول ياقوت في ترجمته لمعلي بن أحمد الواحدى \* واستخلفه الاستاذ أبو بكر الخوارزمى على درسه عند غيبته \* (١) ومعظم تلاميذه انما هم اولاد الامراء وأصحاب المناصب فمنهم : أبو منصور عبد الملك بن اسماعيل الثعالبي ، وكان يوثقه على غييره يقول الثعالبي : " ما كان أكثر ما ينشدنى ويكتبنى مما يرضى به على غيرى من تلك الفسرة التى تجرى مجرى السحر والطح التى يقطر منها ماء الظرف " (٢) ومنهم أحمد بن عيسى بن أبى بكر الزوزنى (٣) ، وأحمد بن كامل بن خلف السجزي وأبو على مجاهد بن موسى بن فروى الخوارزمى ، (٤) ومحمد بن آدم بن دمان أبو المظفر الهروى (٥) ومحمد بن أحمد بن أشرس أبو الفتح النهوى النخوى (٦) وأبو سعيد الحسن بن أحمد الطبسى النسابورى الذى رثاه بقصيدته الجيدة . (٧) وصاعد بن محمد الاستواى (٨) .

ويدل على كثرة تلاميذه كثرة رسائله الموجهة اليهم فى ديوان رسائله (٩) ومنهم من بلغ مرتبة الوزارة . (١٠)

من  
على أن تلاميذه من تذكر له فأرسل له أبو بكر الخوارزمى يصادفه بهذه الابيات الجميلة : (١١)

(=) (٥) انظر ١٥/١ اوريشات اليونان ٢٤/٢

(١) معجم الادباء ٩٩/٥ (٢) انظر اليتيمة ٢٦/١

(٣) نفس المرجع ٤٤٦/٤ (٤) الانساب ٢١٤/٥

(٥) ت ٤١٤ هـ " شرح الاصلاح وشرح امثال أبى عبيد وشرح الحماسة وشرح ديوان أبى الطيب (معجم الادباء ٢٦٧/٦) .

(٦) انظر نفس المرجع ٣٢٦/٦

(٧) انظر هذه الرسالة ص ٤٤ ، ٤٥

(٨) انظر تراجم فى طبقات الحنفية رقم الترجمة ٨٢ ، ص ٢٩٠

(٩) انظر على سبيل المثال الصفحات : ٧ ، ٨ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٣١ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٧٣

(١٠) انظر رسالته ص ١٧٠

(١١) هكذا وردت ابيات كلها للخوارزمى فى مخطوطة رسائله بالمدينة المنورة رقم ٨١١/٢٢ واليتيمة ٢٣٥/٤ وفى أعيان الشيعة ٤٥/٢٦٤ . أن البيتين الاخيرين رد من أبى زيد على الخوارزمى .

هذا أبو زيد عقلت حسامه  
انما يجهلني بما علمت  
يامننا قوما بكفى أحكم  
ارقيت بن فوسلم حتى اذا  
فقدنا به جلتا على وأقد  
ويروى عن ريشي لرمي أسهم  
ومسددنا رما بكفى قوم  
نلت الذي تفضي كسرت السليما •

الفصل الثاني  
رحلات تسمية الأدبيية

( عجلاته بالامراء والوزراء والكتّاب )

في حلب ( سيفالدولة ) في بخارى ( البلخي ) وفي نيسابور ( أبو نصر الميكالسي )  
في سجستان ( نادر بن محمد ) في أصفهان ( المصاحب ) في شيراز ( عضد الدولة ) .

كانت الرحلات الأدبية والملمية - ولا تزال - من أهم الوسائل التي يفتنى بها  
الطالب ثقافته . ولعل أول من فتح باب الرحلات الملمية المضمون الذين كانوا يجمعون  
اللغة من أبناء البادية .. ثم المحدثون الذين كانوا يجمعون الاحاديث مشافهة من  
حفاظها .. وقد كثرت الرحلات الأدبية في القرن الرابع .. وقد دعا المتأدبين اليها  
رغبتهم في ارتشاف العلم من معينه في البيئات المختلفة فكان الأديب يقوم بتلك  
الرحلات للترود بالمعرفة وطلب العلم في حدائته .. إذ كانوا لا يكتفون بقراءة كتب  
من أشتهر في هذا الفن حتى يتصلوا به ويستقروا ما عنده مشافهة ليكون التأثر به أقوى  
وتحصيل ما عنده أوفى وأجدى .

فكانوا يتصلون بالأديب أو العالم حتى إذا ظن أحدهم أنه استفد ما عنده  
انتقل الى من هو أشهر منه وأعرف .

وكانهم كانوا في جامعة فيها شتى التخصصات .. إلا أن جامعتهم تلك كانت  
العالم الإسلامي بأسره .. حتى إذا اشتد عود الدارين ضمهم وأنس من نفسه القدرة على  
الاستقلال عن أساتذته ( وقد كطت معلوماته واستوت ثقافته ) ظهر للناس ليحيط  
ويبتج ، فيؤكد وجوده ويحاطى بما عند الولاة والامراء .. فتكون له رحلات ثانية ، ولكنهم

هذه المرة للظهور والمطب النوال .. وان كانت لا تخلو من الفائدة التي يجدها الاديب في مجالس الادب والعلم خاصة وانها تضم كبار العلماء في كل فن .

والخوارزمي أحد هؤلاء الادباء الذين لا يصرفون لهم مقرا ولا يقرون للادب ..  
 بحدود . فقد شرقي بعد أن غرب ، وجاس خلال الديار عرضا وطولا . فصد حدائثة  
 سنه وهو حامل عصا الترحال مستهينا بمشاق السفر واضطاره في سبيل تحصيل العلم  
 والادب ه حتى قال عنه الثعالبي : ( فارق وطنه في ريمان عمره وحدائثة سنه ولم ينزل  
 يتقلب في البلاد ويدخل كور المراق والشام ويأخذ عن العلماء ويقتبس من الشمر  
 ويستفيد من الفضلاء .. وضي على غلوائه في الاضطراب والافتراب وشرق بعد أن غرب )  
 حتى شاع ذكره وانتشر ه ولم تقتصر خطاه الا عن مصر والاندلس ولعله رأى في الادب الشر  
 ما يخبئه عن أدب المغرب مجاريا في ذلك رأى المشرقيين الذين يرون ان الادب ..  
 المشرقية ما هي الا تقليد للادب المشرقية .

ولم تقتصر رحلاته على المواسم المشهورة في المعالم الاسلامى بل لقد عاش  
 البدو في الصحراء كما يقول هو عن نفسه ( ولقد اخترقت البدو والخضره ودخلت ديار  
 ربيعة وضر ) ( ٢ ) .

ورغم ما يخلف حياة الخوارزمي الاولى ه وما يكتنف علاقاته بوزراء عصره من الغموض  
 فاننا يمكن أن نتحسس معالمها من خلال أدبه أولا ه وما كتبه المراجع القديسة في ترجمته  
 المختصرة ثانيا . فالخوارزمي - كما رأينا - تلقى تعليمه الاول بخوارزم ه وهو اقل  
 تخرج فيه كثير من الفقهاء والعلماء والادباء ه ورغم أن جبه للعلم وهدية طموحه دفعا به

( ١ ) اليتيم ٢٠٤ / ٤

( ٢ ) ان الرسائل الخوارزمي ص ١٩

الى مفارقة وادنه وهو حديث السن .. فانه لم يكن خالى الوفاى من الاداب والمعارف ، فلم  
يسافر حتى آتس من نفسه رشدا وتزود من العلم بزد جيد .

يقول عنه الثمالى : ( فارق وطنه فى ربحان عمره وحدائة سنه ، وهو قوى المصرفة  
قويم الادب ، نافذ القريخة ، حسن الشعر ) (١)

٥٥

### (( الخوارزمى فى حلب ))

وكانت وجهته الاولى الى الغرب ، حيث بلاط سيف الدولة اكبر مركز فى ذلك  
الوقت ، للاداب والمعلوم ، وأعظم مجمع لجهاذفة الفكر والادب .

وقد سبق الحديث عن مكانة هذا البلاط وما يؤمه من الادباء ، والشعراء ،  
واللفويين (٢) ، فاستفاد من هؤلاء وتلذذ على بعضهم ، ولعله أراد مشاركتهم فى القول  
فلما رأى مارأى من هؤلاء الفحول استصغر شأنه واكتفى بالاخذ عنهم مخاصة وأنضاعته  
المتثله فى رسائله المصنوعة وشعره ، لاتعنه من المناقسة فى هذا البلاط فسيف الدولة  
لاتطرب هذه الرسائل المصنوعة التى وجدت لها سوقا نافقه لدى حكام الاقاليم الفارسية  
وشعره لا يرقى الى مستوى فحول الشعراء هناك . فاكفى بالاخذ والحفظ عنهم والاستفادة  
منهم وهو ما يشير اليه الثمالى بقوله : ( ولم يزل يتقلب فى البلاد ، ويدخل كور العراق  
والشام ، ويأخذ عن الملما ، ويقتبس من الشعراء ويستفيد من الفضلاء ، حتى تخرج  
وخج فرد الدهر فى الادب والشعر ) (٣)

(١) اليتيه ٢٠٤ / ٤

(٢) انظر الفصل الاول من الباب الاول من هذه الرسالة

(٣) اليتيه ٢٠٤ / ٤



( ١ ) وقد اتصل الخوارزمي بعلماء بغداد وتلمذ على بعضهم خاصة في علم الحديث .

٥٥

### (( الخوارزمي في بخارى ))

وبعد تخرجه في جامعة حلب توجه تلقاء المشرق وهو بازل الناب قوى الشكيمة  
فكان أول نزوله على أبي علي البلخي والى بخارى من قبل السامانيين .. ولكنه لم يحمده  
صحته فكانت بداية غير موفقة له فاطلق فيه لسانه ومن ذلك قوله ( ٢ )

انذا البلخي والعين غمين      وهو عار على الزمان وشين  
ان يكن جاهلا بخفى حنين      فهو الخف والزمان حنين

وقد كتب له البلخي يستدعيه الى حضرته بعد ان فارقه فرد عليه بهذه الرسالة  
التي تدلنا على سبب تكوصه على عقبه كما تدلنا على عزة نفسه وثقته بها وهيها يقول :

( ورد علي كتاب سيدى يدعوني ، ووشلى لا يجيب دلى القول دون ان يصدقه  
داعى الفصل ، وما الجلة انا قد تفارقنا على حالة ، فان كنا عليها والتقينا فيها ، فأخبر  
التلاق اول الفراق ، ولا يروح من هذا اللقاء غير تجرح فراق جديد وتولد حزن شديد ،  
والمرة من الفراق مرة فكيف المرات ، والسهم منه نافذ فكيف السهتان ، وان كنا  
تفسيرنا عن ذلك الخلق ومشيئا في غير تلك الطرق ، فيجب ان ندل على ذلك بالاحوال  
لا بالاقوال ، والشيخ خليق ان لا يقل سيفا شحذه ولا يضيع لنا اتخذه ولا يمحطس زرعها  
سقاء .. ولقد أرخيت عنان خطابه وأوسحت ذرع عقابه ولكن لاخير للشيخ فيمن لا يحمى

( ١ ) انظر الانساب ٢١٣/٥ - ٢١٤ هجوية الوعاة ١٢٥/١ طبقات النجاه من ١٣٠ هـ

واللباب للجزري ٦٧/١

( ٢ ) اليقيه ٢٠٤/٤ - ٢٠٥

عرضه ، ويد الشيخ أطول من لسانى ومنانى وأمره أضى من قلبى ويبانى فلينلى لسين  
مسها وأنا بعيد ، كما نالتنى خشونتها وأنا قريب .. وفى الأرض تحول وعلى الله الممول (١)

وقد وجه الخوارزمى الى البلخى رسائل كثيرة يعتذر اليه ويكذب عن اتهمه  
بثلث عرضة . (٢)

٥٥

### (( الخوارزمى فى نيسابور ))

ثم تحول من حضرة البلخى فى بخارى الى نيسابور حيث التقى بأبى نصر  
أحمد بن على الميكالى فكان له منه ما أراد عزا وجاها وشوالا . فمدحه وأجاد واتصل بكبار  
رجال نيسابور من مثل كثير بن أحمد وصادقه (٣) ، كما اتصل بأبى الحسن القزوينى وأبى  
منصور الباقوى وأبى الحسن الحكيم (٤) ، وهم وجوه القوم ، فحصل له هناك ما افتقده  
فى حضرة بخارى .

٥٥

### (( فى سجستان ))

وكمادة الخوارزمى فى حب الترحال انتقل الى بلاط اخر هو بلاط طاهر بن محمد  
فى سجستان فارتفق منه وتمكن من صاحبه وطاب له العيش الا أن الايام لاتصفوا لاحد  
فقد وقعت بينهما جفوة لانصرف سببها وكان الخوارزمى حينها طويل القرون ، ثم

- 
- (١) انظر الرسائل ص ١٩  
(٢) انظر نفس المرجع ص ٢٧ ، ٥٦ ، ٥٧  
(٣) انظر اليتيمه ٤ / ٢٠٥ ، انظر رسائلها ليهرب ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، وفيها يلقبه بالشيخ  
(٤) انظر رسائلها ليهرب ١٦ ، وفيها يلقبه بالشيخ فلعله من شيوخه

أنه أديب عصره ، وقد تزود من الصلم فوق ما لى أقرانه ، فمثل له لا يهان ولا يحاسب  
 إذا هو بجوهرة تجب المحافظة عليها ، فهو معتز بنفسه شامع بأنفه حتى على الوزراء  
 وهذا هو شصوره الذى تترجمه رسالته التالية : ( انكر الشيعى عزوف نفسى عن مواقف  
 البذلة ، والادب سلطان ينسى هيبه السلطان ولطول المشرة دالة تقيم الملوك مقام  
 النظراء والاخوان ) (١) .

وهذا الشصور هو الذى جعله فى صراع مستمر مع وزراء عصره ، فتمزة نفس الخوارزمى  
 وشصوره القوى بقيته الادبية لاتتلاطم وما يتطلبه وزراء زمانه من خضوع الاديب لهم وتصاغره  
 بين أيديهم . ونتيجة لهذا كان صدامه الاول مع ملازمين محمد ، فلم يوش الخوارزمى  
 من طاهران يماطله هذه المعاملة فانتصر لكرامته بهجائه .. واحتدم الخصام بينهم كما  
 فكانت كسرتة الاولى حين ذاق مرارة السجن على يديه . وطال بقاءه فى سجنه ..

وقد أثرت هذه الحادثة فى نفسه وضممت من عزتها . ورغم انه بعث بقصيدة  
 للميكالى تفيض بالاسى والحزن يظهر فيها ندمه على مفارقتة ويشكو اليه سوء حاله فقد  
 بقى فى سجنه حتى جعل الله له من ضيق السجن مخرجاً (٢) .

( ١ ) انظر الرسائل ص ١٩

( ٢ ) انظر اليتيمه ٢٠٥ / ٤ وانظر هذه الرسالة ص ٢٤٧ .

(( الخوارزمي في طبرستان ))

ويعد أن استباح الخروي من سجن طاهر ، توجه تلقاء طبرستان فكانت حاله  
مع صاحبها بحاله مع طاهر بن محمد ، إلا أن المؤرخين لم يذكروا أنه سجن فيها ، ولكنه  
وجه إلى واليها هجاء هو أقرب إلى المتب . . . يشتم فيه بخلفهم ومنصمهم له عن مفاد رثهم  
يقول : ( ١ )

ألا أبلغ بني شار كذا مـــــــــــــــسى	ومن لم يلقهم فهو المصيرـــــــــــــــد
علم ابتصموا فرسا عتيقـــــــــــــــسا	وليرلد يكم علف عتيـــــــــــــــد ؟
وفيم حبستم في البيت بـــــــــــــــسا زا	يحيس الظير عنه أو يحيســـــــــــــــد ؟
فلا قربتموه فعلفتـــــــــــــــوه	ولا خليتكم عنه يميمـــــــــــــــد

وتال في واليها أيضا : ( ٢ )

أحيس قلمت نابي كل أفـــــــــــــــسى	وحادات أسد بيشة عن فنائــــــــــــسى
وتال الناصر ان سمصوا كذا مــــــــــــسى	ألم تكن الثواكب في السمــــــــــــسا ؟
يخوفني الكـــــــــــــــاد على متاعي	وهل يخشى كساد الكيــــــــــــسا ؟

(( الخوارزمي في أصفهان ))

ويعد تركه لطبرستان عاد ثانية إلى نيسابور ويقى بها حتى ( ٣ ) جذبته خفسرة  
المصاحب بأصفهان . . . فنجحت سفرته ، وريحت تجارته كما يقول الثعالبى ، فقد جعله  
المصاحب من ندمائه وخاصته وكان يكرمه ويفدى عليه الاموال بلا حساب . . . فقطابله المقام  
وحسنت حاله وكثر ماله . . . وقد اشاد الخوارزمي بثرم المصاحب له في رسائل كثيرة منها :  
” فانهو الا ان وردت حضرته حتى انشال على من عطاياه الفزار ومن نعمة الضرائب الا بكسار  
ماصير امسى ابغى بيوى الي ويري اكرمها على . . . ” ( ٤ )

( ١ ) التيمة ٢٠٧/٤	( ٢ ) نفر المرجع ٢٠٧/٤
( ٣ ) نفر المرجع ٢٠٧/٤	( ٤ ) رسائل الخوارزمي ص ١٠٣

ويقول في رسالة آخر كتبها الحاكم نيسابور يصور منه الاحتفاء المصاحب به أول نزوله  
 " وردت أيد الله الحاكم من الوزير على وجه يستطيل اليوم اذا بعدت عنه ويستقصر الدهر  
 اذا قربت منه - أبداع في اكرامى بدائع لو كانت كلمات لكنت أمثاله ولو كانت أبياتنا  
 لكنت أفرادا ، وكسائى طرازا من الصيانة ضفت عليّ ذيلوله . . وخاطبني بكنام كأنما  
 خلق من خلقه حسنا ورقة ، وكأنما اقتطع من كدمه لطفًا ودقة ووعدني مواعيد في صحبسة  
 العدل والتوحيد ورقا في غاية تزلق رجل المني ، ويقصر د منها هم الورى ، وتخرج سسل  
 خلفها الدرجات الحلا . " ( ١ )

ويقول من أخرى : " ولقد اصلحتى هذا السيد وقرينى من الناس . . ومن أحمد  
 مراده وصادق من الماء والثلا مراده له يشرب الا من غفوه ولم ينال من غفوه ولم يلق د لوه  
 الا فى جمه . . فيها انا أصبح وأصعب بين السرور والبنال ، واتقلب بين المن والنه سسل ،  
 وأردد الطرف بين الخيل والخول . . قد استوفيت على الايام حواصلى وبهاياى وضمت على  
 مطالبى منها يمتاى ويسراى وأصبح أعدائى وهم بالحاجة الى أولياى ، كما أصبح أصدقاى  
 وهم بالحد لى أعدائى . . فلا طريق الى للفقر ولا منفذ فى لسهام الدهر " ( ٢ )

ومما يدل على تشريبا لصاحب للخرازى ويمدنى ما ذكره من احتفائه به قول الصا  
 فيه : ( ٣ )

أسعدك الله بيوم القـــــــــــــــــصـــــــــــــــــح	وعشت ماشئت بيوم مـــــــــــــــــح
يا رأس مالي فى الورى ورحــــــــــــــــسى	وتفرى ونصرتى ونجــــــــــــــــسى
شربا ولا تصغ لاهل النــــــــــــــــصــــــــــــــــح	فالعزم أن تسكر قبل تصحــــــــــــــــسى

سكرك النصارى فى غداة القــــــــــــــــصــــــــــــــــح

( ١ ) انظر الرسائل ص ٩٢

( ٢ ) الرسائل ص ١٠٤

( ٣ ) اليتيمة ٢١٧/٣

ومما يدل على تقديمه له وإيثاره على غيره من الأدباء قون التوحيد وللخوارزمسى  
 " كيف وجدت صاحب وقد أعطاك وأولاك وقد ملك وآثرك وسفر لك الى عضد الدولة ؟ (١)

واحتفاءه لصاحب للخوارزمسى انما كان لمعرفته بمنزلة الاديبوما اشتهر به من  
 سمة الثقافة وقوة الحفظ . . . والصاحب يعرف كيف يختار ندماه من الأدباء المشهورين  
 الذين يجد عند هم ما يبارفهم ويذيع ذكره وان كان التوحيد يبرج ذلك مرة السى  
 خوفه لصاحب من لسان الخوارزمسى فهو يقول : " وقد شاهدت النافقين عليه ( يمسنى  
 الصاحب ) والمتقدمين لديه ووقفت على مرادهم ووسائلهم وأسبابهم وذرائعهم فلسم  
 ا د فيهم الا مخشى اللسان استكف شره بالاحسان كالخوارزمسى " . ( ٢ )

ومرة يرجعه الى سبب آخر ، هو أن صاحب جمل الخوارزمسى جاسوسا على محمد  
 ابن ابراهيم - صاحب جيش نيسابور - حيث يقول التوحيد : " وكان الخوارزمسى أقصح  
 الناس ما رأيت انا في المعجم مثله وانما نوله صاحب ما نوله ، وخوله ما خوله ، لانه انكاه عيننا  
 على " محمد بن ابراهيم صاحب الجيش بنيسابور " واستطلى فيه أخبار المشرق ومهـذا  
 المصنى استدر له من ملك بغداد بواسطة ابن يوسف " . ( ٣ )

وهذه تهمة لو صحت تجرد الخوارزمسى من الشلق والفضل وتجعل له حرفة أخرى  
 بعيدة كل البعد عن مجال الادب ولكن التوحيد يكثر من اتهامه للصاحب ، ولعل هذا  
 بعذر الشر الذي أصاب المحيطين به . ومع ذلك فنحن لا نبرىء الصاحب ولا الخوارزمسى  
 فقد كانت استقامة الخلق في ذلك العصر نادرة . . خاصة أن محمد بن ابراهيم هذا قد ثبت  
 انه سجن الخوارزمسى . (٤)

( ١ ) مثال الوزيرين ص ١٣١

( ٢ ) انظر مثال الوزيرين ص ١٣١

( ٣ ) نفس المرجع ص ٧٧

( ٤ ) انظر رسائل الخوارزمسى ص ٥٩

وعلى أن كان فقد كان اكرام الصحاب للخوازي فوق ما كان يتوقع وقد قابل ذلك الخوازي بدائع خبرها فيه نثرا وشعرا قد توازي ذلك الاكرام . . . فقد كان من اكسير المنابر التي اشادت بكرم الصحاب وفضله واشاعت ذكره في الامصار . . . من ذلك قوله :  
 \* وما ظن السيد برجل ليس لمطائه اسم غير الجزيل ، ولا لفعاله نعمت الا الجميل . . .

لا عيب فيه يماب الا انفسى امسى عليه من المنون شقيقا (١)

بل عيبه انه في زمان لا يسمه ، وفي عالم لا يستحقه واقل ما عنده ، ان عطايه صسبورت المعجم شاعرا ، وجملة المقيف سائلا ما رأيت حضرة اشرف منهاد اخلا راجيا ولا خارجا راجيا ، ولا اجمع فيها بين وجهين مختلفين من بلدين متباعدين قد فرق بينهما الاصل والنسب ، وجمع بينهما القصد والطلب ، فوردنا وهما أعزى من الحية ، وصدا وهما اكسى من الكلبة . . . حتى قد صارت مجمع الرجال ومثابة المطا ، وملق الرجال وموسم الشعراء وترارة ينصب اليها العلم والادب وقبلة يهوى اليها المعجم والمرب . . . جمع طبقات أهل الفضل : رجالان اما اليه نفاعن واما بحضرته قاطن ، فالنفاعن يحسد القاطن والقاطن يستهطل النفاعن . . . فقد نفخت اليه البلاد رجالها وأبرزت له جمالها . . . وحسبه بالفن جمالها وبالا حسان جازبا . . . ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا " (٢)

وام يزن الخوازي في هذا العيب الهنيئ يحيك بقله مدائح في الصحاب تسرى فسى البلاد وتتناقلها الالسن ، ولا ندري كم مكث بهذه الحضرة التي يصفها أجمل وصف ، وان كنت اظن أنه اطلال بها المكوث . . .

(١) هكذا في الأصل . . .

(٢) الرسائل في ١٠٣ هـ ١٠٤

(( الخوارزمي في شمس سيرة ))

وقد كان من فضائل صاحبه عليه أن أوصله إلى عهد الدولة بن بويه السني  
أحسن وفادته حتى أنه أجرى له راتباً يصله إلى نيسابور كل عام وهكذا أوصل الخوارزمي إلى  
منزلة يحسد عليها .

فتفرغ للتدريس والمعلم والادب، وقد طرحت  
مداخله له يصف فارس وقد له فيها : ( ١ )

إذا جاءت لتطلب ما تصيبك	تفارقها السباع إلى سواها
تمثل في الكوز له يزيبك	كان اللص فيها رافضك
وتالوا قد تحصنت الحسد ود	ولما أكثر الحسد فيه
لا مر ما يسود من يسود	أجاب الفضل عنه حاسد

وله من فيه أخرى : ( ٢ )

واغرب منه بمد رؤيته الفقير	غريب علي الأيام وجد ان مثله
ولا عبد الا وهو في عدله حير	فلا حر الا وهو عيد لجسود
وفينا لان جزنا على باب كسير	عجبت له لم يلبس الكبر حلسة

وهكذا بقى الخوارزمي يتلقى الخطايا والهيات من أغني رجلين في عرق الدولة  
الاسلامية وهو لا يطلع أن يصل الي من هو أعظم منهما إلى أن بلغ أيام تاش الحاحب  
وكان الخوارزمي يفتن من سلطان خراسان ويتمصلا بويه تصبها شد يداه فتصبر  
له الخوارزمي وسمت بمحين عاد من خراسان منهمزما ونقل عنه أنه قال فيه وهو الوزير العتيبي :

- 
- ( ١ ) بدائع الملح ص ٥٥٥ ٥٦ والتوضيح في شرح المقامات ص ١٧١ ، ولم يذكر سوى  
البيت الثاني .
- ( ٢ ) البيتية ٤ / ٢٢٤



" قبحا له وللوزير أبي الحسن المتبى " وأبلغ المتبى أبياتا زورت على لسان  
الخوارزمي منها : (١)

قل للوزير آزال الله د ولتـــــــسه  
جزيت صرفا على قول ابن منصور

فما كان من المتبى الا أن أمر " تاشن وابن المنظر الرعيني بنيسابور بأخذه ومصادرة  
أمواله وقطع لسانه هفتول الرعيني حبسه وتقيده .٠٠ الا أن الخوارزمي احتال على المكلفين  
بحبسه وشغلهم بالطعام والشراب كما يقوون الثعالبى . فهرببتكرا الى حضرة المصاحب  
بجرجان وكان لا يزال على صلة وثيقة به فعاد بره .٠٠ وكان حظه لا يزال يساعد فاتفق  
أن قتل أبو الحسن المتبى وقام مقامه أبو الحسين المزنى وكان الاخير أشد الناس حال للخوارزمي  
فاستدعاه وزاد في إكراهه وكتب الى نيسابور بريد ما أخذ منه فزادت حاله حسنا وقد مه ثبوتا  
ونظر اليه ولاية نيسابور بحسين العسمة والاحتشام والاعظام فارتفع بمقداره  
وطاب عينه " (٢) ثم حصلت بينه وبين المصاحب جفوة لا تدرى سببها . ولم يذكر سر  
الثعالبى شيئا عن هذا الخلاف .٠٠

ورسائل الخوارزمي خالية مما يشير الى هذه الجفوة . فكل رسائله اليه ليس فيها  
الا الاحادة بمكانته وشكره على ما أولاه .٠٠ وكلها يشير الى هذه الجفوة هو هذا ان البيتان  
الذان ينسبان للخوارزمي علما أنه لم يذكرهما الثعالبى : (٣)

لا تحمدن ابن عباد وان هدطلست      كفاء بالجود سحا يخجل الديما  
فانها خطرات من وساوســـــــسه      يمطى ويمنع لا بخلا ولا كرمـــــــسا

(١) البيهقي ٢٠٨/٤

(٢) نفس المرجع ٢٠٨/٤

(٣) نزهة الألباء ٣٢٦ امرأة الجنان ٤١٧/٢ وفيات الأيمان ٤٠٢/٤ مجمع الأدب ٤٠٢

٢٥٦/٦ الوافي ١٩٢/٣ انوار الريح ١٦٠/٢

ولعلها مدسوسان عليه كما دس عليه هجاء المتبى غير أن ما يعضد هسند  
الرواية هجاء الصاحب للخوارزمي بعد موته حيث قال فيه : (١)

سألت بريدًا من خراسان جانيها      أما خوارزميكم قال لي نعم  
فقلت انتبوا بالجس من فوق قبره      ألا لمن الرحمن من يقفر النعم

وان لبريد هذان البيتان في اليتيمة أيضا . وقد يعنى بها الصاحب خوارزمي  
آخر وكل ما ورد في اليتيمة من هجاء الخوارزمي للصاحب هو قوله : (٢)

صاحبنا أحواله عاليه      لكما عرفت من خالويه  
وان عرفت السر من دأبيه      لم تسأل الله سوى العافيه

على أنني لا استبعد أن يكون الخوارزمي ترك الصاحب مغانبا لسبب أو لاسباب  
خاصة أن التوحيد في اذنا صدق - يروى لنا قصة غريبة من حياة الصاحب له تجعل  
الخوارزمي يختار بعد على قربه مهما كان عظيم عدائته له . يقوى التوحيدى : حضر الخوارزمي  
يوما وجرى حديث القافة فقال الخوارزمي : دخل محرز المدلجى على رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فنظر الى أقدام اسامة وزيد فقال : هذه أقدام بعض من بعض وصحف  
البائس كما يهحف النابر العلماء ومن دونهم ، وكان ابن عباس على بركة فما زال يدور حول  
البركة وهو يصفح الخوارزمي ويقول : محرز بحياتي ؟ الى أن رفع الخوارزمي وتحنى وخبر  
فهذا اوماذ اناه هو الذى يفسد به ما يفعله من الخير والبر" (٤) ويروى التوحيدى أيضا  
عن الخوارزمي فى الصاحب تولا " ان صدق التوحيدى فهو دليل على ما حصل بينهما من جفوة  
وذلك أن التوحيدى سأل الخوارزمي : كيف وجدنا صاحب ؟ فقال : دعنى ما هناك .

(١) نزهة الالهاء ص ٣٢٦ مرآة الجنان ٤١٧/٢ هـ الموافق ١٩٣/٣

(٢) اليتيمة ٢٨٢/٣

(٣) التصحيف : ان يأخذ الرجل اللفظ من قراءة ، ولم يكن سمعه من الرجال فيخيره

عن الصواب - أنوار الريح ١٨٣/١

(٤) مثالب الوزيرين ص ٧٨

والله انه لخوار في المكارم صبار على الملامح زحاف الى المآثم سماح للنمائم مقدم على سبى  
 الملائم يدعو الى العدل والتوحيد ويدعى الوجد والتخليد ثم يخلو باستعمال الامسور  
 ويسمته على الفسوق والفجور ويمسى وهو يور ويصبح وما على وجهه نور " ( ١ )

ولكن ثماقلنا لا نستطيع ان نمون على قول التوحيدى اذ هو خصم لدود للمصاحب  
 فقد يزور على الخوارزم ما يشوه به سمعة المصاحب .

ولم تكن رحلات الخوارزم مقصورة على من ذكرنا فقد كانت صلواته بجميع رؤساء  
 الاقاليم الفارسية بدليل مراسلته لهم من مثل رثيق اقليم خوارزم ووطوس ونيسابور ونيسابور  
 وسرخس وسمرقند والختل ووقم والصفانيان وقومس ودامغان " ( ٢ )

كما وجدنا انه دخل السجن أربع مرات من قبل طاهر بن محمد والصبي وصاحب  
 الجيوش محمد بن ابراهيم ، وصاحب هراة ، مما جعله سبي " الظن بولادة عصره بمسجد  
 ان ذلك نفسه وقد كانت عزيزة طموحة .

وبعد فهذه رحلات الخوارزم وقد كان الطاهر المهاجر لا يستقر بمكان ولا  
 يأويه مقر .

- ٠ -

( ١ ) نفس المرجع ص ٧٧

( ٢ ) انظر رسائل الخوارزمي ص ١٠ ١٢ ١٤ ٢٤ ٢٥ ٣١ ٣٧ ٤٧ ٤٨ ٤٩

## الباب الثالث

• أربعة وأسماءها •

## الفصل الأول

" مصادراً لهذه المخطوط منها والمطبوع "

- ( ١ ) رسائله : وهي أشهر مؤلفاته ، ولعمري أشهر الرسائل بسبب على الاطلاق . . . وقد طبعت عدة طبعات : في كوبرلي سنة ١٢٧٤ هـ ، ومولاي سنة ١٢٧٩ هـ ، واستانبول سنة ١٢٩٧ هـ ، ومباي سنة ١٣٠١ هـ والطبعة المثمانية سنة ١٣١٢ هـ وهي التي اعتمدت عليها - ولعل آخر طبعاتها طبعة بسيروت سنة ١٩٧٠ م . . . وهي طبعة كثيرة الأخطاء والتحريف . . . وما يدل على شهرة هذه الرسائل ، تعدد مخطوطاتها ، فلا أظن أن تخلو منها مكتبة فلها نسخ في : برلين ٨٦٢٦ - ٨٦٢٧ ، وتونجن ٧١ رقم ١ ، وفيينا ٢٧٩ وليدن ٣٤٣ - ٣٤٤ ، وباريس أول ٦٠٠٩ ( مكاتب ) ، وكمبرج أول ١٤٩٩ - ١٥٠٠ ، وأيا صوفيا ٤٣١ ، وكوبرلي ١٢٩٣ ، وحيدية ١٢٠٠ ، وفيض الله ١٦٠٤ - ١٦٠٥ ، وعاسر أفندي ( السليمانية ) ٤٠٨ ، والموصل ٩٣ رقم ٣ ( ١ ) ومكتبة الحرم المكي الشريف ١٦١ ، ومكتبة المدنية العامة ١١١/٩٤ ، وذكر بروكلمان أن لها مخطوطة ببايزيد تحت رقم ٢٦٤٠ ( ٢ ) ، وعند مراجعتي لها وجدت لها ليديع الزمان كما سألين ذلك في هذا الفصل . . . ويظهر أن لها في بعض المكتبان أكثر من نسخة كمكتبة برلين ، وليدن ، . . . وكمبرج ، وفيض الله .

ويدلنا هذا المدد الكبير من مخطوطاتها على مالها من قيمة أدبية

خاصة في القديم . . . فقد كان المتأدون يتخذون منها مرجعاً . . . يستمدون منه ، وينسجون على منواله . . . ولم أحص - كما لا أظن أن أحداً يستطيع أن يحصى -

( ١ ) أكثر هذه المخطوطات ذكرها بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ١١١/٢ .

( ٢ ) أنظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١١١/٢ .

كل مخطوطاتها ، وهذا ما يشجع الباحثين على تحقيقها وان كان الحصول على كل مخطوطاتها ومقابلتها ببعضها يمد عائقا كبيرا في سبيل ذلك .  
لتمدها وتفرقتها في أنحاء العالم كما ذكرت .

والذي يلفت النظر هو أن مجموع رسائل الخوارزمي التي يحويها ديوان رسائله بلغ مائة وخمسا وخمسين رسالة ما بين طهلة وقصيرة ، وهو عدد قليل اذا ما قيس بشهرة الخوارزمي ومكانته الأدبية ، واذا ما قيس بحياته الحافلة بالصدقات ، وكثرة المكاتبات . . خاصة وأنه اتخذ منها حرفة له .

وللثعالبي قول يشير الى أن له رسائل قديمة ، حيث يقول :  
وقرأت فصلا للخوارزمي من رسائله القديمة <sup>(١)</sup> فهل يعنى هذا أن له رسائل قديمة وأخرى حديثة ، وأن ما وصلنا هو الرسائل الحديثة ؟

(٢) ديوان شمس : طبع بالقاهرة سنة ١٩٠٣ م ، كما يدعى بروكلمان <sup>(١)</sup> ، ولكنه الآن مفقود <sup>(٢)</sup> . . كما يذكر بروكلمان أن لديوانه مخطوطا بكامبرج تحت رقم ثالث ٥١٨ ، وقد بذلت جهدا للحصول على هذا المخطوط ولكنى لم أتمكن . . .

(١) شمار القلوب ص ٨٢ .

(٢) أنظر تاريخ الأدب العربي ١١/٢ ، ولعل بروكلمان يعنى ديوان الهمداني الذي طبع فعلا سنة ١٩٠٣ م بمصر . . فقد أخطأ بروكلمان ونسب مخطوطتي ديوان صاحب ابن مكنس للصاحب ابن عباد - أنظر كتاب "الصاحب ابن عباد" ص ٢١٤ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ١١/٢ وكشف الظنون ٧٠٧/٥ ، وشذرات الذهب ١٠٥/٣ ، وديع الزمان الهمداني رائد القصة ص ١٠٢ .

ويقول بروكلمان : " ان جامع مخطوط بايزيد يعيب أسماره عيبا شديدا " (١) وهو يعنى المخطوط .. الذى يحوى رسائل ومقاصد البديع والذى توهم بروكلمان أنها للخوارزمى وهو تحت رقم ٢٦٤١ . . كما سنرى . . ويعنى بجامع المخطوط " بديع الزمان " فقد وعد بنقد ديوان الخوارزمى كله ولكنه اقتصر على ثلاثة أبيات لا غير . .

(٢) ديوان شعر بالفارسية : بعنوان " محبت نامه " وجدته بالمكتبة الماسة بالرباط - وهو مصور عن مخطوطة موسكو سنة ١٩٦١ م تم نسخة سنة ٩١٢ هـ يقع فى ٥١ صفحة وهو تحت رقم ٢٤٢٤٨ فى المكتبة المذكورة .

(٤) كتاب الأمثال : مخطوط بمكتبة فيض الله باستانبول تحت رقم ٢١٢٣ نسخة سنة ١٠٢٨ هـ عن نسخة كتبت سنة ٤٤٢ هـ وقد وجدته ضمن مجموعة كتب بعضها للشعالي وبعضها مجهول المؤلف . . وتحتوى تلك المجموعة على الكتب الآتية :

- ١ - الأمثال ، وقد ثبت لدي أنه للخوارزمى ، وسوف أورد ما ثبت ذلك .
- ٢ - المنتخب من سنن الصرب ، وهو الذى سماه بروكلمان " المنتخب من سمر الصرب " (٢) .
- ٣ - سر الحقيقة .
- ٤ - تحسين القبيح وتقبيح الحسن .
- ٥ - المبهج .
- ٦ - تحفة الوزراء .
- ٧ - مواسم العمر .

(١) انظر تاريخ الأدب العربى ١١١/٢

(٢) أنظر نفس المرجع ١٩٧/٥

وقد نسبها بروكلمان للشعالبي (١) ماعدا كتاب " الأمثال " فلم يتعرض له -  
اعتمادا على ما كتبه مالك المخطوطة فيض الله مفتي السلطنة المليية العثمانية - والذي  
سميت المكتبة باسمه - فقد كتب هذا المالك على ظهر الغلاف الأول - بمسند  
أن عدد الكتب السبعة - " وكلها للشعالبي . "

أما الكتب نفسها فلم يذكر - لأبأ وأئلهما ولأبأ وأخوها - اسم طشير السبي  
مؤلفها ماعدا " الأمثال " الذي = سوف يرد ذكره . . -

ومع أن للشعالبي كتاب أمثال غير هذا الذي ورد ضمن هذه المجموعة  
فان بروكلمان لم يذكره ضمن مؤلفات الشعالبي . . أما كتاب تحسين القبيح وتقييح  
الحسن ، وتحفة الوزراء ، والمبهيج فمعروف أنها للشعالبي فقد أهدى الأول على  
عادته لأبي الحسن علي بن عيسى الكرجي والثاني لأبي عبد الله الحمد ونسب  
وزهر خوارزم شاه ، والثالث لشمس المعالي قابوس بن وشمكير ، ثم أن يذكر الخوارزمي  
فيها مما ينفي نسبتها للخوارزمي .

وأما كتاب : مواسم الحمر . . فقد يكون له ، فهو كتاب في الأذعية عبارة عن  
رسالة صغيرة لاتدل على مقدرة أدبية . . وأما كتاب " سر الحقيقة " ، والمنتخب  
من سنن العرب " فأشك أنهما للشعالبي ، لأنه لم يرد ما يثبت نسبتها له . . .  
سوى ما كتبه مالك المخطوطة على الغلاف الأول للمجموعة ، وهذا لا يمد دليلا  
يعتمد عليه ، وسأبين ذلك عند الحديث عن كتاب الأمثال . .

ورغم أن الشعالبي يذكر في مرآة المروءات (٢) انه ينوي تأليف كتاب فسي  
النقد ثم يذكر في تنمة اليتيمة أنه ماض في تأليف كتاب ولم يتمه ، وأنه ينوي أن يسميه

(١) أنظر تاريخ الأدب العربي ١٩٣/٥ ، ١٩٢ ،

(٢) أنظر ص ٤٤٤ .



ب " سر الصناعة " (١) وقد جاء ذكر الكتاب في الكتابين السابقين بمناسبة نقد الشمالي لبیت من الشعر ، وعليه فيمكن أن نستنتج أن كتابه هذا الذي لم يتمه ، مؤلف في النقد قياساً على نقده لذلك البيت .

أقول على الرغم من ذكر الشمالي لهذا الكتاب في الموضعين فانه لم يرد ذكره عند غيره ، وعلى الرغم من تقارب العنوانين ، فان كتاب " سر الحقيقة " ليس موضوعة النقد ، بل موضوعة كما ذكر مؤلفه في المقدمة :

" فيه ذكر من أخبر من العارفين عن حاله أو سئل عن مسألة فأجاب ببيت من الشعر - له أو لغيره - واستشهد به عن حاله أو سؤاله " (٢) .

يقودني شكى هذا الى أن أرجح أن هذا الكتاب قد يكون من مؤلفات الخوارزمي . . ذلك أن موضوعة دقيق ، يدل على سعة اطلاع وقوة حافظه . . ففى موضوع واحد ، وقد عرف الشمالي بالجمع بين المواضيع المختلفة . . وله أسلوب متميز فى ذلك . . .

ثم هو فى الأدب القديم الذى تخصص فيه الخوارزمي أكثر من غيره . . وأما " المنتخب من سنن العرب " فهو مؤلف فى علم البلاغة وقد قدم له مؤلفه بهذه الكلمات . هذا كتاب وضعته فى مجرى كلام العرب وسننها ، والاستشهادات من القرآن على أكثرها ، ووسمته بالمنتخب من سنن العرب (٣) وفيه ٩٧ فصلاً أولها تقديم المؤخر وتأخير المقدم ، وآخرها فى الحشو . . .

(١) ٣٦/٢  
 (٢) الورقة ص ٣ من المخطوطة ويقع الكتاب بين صفحتى ٦٩ - ١٠٢ من المجموعة .  
 (٢) ص ٣ من المخطوطة .

وقد يكون هذا الكتاب للخوارزمي أيضا بل ترجيحه أقوى من ترجيح —  
 " سر الحقيقة " وذلك أن الثعالبي لم يعرف عنه أنه ألف في هذا العلم ، فـ  
 حين أن الخوارزمي يمد من أعلام اللغة والبلاغة في عصره ، ويدل على تأليف  
 الخوارزمي في هذا العلم ما رواه صاحب كتاب " أنوار الربيع " في معرض ..  
 استشهاده لنوع من أنواع الهدى حيث قال : " واستشهد الأستاذ أبو بكر  
 الخوارزمي على هذا النوع ( معنى الطاعة والمصيان ) بقول المتنبي :

أرأيت همة ناقتي في ناقصة \* نقلت يدا سرحا وخفا مجسرا (١)

قال : أراد أن يقول : خفا خفيفا ، ليتفق له جناس الاشتقاق ، فلما لم يطعمه  
 الوزن ، ولا القافية ، عدل عن لفظة " خفيف " الى لفظة " مجمر " لما فيها من  
 معنى السرعة ، والخفة ، فكان تجنيسا معنويا ، فقد عماء الجنس اللفظي  
 وأطاعه الجنس المعنوي " (٢) .

وأما كتاب الأمثال وهو بيت القصيد .. وهو الكتاب الموجود ضمن مجموعة  
 (فيض الله) ، فقد ثبت لدي أنه من تأليف الخوارزمي وأن من نسبه للثعالبي  
 قد فلت في ذلك وهذه هي الأدلة .

(١) أسلوب مقدمته الذي يدل على تواضع مؤلفه وتصغير عمله .. وهذه طريقة  
 الخوارزمي : اسمه يقول لمن استماره رسائله : ... نسخة الرسائل  
 قد حملتها ، وما تساوى عندي أن تهدي الى أحد أو تحمل من بلد الى بلد ،  
 ولكن الشيخ اشتهاها شهوة ركب الخيل لركوب الحمار والبغل .. ولعله

(١) المجر اسم فاعل من : أجمر البحر اذا أسرع : والسرح : بضم السين :

السهلة السير ١٧/٦ - ١٨ .

(٢) أنوار الربيع ١٧/٦ - ١٨ .

أراد أن يضحك منها ندما<sup>١</sup> ويتحفا بها جلساءه<sup>(١)</sup> ، وهو نفس التواضع الذي نجده في مقدمة كتاب الأمثال هذا<sup>(٢)</sup> . في حين نجد أن الشمالي يفاخره<sup>٣</sup> بكتبه ويدعي أنه لم يسبق الي مثل فنه الذي ألف فيه ، اسمه يقول في مقدمة كتابه " تحسين القبيح " وما أراى سبقت الي مثله في طرائف المؤلفات ، ودائع المصنفات ، ولما ارتفع فربها فنى فنه بديما في حسنه خدمت به خزانة الشيخ<sup>(٣)</sup> .

(٢) أن للشمالي كتاب أمثال مخطوطا غير كتابنا هذا باستنبول " خزنه " تحت رقم ٣/١١٥٠ في ٦٨ ورقة وهو مصور في معهد احيا المخطوطات العربية بالقاهرة وتحت رقم ٦٢ .

وموضوعه يختلف عن موضوع كتاب أمثال الخوارزمي ، فهو مقسم الي أحد عشر ومائة باب وقد عقد كل باب لفرض يتناول ما قيل في مدح الشيء<sup>٤</sup> وذمه بعينه من القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال العرب ، والمعجم كما أودعه بهذا من أقواله في كتاب المبهج<sup>(٤)</sup> في حين أن كتاب الأمثال للخوارزمي اقتصر على أمثال المولدين ويختتمه بالارأجيز وأنصاف الأبيات القائمة بذاتها وأكبرها أمثال ورغم أن المخطوطين مصوران في معهد احيا المخطوطات أحد هما تحت رقم ٦٢ والآخر يليه مباشرة ان يقع تحت رقم ٦٣ ، فقد غلط مؤلف كتاب " الشمالي ناقد ا وأديبا " فاعتقد أنهما نسختان لكتاب واحد<sup>(٥)</sup> ، هو كتاب أمثال الشمالي مع الفرق الذي بيناه . .

- 
- (١) أنظر رسائل الخوارزمي ص ٩١ . (٢) أنظر هذه الرسالة ص ١٥٩ وطابعه .  
 (٣) أنظر المخطوطة ورقة رقم ٣ ، انظر أيضا مقدمة اليتيمة ١/٨٠ .  
 (٤) قارن ما بين ورقة رقم ٤ من الأمثال وص ٣٧ من المبهج .  
 (٥) أنظر ص ٨٧ .

ونستبعد أن يؤلف مؤلف كتابين باسم واحد في فن واحد . .

( ٣ ) أن المؤرخين وكتاب الأمثال ، ذكروا أن الخوارزمي ألف كتابا في أمثال المولدين فهذا البيهقي يقول عنه في كتابه " غرر الأمثال : " انه ألف كتابا في الأمثال المولدة " (١) ، وقال الميداني : " ورأيت في أمالي الخوارزمي لا أقفل كذا ماغبافيس " ، أن معنى غبا : أظلم (٢) . . في معرض شرح الميداني لهذا المثل . . ويقول شهاب الدين الخفاجسي بعد إيراده المثل ( أكذب من زرق ) : قاله أبو بكر الخوارزمي في أمثاله ولم يذكر كونه مولدا لكنه ذكر في اللفظة الساسانية وهو يدل على أنه مولد " (٣) .

( ٤ ) أنه مكتوب بأخر صفحة لهذا الكتاب بخط الناسخ النص التالي : " آخر كتاب الأمثال جمع أبي بكر الخوارزمي " ، ويظهر هذا في الصورة المقابلة . . ولعل بروكلمان اقتنع بهذا فلم ينسب الكتاب للشمالي ، مع أنه نسب كل كتب المجموعة سالفة الذكر له ، إذ أن الناسخ أصدق من مالك المخطوطة الذي غلط حتى في اسم الشمالي حيث كتب على نفس الصفحة " تأليف الشيخ الامام العالم الفاضل . . . أبي اسماعيل بن عبد الملك بن منصور الشمالي " في حين أن اسم الشمالي الكامل هو : " أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري " ولم يخالف في هذا أحد من المؤرخين (٤) . . وهذا الأدلة كلها اتضح لي بالدليل القاطع أن كتاب الأمثال المذكور للخوارزمي ، وأن كتابة مالك المخطوطة لا تعد أكثر من توهم أن كل المجموعة من تأليف الشمالي ولو قرأ الأمثال لاخرها لتبين له خطأه .

- ( ١ ) أنظر الأمثال القديمة ص ٢١٦ .  
 ( ٢ ) أنظر مجمع الأشال ٢٣٩/٢ وفبيس : الليل ٢٣٩/٢ القاموس المحيط .  
 ( ٣ ) أنظر شفاء الخليل ص ١٤٣ وص ٢٧٩ . ( ٤ ) أنظر كتاب الشمالي ناقدًا وأديبا ص ١٧ .

وهذا الأمر يدغمنا للتساؤل : هل بعض الكتب التي نسبت للشعالبي

واشتهرت باسمه هي من تأليف الخوارزمي ؟

هذا جائز - خاصة وأن الشعالبي تلميذ للخوارزمي ، وقد توفي الأخير خلفاً وراءه مكتبة عامرة بمؤلفاته ومقتنياته ، وأظن أن هذه المؤلفات بقيت تحسنت رعاية الشعالبي . . . أما بالاتصال بها للاستفادة منها أو لوجودها بين يديه . . . فقد ذكر الشعالبي ما يدل على فضل أستاذه عليه في أكثر ما كتب كقوله : في السرى الرفاء : " أحسب أنني استغرقت شعره لجمي بين لع أنشدنيها وأنسخنيها - أبو بكر الخوارزمي " (١) وقوله " وجدت بخط الخوارزمي " (٢) وقوله : " وأعطاني نسختي القصيدتين اللتين ذكرهما في الكتاب " (٣) وقوله : " ما كان أكثر ما ينشديني ويكتبني مما يضمن به علي غيري " (٤) ، وكثيراً ما ينقل عنه . ولا يكاد يخلو كتاب من كتب الشعالبي من ذكر شيء من أدب الخوارزمي حتى أنه يمكن أن نحصي ذكر الشعالبي للخوارزمي في أي كتاب له دليل على نسبه له . . . ولا شك أن حرص الشعالبي على كتب أستاذه جعله يفتنيها ، حتى إذا توفي الشعالبي وجاء بمسوده من ينسخ كتبه أو يجمعها . . . سواء بعد زمن طويل أو قصير - جمع كتبه وكتب أستاذه وظن أنها كلها له لوجودها في مكتبته الخاصة ولكرته تأليفه ، وهو احتمال غير مستبعد . . . بدليل ما وجدناه في مخطوطة فيض الله .

والاحتمال الثاني - وأن كان بعيداً - أن الشعالبي استغل مؤلفات الخوارزمي - وخاصة التي لم تذع بين الناس - ونسبها إلى نفسه لينال بها إعطيات أمراء عصره الذين كانوا يجزلون العطاء للمؤلفين ( خاصة أولئك الذين يهدونهم باسمهم ) . . . وتحقيق هذه القضية لا يتسع له بحثي . . . وكفى أني أشرت إليه

( ١ ) اليتيمة ١١٩/٢

( ٢ ) نفس المصدر ١/١٠٠

( ٣ ) نفس المصدر ٣/٢٩٦

( ٤ ) نفس المصدر ١/٢٦

ونبهت عليه ،

( ٥ ) كتاب " مفيد العلوم ومفيد الهموم " : هذا الكتاب ينسبه له مؤرخو الأدب المتأخرون (١) ولم يشف عنهم سوى صاحب كتاب كشف الظنون حين حيث نسبه لبعض المضاربة (٢) ، وقد طبع هذا الكتاب باسم الشيخ الامام العلامة : جمال الدين أبي بكر الخوارزمي غير أن أكثر مواضيعه دينية في التوحيد والفقہ والايمان والمذاهب والجغرافيا . . . ولم يعرف عن أبي بكر الخوارزمي أنه كان يؤلف في هذه المواضيع ، كما أن المؤلف يذكر قولاً مشهوراً ذكرته كثير من المصادر لأبي بكر الخوارزمي (٣) مستشهداً به إذ قال - في معرض كلامه عن أليب البلاد وأنزهها : " قال أبو بكر الخوارزمي : رأيت هذه المواضع كلها ، فأطيبها وأحسنها غوطة دمشق . . . " (٤) فلو كان الكتاب له ، لم يتكلم عن نفسه بضمير الغائب وينسب القول لنفسه بهذه الصيغة . . . ولو كان في أول الكلام لجاز أنه يتحدث بطريقة القدماء في تفخيم أنفسهم .

ثم أن مؤلف هذا الكتاب يقول : " افترت الأمة من أهل القبلة على اثنتين وسبعين فرقة ، أهل الحق منهم السنية الأشعرية ، ومن سواهم فضلال " (٥) ويقول : " والدليل على أن الناجي أهل السنة دون . . .

( ١ ) أنظر معجم المطبوعات العربية والمصرية ١ / ٨٣٨ .

( ٢ ) ١٧٧٧ / ٢ .

( ٣ ) أنظر ثمار القلوب ٥٢٦ ، ومعجم البلدان ٢ / ٤٦٤ ، وآثار البلاد وأخبار العباد ص ١٨٩ ، ٢٨٢ وبلوغ الأرب ١ / ١٨٦ ، وروضات الجنات ٨ / ٨٨ ، وغيرها .

( ٤ ) ص ١١٢ .

( ٥ ) ص ١٥ .

القدرية والمشبهة والروافض ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
 " ما أنا عليه .. " (١) ويقول : " ومن سواهم فضلال فالطائفة الأولى غلاة  
 الممتزلة ... والخوارج والنجارية والجهمية والروافض " (٢) . ويقول  
 عن أهل السنة أيضا : " لا يغالون في عداوة الصحابة فيكونون كالروافض  
 ولا يقصرون في محبة عثمان وعلي فيكونون كالخوارج " (٣) .

فهل يعمق أن يكون مؤلف هذا الكتاب وقائل هذه المبارات هو  
 الخوارزمي ؟ وهو من <sup>هو</sup> في تعصبه للروافض من الشيعة ؟ ، وتكفي رسالته  
 الموجبة لجماعة الشيعة بنيسابور لما قصد هم واليها : (٤) ردا على هذا .  
 وأهم من هذا كله أنه يوجد لهذا الكتاب نسخة بنفس المقدمة والابواب  
 بالمتحف البريطاني تحت رقم ٧١٢ (٥) للامام جمال الدين أبي عبد الله  
 محمد بن أحمد القزويني . فكيف نسب هذا الكتاب لأبي بكر ؟  
 والسؤال - طبعا - يوجه للناشر للكتاب ( المطبعة اليوسفية بمصر )  
 والذي لم يذكر حتى تاريخ طبعته .

(٦) رسم العمود من البلاد : نسبة اليه خطأ صاحب كتاب " هدية العارفين ،  
 وصاحب كتاب " معجم المؤلفين " (٧) وكذا " أنوار الربيع " (٨) . وهذا  
 الكتاب في علم الجغرافيا لمحمد بن موسى بن شاكر الخوارزمي المتوفى سنة  
 ٢٥٩ هـ وهو مطبوع باسم مؤلفه الحقيقي (٩) .

- 
- |     |                                       |     |                             |
|-----|---------------------------------------|-----|-----------------------------|
| (١) | ص ٣٢                                  | (٢) | ص ١٥٠                       |
| (٣) | ص ٣٣                                  | (٤) | أنظر رسائل الخوارزمي ص ٧٦-٣ |
| (٥) | أنظر ملحق فهرس المتحف البريطاني ص ٤٨٥ |     |                             |
| (٦) | ٥٧/٦                                  |     |                             |
| (٧) | ١٢٠/١٠                                |     |                             |
| (٨) | ١٨٩/١                                 |     | وذكر الديار بدل البلاد .    |
| (٩) | أنظر فهرس دار الكتب المصرية ٣٩/٦      |     |                             |

(٦) **المكارم والمفاضل** : نشره عزت المطار وكتب على غلافه " لا بئى بغير محمد بن العباس الخوارزمي والناسر لا يملك على نسبه للخوارزمي سوى أسلوب الكتاب الذي يشبه أسلوب الخوارزمي . . . ان يقول : " أننا لا نملك من الأدلة ما يثبت صحة نسبة هذه الرسالة للخوارزمي . . . ونكاد نجزم أنها لا بد أن تكون من انشاء ووضعه ، لأن طريقته في الكتابة وأسلوبه في التركيب يتجلمان في انشاء الرسالة وأسلوب تأليفها " (١)

فالرسالة اذا مجهولة المؤلف ونشرها نسبها للخوارزمي اجتهادا منه لقرب أسلوبها من أسلوبه . وهو يعنى أسلوب الخوارزمي في رسائله ان هي الكتاب المشهور . . .

وأنا أستبعد أن تكون هذه الرسالة للخوارزمي لأمرين :

الأول : أنه اذا لم يكن لدى الناشر سوى هذا السبب لنسبته لـ الخوارزمي فهو سبب ضعيف ، ذلك أن أسلوب هذه الرسالة يفتقر إلى الترسل وعدم الاكترات والاحتفال بالتركيب . . . وأسلوب الخوارزمي أسلوب مصنع مسجوع يحتفل فيه بالألفاظ ويعتمد اختيارها - بالرغم من أن الخوارزمي انما يسجع ويتصنع في رسائله الأدبية - ليظهر مقدرته الفنية فيها فاذا كتب في المواضيع العلمية = لطف أسلوبه وسهل ، ومال الى الترسل ، كما نرى ذلك في مقدمة كتاب الامثال .

والثاني : أن مؤلف هذه الرسالة يقول : في معرض ذكره لأجواد العرب في الجاهلية حاثا الحنفية على السخاء والبذل والكرم : " فهذا يا معشر العظماء أخلاق من لا يؤمن بالله واليوم الآخر فهل ترى اليوم في الحنفية من يباريهم ويسامهم ؟ هيئات " (٢) .



وهذا يدلنا على أن مؤلف هذه الرسالة من شيخ الحنفية ، إذ هو يبحث أهل مذهبه على الجود والسخاء . . والخوارزمي عرفناه متشيعا فمالسه وللحنفية ؟ . . ويظهر أن اتفاق أبي بكر الخوارزمي مع أكثر من واحد من مؤلفي عصره في الكنية والنسبة هو سبب خلط كثير من المحدثين بين مؤلفاته ومؤلفات غيره . . فهناك محمد بن موسى / شيخ أهل الرأي وفقههم انتهت إليه الرئاسة في مذهب أبي حنيفة توفي سنة ٤٠٣ هـ (١) . وهناك محمد بن موسى بن عثمان بن موسى (٢) . . و / محمد بن أحمد بن غالب / ت ٤٢٥ هـ (٣) ، وكلهم يكنى ويلقب بـ "أبي بكر الخوارزمي" حتى أن بعضهم خلط بينهم حتى في الترجمة . . كما ترى ذلك عند "الفيست فيليب دي طرازي" الذي يقول عن أبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي "كان ورعا متقنا مهتتا لم ير في شيوخنا أثبت منه ، وصنف تصانيف كثيرة ، وكان له كتب كثيرة . وكان عدد أسفاط كتبه ثلاثة وستين سفاطا وصندا وثلاثين وهذه الترجمة كما هي ثابتة في تاريخ الخطيب هي لخوارزمي آخره هو شيخ الحنفية في بغداد السابق ذكره" (٥) .

(٨) كتاب مطالع : وذكر بروكلمان : أن للخوارزمي مقامات ضمن رسالته المخطوطة ببايزيد ٢٦٤٠ " يبرز فيها عيسى بن هشام كما في مقامات بديع الزمان الهمداني " (٦) ويقول في موضع آخر بناء على هذا : " أن بديع الزمان الهمداني مبتكر فن المقامات في الأدب العربي إذا لم يكن منافسه الخوارزمي سبق إلى ذلك " . . (٦) .

- 
- (١) أنظر المنتظم ٢٦٦/٧ ، وتاريخ بغداد ٢٤٧/٣ ، ومجمع الأدباء ٦٨٠٦٧/١ .  
 (٢) أنظر طبقات الشافعية ١٨٩/٤ .  
 (٣) نفس المصدر ١٩/٣ وتاريخ بغداد ٣٧٦-٣٧٣/٤ .  
 (٤) خزائن الكتب العربية في الخافقين ٧٢٤/٢ .  
 (٥) أنظر تاريخ بغداد ٢٤٧/٣ . (٦) تاريخ الأدب العربي ١١١/٢ .

وكان هذا القول من بروكلمان حافظاً قويا لى لاكتشف هذه المقامات وهو اكتشاف لو تم يمكن أن يغير مفاهيم كثيرة عن القضايا الأدبية وخاصة " قضية اختراع المقامات " التي شغلت الأدباء طويلا . . ولكنى أصببت بخيبة أمل = بعد أن تكبدت مشاق السفر الى استانبول = لأجد أن كل ماتحويه المخطوطة من رسائل ومقامات هو لبديع الزمان . . . والذي أؤهم بروكلمان - وجعلنى أتحمل نتيجة غلطته ولعلنى ليس الوحيد - أمران : الأول : تفسير صاحب المكتبة أو مالك المخطوطة عنوان الكتاب فعنوان الكتاب هو " كتاب مقامات الأستاذ بديع الزمان أبى الفضل أحمد بن الحسين الهذاني - رحمه الله تعالى - " فحرفه ليصبح كالآتى : " رد الأستاذ الحافظ بديع الزمان أبى الفضل أحمد بن الحسين الهذاني - رحمه الله تعالى لمقامات خوارزمي " . . كما كتب على حافة المخطوطة " مقامات البديعي ومقامات خوارزمي " . . ولكن التحريف واضح يدرك من أول نظرة . . هتى أنه حرف فى الأسماء كما نرى وهو يدل على عدم تمكنه من المربية بدليل تركيب عبارته . ( ١ )

والثاني : أن سياق حديث المؤلف نفسه أو جامع مقامات البديع وما يحويه المخطوط من رسائل وشعر ، يوهم القارىء أن ما أورده من مقامات هو للخوارزمي . . فبديع الزمان فى المقدمة ، وعد أن يأتى على ديوان . . . الخوارزمي وشعره بالنقد حيث يقول : " وسنأتى بضمون الله تعالى على القاصد التير ، إداها وأعرفك من أين سرق مسروقها فأكشف لك عيونه حتى نأتى على ديوانه أجمع ، ثم نفرغ لرسائله ، فأعرفك ما يردد من أسجاعه . . ( ٢ )

( ١ ) وصاحب المكتبة هو / ولي الدين أفندى ابن المرحوم الحاج مصطفى أغسا

كما يظهر ذلك من الختم على آخر ورقة وعليه تاريخ ١١٢٥هـ .

( ٢ ) ص ١٠٠ من المخطوطة .

ولكنه لم يف بوعده واكتفى بنقد ثلاثة أبيات فقط من شعر الخوارزمي أو لعل الناسخ .  
 اكتفى بذلك . . ثم استأنف الحديث عن مقامات البديع ، دون أن يشمر القارئ  
 بهذه النقلة ، وكأن الكلام لا يزال لبديع الزمان . فيقول : " ومن المقامات  
 التي عملها على ألسنة المكدين مقامة الفرس ( ١ ) فكان لها في قوله " عملها "  
 للخوارزمي لأنه يتكلم عن شعره .

على أن المخطوطة نفسها تنقسم الى قسمين :

الأول منها يحتوى على خمسين مقامة هي المقامات المصروفة للبديع وناسخها هو  
 مصطفى المصري وذلك سنة ١١٢٦ هـ . في حين أن القسم الثاني من المخطوطة  
 يحتوى على ١٧ مقامة للبديع فقط ، وعلى بعض رسائله وكثير من شعره وناسخها  
 هو : أبو الفلاح محمد بن شاهر بن بكر بن اسماعيل الحموي ١٠٩٨ هـ .

ولعل بروكلمان ظن أن السبع عشرة مقامة الموجودة في الجزء الثاني هي . .  
 للخوارزمي . . ولوثأطها لوجد أنها مكررة في الجزء الأول أو هي مختارة  
 من الخمسين مقامة الأول .

وقد قارنت بين تلك المقامات ومقامات وجدت في مخطوطة في مكتبة " نور عثمانية "  
 تحت رقم ٤٢٧٠ تم نسخها سنة ١٠٢٣ لم يذكر اسم ناسخها . فوجدتها هي  
 نفس مقامات البديع ونفس ترتيب تلك الموجودة في مكتبة بايزيد ٢٦٤٠ حتى لا يكون  
 في النفس شك أن السبع عشرة مقامة الموجودة في الجزء الثاني من مخطوطة  
 بايزيد للخوارزمي وأن المؤرخين والناسخ أضافوها للبديع .

ومهما يكن من أمر فان الخوارزمي لا يحتمل أن يسبكتب في هذا الفن  
 . . ذلك أن البديع تحداه عندما عاب مقاماته أن يأتي بخمس مقامات أو عشر

من مثلهم (١) ، وهو دليل على أن الخوارزمي لم يسبق له أن ألف في هذا الفن . . . وغير محتمل أن يستجيب لتحدي منافسه وهو في آخريات أيامه . . . ولو قبل تحديه وأنشأ مقامات لصار لها ذكر ولتناولها البديع بالنقد ولكثر فيها الأخذ والرد كما هو الأمر في شأن المناظرة .

(٩) وله رسالة مخطوطة بالمكتبة السلطانية ، ومثبتة في رسائله (٢) . . . وهي تلك الرسالة التي وجهها لجماعة الشيعة بني ساجور ثم نسخها سنة ١٢١١ هـ وعدد صفحاتها ١٣ .

(١٠) شرح ديوان المتنبي : ( مفقود ) وقد ذكره صاحب كتاب الصبح المنبئ (٣) ويؤيد هذا ، المكبري في شرحه لديوان المتنبي ، حيث يقول : " ونقلت كتابي هذا من أقاويل شراحه الأعلام " ويذكر منهم أبا بكر الخوارزمي (٤) وينقل عنه (٥) كما أن الواحد في شرحه لديوان المتنبي يكثر النقل عن أبي بكر الخوارزمي (٦) . . . والواحد يحد تلميذا للخوارزمي فقد ذكر ياقوت أنه ينسب عنه على درسه إذا غاب . . . فليس غريبا أن يكثر نقله عنه .

(١١) كتاب الأنساب : ذكره الخفاجي ، ولم يرد ذكره عند من ترجموا له ، ولا في كشف الظنون ، ولم يذكر الخفاجي ( أبو بكر ) واقتصر على ذكر ( الخوارزمي ) فقط (٧) . . . وليس بمستبعد أن يؤلف فيها فهو من علماء (٨) .

(١) أنظر رسائل البديع ص ١٦٩ ومخطوطة بايزيد ص ١٠٠ .

(٢) أنظر رسائل الخوارزمي ٧٦ - ٨٣ .

(٣) ص ١٦١ وانظر كذلك الكشف عن مساوي المتنبي ص ١٦ .

(٤) أنظر شرح التبيان ٢/١ - ٣ .

(٥) أنظر الصفحات ١/٥٦ ، ٥٩ ، ١٤٥ ، ١٥٧ ، . . . وغيرها .

(٦) أنظر الصفحات ٢٩ ، ٣٤ ، ١٢٢ ، ١٨٤ ، ١٩٧ ، ٢٣١ ، ٢٣١ .

٢٥٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٣٣١ ، ٣٤٩ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٧٩ .

٣٨٩ ، ٣٤٥ ، ٥٤٥ ، ٧٦٧ .

(٧) أنظر شفاة الضليل ص (٢٥) حيث قال في كلمة " مهدي " قال الخوارزمي في كتاب الأنساب يقال للذي لا أهل له في المتيق : خارجي والذي نسبوه الي من ولده لا الي مولده : مهدي ، عدي . (٨) أنظر الأنساب للسمرقاني ٣٥ (٢) واللباب ص ١٧١ .

ونحن في هتاف استمراضنا لمؤلفات الخوارزمي . . نلاحظ قلتها اذا قسناها  
 بشهرته ومكانته وزسمة ثقافته وفزارة معلوماته . . .  
 ولعل من أسباب قلة ما أشرعنه من مؤلفات انشغاله بالتدريس والرواية  
 واعتمادا الى كثرة من نقلوا عنه من مشهورى كتاب القرن الرابع . . . أمثال  
 الثعالبي في اليتيمة وفي فقه اللفة وغيرها من كتبه والمرزباني في موشحه  
 والواحدى في شرحه لديوان المتنبي ، والعكبرى في التبيان ، أقول ؛ انه  
 لو اتجه للتأليف واهتم به اهتمامه بالتدريس والمحاضرات لكان لنا منه ذخيرة  
 ضخمة من الكتب تنوع على ما للشعالبي عددا وقيمة . . .

---

====  
 \*\*

الفصل الثانيالشعر١) رسالته الواردة في ديوانه :

جال الخوارزمي في ميداني النثر والشعر فأسهم في كل منهما فهو من الكتاب  
الشعراء أو الشعراء الكتاب .

وتلك حال أكثر مشاهير الأدباء في عصره كابن الحميد والصابي والصاحب ،  
وبديع الزمان والبيضا ، وقابوس بن وشكير وغيرهم .. فقد كانوا لا يعدون الأديب  
بليفا حتى يجمع بين الكتابة والشعر بل ويكون فيهما على السواء من حيث الإجابة .

(١)

يقول بديع الزمان : ( البليغ من لم يقصر نظمه عن نثره ، ولم يزر كلامه بشعره )  
ويقول الخوارزمي : ( والكتابة آلة عجيبة وهي من الشاعر أعجب ، كما أن الشعر صناعة  
غريبة وهي من الكاتب أغرب )<sup>(٢)</sup>

غير أن لنقاد عصرهم رأيا يخالف هذا ، فنرى الكلاعي يقول : ( ان الكتابة  
والشعر شيان متافران لتنافر طبائع اهلها )<sup>(٣)</sup> . ويستشهد بالمثل القائل ( اثنان  
قلما يجتمعان : اللسان البليغ ، والشعر الجيد )<sup>(٤)</sup> .

ونحن لسنا مع الكلاعي فيما ذهب اليه ، كما أننا لسنا مع البديع والخوارزمي

- 
- (١) مقامات بديع الزمان (المقامة الجاحظية) ص ٧٥  
(٢) رسائل الخوارزمي ص ٢٤  
(٣) احكام صنعة الكلام ص ٣٩  
(٤) البيان والتبيين ١/٢٤٢٦ ، احكام صنعة الكلام ص ٣٩

في شروطهما .. ذلك أنه يمكن أن يجمع الأديب بين الفنيين فلا نجد بينهما منافسة  
والشاهد على ذلك مصطلح أدباء القرن الرابع الذين كانوا يجمعون بينهما .

ولسنا نشترط ما اشترطه البديع لان الأديب المنقطع لاحد الفنين غالباً ما يكون  
أبلغ من يجمع بينهما .. ولنا عبرة بأولئك الشعراء الفحول الذين انقطعوا للشعر  
كالمصنبي والبحترى وغيرهما . وشعر الكتاب ومنهم الخوارزمي وبديع الزمان لا يرقى المستوى  
مستوى شعرا أولئك .. الفحول .. وهذه قضية يطول فيها الكلام لو أردنا الاستقصاء +

والذي يهبط من هذه القضية هو معرفة مدى اجادة الخوارزمي في كل من  
النثر والشعر .. وفي أي الميدانين كان أقوى .. ولانجد من ترجوا له في القديم  
من تعرض لهذه المسألة سوى ما ذكره السمعاني في قوله : ( كان قريضه يقصر عن شعره )  
( ١ )

ويمكن ان نفهم من كلام السمعاني أن شعر الخوارزمي ليس شعر الطبع  
والقريحة بل كان شعر العالم الذي قال للشعر لكثرة حفظه منه ومطالته في فنونه .  
( ٢ )

( ٣ )  
ومضى كتابنا المعاصرين ، يرون أن الخوارزمي أقوى في النثر منه في الشعر  
ونحن لانجزم بهذا .. لان هؤلاء بنوا حكمهم على ما وصلوا اليه من أدبه .. التمثل  
في ديوان رسائله ، وحض شعره الموجود في القيمة .. وهذه النتج القليلة من شعره  
لا تمثل كل شعره — لا كما ولا كيفا — فلعل له شعرا أكثر جودة وأقوى ما عثرنا  
عليه في القيمة .. خاصة أن للشعالي مهبجا في يتيمة قائما على اختيار ما قيل في  
غرض المدح أو الشطرب والمفاكية ، وهي الافراض التي ترضى أذواق عصره .. ثم انه

( ١ ) الانساب للسمعاني ٢١٣/٥ - ٢١٤

( ٢ ) وقد عاب ابن طباطب الشعرا الذي زادت فيه القريحة على العقل : معيار الشعراء ٩١

( ٣ ) انظر النثر النسخي ٢/١١٦ وتاريخ الادب العربي لفرخ بن ٤٥٥ وتاريخ الادب العربي  
للزجات ع ٢٤٠ ومجلة الرسائل العدد ٤٠ ص ٥٨٠

جميع في كتابه ذلك ، شعرا لحشرات من الادباء فمن له باحاطة كل شعرهم .. فقد يكون في ديوان الخوارزمي المفقود ما يفوق في الجودة ما أثبتته له الشمالي أوفيره .. ففى النواحي الانسانية أو النفسية أوفى التعبير عن المواطنف وخوالج النفوس ما قد لا تكون لفتت نظر الشمالي .

ومن ترجموا لمن القداى يقدمون صفة الشاعرسة على النشر من مثل قولهم :  
( الشاعر المعروف )<sup>(١)</sup> ، ( أو الشاعر المشهور )<sup>(٢)</sup> أو قولهم ( أحد الشعراء الجيد يسكن الكبار )<sup>(٣)</sup> .

فالظن أن شهرته كشاعر لا تقل عن شهرته فى النشر وانتاجه فى الشعر لا يقل عن انتاجه فى النشر ان لم يفقه<sup>(٤)</sup> . وليس هذا تقليلاً لقيمة نشره .. فنشره رغم ما أغرقه به من الصنعة البديمية يستحق الدرر والتأمل .. على أن تلك الصنعة هى التى سنها لهم ابن الحميد .. استاذ هذه المدرسة واتحدحها نقاد عصرهم .. كقول أحدهم : ( وسينا هذا : المصنوع ، لأنه نمق بالتصنيع ووشح بأنواع البديع وحلى بكثرة الفواصل ، واستجلب له منها ما يلف فى القلوب ويحسن فى الاسماع .. وهى كتابة الصاحب والمهنداني .. وأبو بكر الخوارزمي )<sup>(٥)</sup> . كما غاب الاسلوب المرسل وسماه العاطل وقال فيه : ( وانما سميناه العاطل لقلته تحليلته بالاسجاع والفواصل )<sup>(٦)</sup> .

ولكف أهل مصر بالبديع وغنايتهم به فى كتابتهم زادوا فيه أنواعا جديدة

( ١ ) الانساب للصمعيانى ٢١٣/٥ وشذرات الذهب ١٠٥/٣

( ٢ ) طبقات النحاة ١٣٠ والوفائى ١٩٢/٢

( ٣ ) وفيات الاعيان ٤٠١/٤

( ٤ ) انارمانج الرثاء والعتاب والاعتذار ( الفصل الثالث من الباب الثالث من هذا الكتاب )

( ٥ ) احكام صنعة الكلام ١١٤ و ١١٥

( ٦ ) نفس المرجع ص ٩٦



لخصرّف عند من سبقهم وبلغت الانواع التي أنافوها ثلاثة عشر نوعاً (١) ، وحتى وصلت على يديهم ثلاثين نوعاً (٢) . ولما كانت هذه طريقة الكتاب في عصره ولم ينبج منها الا أبو هلال العسكري وعلى بن عبد المزيذ الجرجاني وهي الذوق القبول السائد فسي أهل زمانه ، اتبع هذه الطريقة وافتن فيها حتى غدت رسائله نماذج يحتذى بها الكتاب ويدرّس عليها الطالب . كل هذا ليحظى بحظايا الولاية والوزراء ويحتل الكانة الرفيعة بين الادباء .

وأظن أنه لوخالف هذا الذوق . . . وجرّد كتابته من زينتها واتبع الاسلوب المرسل . . . لم يجد من أبناء عصره من يهتم برسائله ذلك الاهتمام ، ولما حظى بتلك المنزلة بين الادباء ولما نال من الولاية ما نال حتى أصبح من أغنياء الادباء وقلمها يفتنى الادباء .

قلت هذا ليقف منى القارىء رقة الصاقل المنصف . . . فيحكم على الخوارزمسى بذوق عصره ولتلا من قراءة مأسوف أوردته من نماذج نشره بسبب هذا الزخم الوفير من أنواع البديع والزخرف . . . ان هو الميدان الذي كان الادباء يتسابقون فيه . . . حتى عاب بديع الوطن نشر الجاحل لتجرده من الصنعة والبديع حيث يقول : ( كانه بصيد الاشارات قليل الاستمارات قريب العبارات منقاد لحرمان الكلام يستصله ، نفور من محتاصه يهمله ، فهل سمعتم له لفظة مصنوعة أو كلمة غير مسجوعة ) (٣) .

وسوف أبدأ أولاً بدراسة نشره وهو المشتغل على رسائله ( أهم ما حفظه الزمان لنا من كتبه ) ومقدمة كتابه الامثال وما جمعته من المراجع المتعددة .

( ١ ) انظر كمال البلاغ قصص ١٩-٢٢

( ٢ ) انظر الصائغين من ١ وما بعدها

( ٣ ) مقامات البديع ٧٥-٧٦

والخوارزمي طرق بنشره كل أغراض الشموس . لان النشر زاحم الشموس في  
ميدانه وأصبح الولاة والوزراء يجيزون عليه كما يجيزون على العربيل لملكه فاقه فقد تطر  
الى التهنئة والمدح والمهجاء والعتاب والتمزية ، والفخر والحماة والحكمة والوصف  
والشكوى من الزمان . الخ

٥٥

### التهنئة

ولنبداً بخوض التهنئة : كتب الى أبي القاسم الحسن بن علي صاحب  
جيش الصفانيان يهنئه بالنصر :

( لم يزل يلفني ما يرتفع على يد الامير من الفتح التي تفتح لها ابواب  
السماء ، ويفوح منها روائح العز والسناء في اولئك الاعداء الذين امتنوا بشدة  
كلبيهم ، وقلة سلبهم ، ومشاركة المسلمين قديماً لهم ، ورضاهم رأساً برأس ضمهم ، حتى  
لقد حققت الدماء ، وسكنت الدهماء ، وأمنت السبل ، واجتج الشمل ، ورجح  
النافر ، وعمر الخامر ، واجتمعت الكلمة واتفقت البيضة ، وأخذ السيف ، وركز الرمح ،  
وقرت الامور قرارها ، ووضعت الحرب أوزارها ، وهذا صنع لم يخص الله تعالى به أهل  
أفقي دون أفقي ، ولا أقر بجزية سكان غرب دون سكان شرق ، اذ كانت النعمة  
فيه عمت كل من عرف الاسلام وفضله ، وعادى الشرك وأهله .

لا وال امير يري كل يوم بسيفه فتحا يصظم به الخطب ، وتستبق فيه الكتب ،  
ولا زال الشرك من قتلاه والنفاق من جرحاه والفساد في الارض من أسراه ، حتى تملاً  
فتوحه كل سامع وناظر ، وتشغل كل كاتب وشاعر ( ١ ) .

ومناسبة هذه التهنئة كما يبدو هي انتصار صاحب جيش الصفانيان على الكفار المحيطين بالمملكة الاسلامية من الشرق . وقد قل نفاط الفتوح الاسلامية في هذه الفترة يحكم الفتوح في غربها . وخاصة في الشام ، ولم هذا لانجد فيها الادب الذي يمجدا الانتصارات ويشيد بالفتوح . وهذه القطعة تمثل هذه الناحية وان كانت نادرة وكأنه حدث غير متوقع ولذلك قال الخوارزمي ( وأخذ السيف . . . وقرت الامور . . . ووضعت الحرب اوزارها ) .

وكان الامر الطبيعي الا تضح الحرب اوزارها ولا يخذ السيف مع اعداء الدولة الاسلامية .

وقد أحسن في تصوير فرحة النصر التي عمت كل اقطار العالم الاسلامي ففروح لهاكل من عرف الاسلام وفضله ، ولم يجعلها خاصة بهذا الجزء من العالم الاسلامي وما أحسن استمارته في قوله ( لا زال الشرك من أسراه . . . ) ومع ذلك فالحدث أكبر من أن تنفي به قطعة نثرية قصيرة كهذه فلم يبلغ الخوارزمي ما يجب أن يقال في مثل هذه المناسبة . ولعل الشمر كان أقدر على التمييز عن مثل هذا الموقف . . . ولكن القوم - كما ذكرنا - استخدموا النثر استخدام الشعر .

وكتب اليه يهنئه بالفتح . . . ولاندرى أهو نفس الفتح السابق أم هو فتح جديد يقول ( انقطع كتابي عن الشيخ . . . لانه كان مغضوبا بكتائب الاعداء عن كتب الاولياء وبقارة الامراء عن مطالعة الادباء ) ( والسيف أصدق أسماء من الكتب ) .

فلا جرم أنه قد أسفرت آماله عن المساعي الفراء وعن الاثار الزهراء وعن الفتح والنصر ، فاسترع ملكة طالما خطبت فما تكحت ، وطلبت فما وجدت :

بكر فما افترعتها كف حادثه ————— ولا تترقت اليها همة النـسـوب  
ومرزة الوجه قد اعيت رياضتها ————— كسرى وصدت صدودا عن ابى كسرب

وعلى قدر الهمة تكون مقادير الاثار، وفي دون القيمة يكون افتراح الابكار  
وشتان بين من اقتضى عذارى الجوارى وبين من اقتضى النواحي .. لابل شتان بين  
من صارح مملوكه تحت اللداف ، وبين من صارح مملكة تحت الرماح والاسياف ( ١ )

انها نعمة الحث على الجهاد والافراء بفتح الاقالييم والنواحي .. استخدم فيها  
الخوارزمى ضرب الامثال وتضمين الابيات ، ليكون هذا اوقع في النفس .

وهو يقارن — في معرض حثه على معالى الامور — بين من هم ارضا شهواته  
المادية وبين من سمت به نفسه وهيمته الى عشق السيف والرمح وجعل شهوته في النصر  
على الاهداء .. وهي مقارنة مستوحاة من بيئة الاديب التي فرقت في اللذات واهملت  
علائم الامور ، وما فيه مشقة على النفوس .

وجميل من الخوارزمى ان يسجل هذا على اهل عصره وينبه عليه وهو يلتقى  
في هذا المعنى مع قول الصنبي في سيف الدولة :

( ما الذى عنده تدار الضايحا كالذى عنده تدار الشمسول )

( ٢ ) وهذه تهنيئه كتبها لخلقى بن كامة بمناسبة توليته على مدينة ؟

( كتبت — والولاية التي شرفت بالامير ولم يشرف بها ، وتسببت له ولم يتسبب  
لها ، وصفرت — قياسا الى شأنه — من حيث كبريت قياسا الى مقادير اهل زمانه —

( ١ ) رسائل الخوارزمى ص ١٢٦

( ٢ ) هو احد امراء الديلم الذي كانت نهاية ابن المصيد على يده وهو الذي سمي في ولاية  
الصاحب ١٤١/١ النشر الفنى

قد بلغنى خبرها فجزرت ذيلي فرحا وورحت لا تحطنى أعواد سرجى مرحا ، ووددت لو  
شربت طربا عليه البحر المحيط قدحا • وأين بالأمر عن افتراح المنابر ، وقيادة المسافر ،  
وهو من أهل بيت يحكم بالملك صغيرهم ، ويشيب عليهم كبيرهم ، تقر بأسمائهم المنابر  
النافرة ، وتسكن بأعلامهم البلاد الشاغرة ، لم يوضعوا إلا ثدى ولاية ولم يرو الا تحت  
راية ، ولم يفتقدوا الا فى حجر سياسة ورياسة ، فلا زال يترقى ذروة رتبة بعد رتبة ،  
ولا زال اسمه يفتوح خطبة بعد خطبة ، ولا زال الملك سليله ونتيجة والمز صنيعة  
وخريجه ، حتى يملك الاقاليم ويفترش السرى العظيم ، فيعطى القوس باربها ويملك  
الزعامة من يليق بها ( ١ )

فالخوارزمى فى رسالته هذه أحسن فى اظهار صفات الامير ان هو من بيت  
عريق الجدة عريق الجاه •• قد تدرج أهله فى احضان الملك وأورثه كبيرهم صغيرهم ••  
وهم فحول على المنابر قواد عظام فى ساحات الحروب •• يفتحون البلاد •• ويسوسون  
الرعية ويدبرون الرئاسة ، وقد بذلوا أنفسهم لمصالح الامور ، فشغلهم عن سفاسفها  
ولهذا فالولاية تشرف ولا يشرف بها مع عظمها قياسا الى غيره •

وهو يحلى أسلمه بحسن استماراته وكناياته - ويقوى معانيه بضرب الاشكال  
على أننا لو أردنا استخراج كل استمارة وكناية وطباق وجناس من هذه القطعة لأطننا  
الكلام •• ما يدل على منية الخوارزمى بأسلمه يظل وجوده ويحكه حتى يظهر فى  
شبه الجميل المزخرف • مع ملاحظة طول الفصل بين المبتدأ - الولاية - والخبر  
( قد بلغنى خبرها ) بجملته طويلة أخذت أكثر من سطر ••

ولا ينسى الخوارزمى وهو يهنى أن يطعم تهنئة بالمدح •• وهذا النوع من

الرسائل هو الذي كان الخوارزمي وغيره من كتاب عصره يتكسبون به ويتسابقون فيه فهو  
 كما عرف عنه لا يكتب الا للولاة والامراء والوزراء ومن له شأن خطير في الدولة ابتغى  
 النوال من جهة ، وللخطوة والتصرف بنفسه من جهة ثانية . لان هؤلاء الولاة كانوا  
 يملكون الاقليم او المدينة التي يولون عليها فيحطون من يشاءون ابو يضمنون . ويأخذون  
 الخراج من ارادوا . ويصفون عن يرضون عنه . لذلك ان الحكام الذين يولونهم  
 لا يهمهم سوى ان يجمعوا لهم الخراج آخر العام .

ومن هنا احتاج الكتاب ان يتقربوا لهؤلاء الولاة ليستفيدوا منهم اوليتقربوا  
 شهرهم . . . واحيانا للاستعانة بهم على اعدائهم ، اوليستجبروا بهم من ولاة آخرين . . .  
 والوالى يحتاج لهؤلاء الكتاب لانهم وسيلة الاعلام الاولى في ذلك العصر . . . فهم  
 يرفمون ذكره بين الناس بما يصفونه عليه من صفات وما يحيطونه به من هالة فيهننا  
 الجالفة والتسهويل والاغراق . . . فيقصده الناس الذين لا يعرفونه الا عن طريق الادب .  
 ويسمع به الادباء الاخرون فيؤمنون حضرته طمعا في النوال . . . وهذا يعظم شأنه  
 وتسمع حضرته ويكبر حتى في اعيان الحكام الكبار .

٥٥

### المِـدِح

وقبل ان نستعرض نماذج في المدح يجعل بنا ان نعرف مذهبه فيه كما قد  
 كتبه بنفسه ان يقول في معرض رده على تلميذ له : ( كثر مدحى - ايدك الله لما  
 يرد علي من شوك وشمرك . . حتى خشيت ان يحسب انى ارف مدحى الى كل خاطب  
 وابذل شهادتى لكل طالب ، وان يظن انى اتارضك الثناء ، واصارفك الجزاء ، ولا والله  
 بالى للدنيا استحسان الا والى الجنة احسان ، وانى لضيق ذرع التزكية والثناء ، قصير

حظي المدح والاطراء محاسب لقلبي اذا طاب ، وللساني اذا قال . لا امدح الا بمدوحا  
 بكل لسان ، ولا ارضى الا مرتضى في كل مكان ، ولا اقبل مدعى الفضل ، ولا اتيح مفضوش  
 القول والفضل ، ولا يستفزني رعد كل سحب ، ولا يستخفني طنين كل ذباب ، وسرعة  
 الشهادة طريق من طرق الخفة وابتدال المدح والتزكية باب من ابواب الملقى والذلعة  
 والمجازفة بحساب الحقال اتيح من المجازفة بحساب المال ، لان الغلظ في المال  
 سماحة وندي ، والغلظ في الحقال حماقة وغباء ، واقصى غايات فوات المال ان يكون  
 صاحبه فقيرا وادنى غايات فوات المصواب ان يكون صاحبه سخيلا حقيرا وبين الخسرانيين  
 نفس مدي ، ومن بعيد . . . ومن لم يكبح عنان لسانه وقلمه بيد التأمل ولسان التبيين  
 جبحا الى غاية اولها ندامة وآخرها طامة جعلنا الله من اذا تكلم لم يضع زمام كلامه  
 في يد هواه واذا شهد لم يلق ريق شهادته في عنق سخطه ورضاه .  
 ( ١ )

والحق ان هذا الذهب الذي يتكلم منه الخوارزمي في المدح هو الذهب  
 المثالي وكانه يريد ان يعطى تلميذه درسا ينفعه ويستفيد منه . ومن هنا كانت اغلب  
 رسائله كأنها محاضرات عطت ليقتهى بها طلابه وتلاميذه . غير ان الخوارزمي لم يلتزم  
 حرفية ما قال في هذا الضميمة خاصة مع (الصاحب) و (محمد الملوي) فانه يكيل لهم  
 من المدح ما يستحقون وفوق الذي يستحقون . ويبالغ في ذلك كثيرا . . . ولست بحاجة  
 الى شرح ضميمته هذا فهو واضح . ومن مدائح للمصاحب قوله :

( رجعت من حضرة الوزير بعد ان افترق على من سجاله وأسبغ على من نوالسه  
 ما خفف ظميري وأثقله ، وأنطق لساني بل أخرسه ، وأرخض شكري بل أغلاه وأبقى مدحى  
 بل أفناه ، واني حين أمدح البحر بأنه فزير والبدر بأنه ضير ، وأعلم الناس ان الدهر

كبيره، وأن الرجل كثيره لأحد عباد الله المكلفين الذين قولهم ديباً وتعطهم جفاه  
أبقى الله ذلك السيد ليفضح به اللثام ويصخر به الكرام . وتتجمل به الايام  
والانام ، وأقام به سوق الكرم (١) وهو هنا اقتصر على مدحه بالكرم ويان فضائله عليه .

في تبرير طريف لفارقة الخوارزمي للصاحب كتب يقول : ( كتابي أيد الله  
القاضي من قسم . وأنا منها بمكة حرا لا حجا ، وممان هوا . لاماء . . . وهذا  
فصل سرقتة من رسائل الوزير الجليل ابن عباد وليس بأول غارة الكردي على الحاجي  
ولا بأول أخذ الطرار مال التجاره ، ولا بأول تجمل المكاتب بكلام الكاتب . وهل عبرنا  
منذ عرفناه الا عن بيانه وهل اجرينا اقلامنا الا على آثار قلته ومانه ، وهل اغترفنا  
الا من بحر ه ، وهل نطقنا الا بنظمه ونثره ؟ وهل على الارض عار أن تطلب سقيا السماء ؟  
وهل بالفقراء نقص أن يأخذوا صدقات الاغنياء ؟ وهل يصيب النهر أن يستمد البحر ؟  
لابل كتابي عن سلامة الا من شيعي من كل حمرة بعد تلك الحضرة البهية ، ومن  
كل نفس بعد تلك النفس الزكية . . . فاني منذ لقيتها وزنت العالم بأخف صنجه وتومنت  
الدنيا بأوكس قيمة على أني ماخرجت منها الا طريد حيا . ووقيد عطاء ، وفدت على  
الوزير ابن عباد وحتائبي مطوأة رجاء ، وصعدت منه وهي مطوأة مدحا وثنا ، ولقصد  
خاص في معنای على دقائق من الكرم اخترعها ، ونوادير من الجود ابتدعها . . . لو  
كانت أبياتا لكانت أوابد ولوكانت قصائد لكانت قلائد . . . فلما رأيت لا أزداد نفسي  
صنائمه صنعة ولا أثرق في نعمه درجة الا ازدادتها تبليدا وحققها تقاعدا ، هربت  
لاكون أوحد في المهزومة من الجليل ، كما أنفرا أوحد في بذل الجزيل ، ولا أقرب في الهرب  
على الشعراء ، كما أقرب في المذلل على الرؤساء ليجمع بيننا ظاهرا اسم الاختراع وفحواه  
وان فرقت بيننا حقيقته ومعناه ( ٢ ) .

( ١ ) نفس المصدر ص ٤٥

( ٢ ) نفس المصدر ص ٤٧



وهو هنا يصف كرم صاحب عليه وأنه لا يزيد بمدحه معرفة كما أن الشخص لا تزيد معرفة بمن يعرفها للناس ، لأن كل الناس يعرفونها . وأنه لم يقتصر على أخذ ماله فحسب بل استفاد من أدبه أيضا . . ويرى أن سرقة من أدب ابن عماد ليست عيبا كما أنه لا يعد ميا أخذ الفقراء صدقات الانبياء .

كما يملل لنا سبب فراقه لابن عماد ، هذا التمليل اللطيف . . وقد يكون كتب رسالته هذه بعد الجفوة التي حصلت بينهما ولكنه لم يشأ أن يثلب الرجل بعد أن استفد فيه مدائحه وقال فيه ماتصعب مناقتته . على أنه يصور لنا شخصيته الأدبية امام صاحب الاديب الكبير كالقزم امام الصملاق . . ولا شك ان هذا تواضع من الخوارزمي ونوع من المدح فيه اظهار لمصروفه عاياه وارضاه له .

والافان الخوارزمي في مستواه الادبي لا يقل بأي حال عن مستوى صاحب ان لم يفقه . . ولكن الخوارزمي مهما بالغ في رفع شأن صاحب . . فلن يسدد ديونه عليه فقد انتمله من وهداة الفقر وأغناه بصحباياه التي لا يعطيها الا الطوبى . ولذلك فهو يصدر في مدحه له غالبا عن صدق .

واليكمد مدحا من نوع آخر : وهو مدح أهل مدينة او منطقة خاصة . يقول الخوارزمي بمدح أهل اصفهان :

( وصف عراقي خراسان فقال : نساؤها كرجالنا ، ورجالها كجبالنا . . ورأيت أنا اصفهان نقلت : صبيها كرجلنا ، ورجلها ككهلنا ، وكهلها كشيخنا ، وشيخها كنبينا ) ( ولم لا يخرج أهل تلك البلدة في قالب الكمال ؟ ولا يستوفون شرائط الرجال ولا ينظمون في طرفي القول والفعال ؟ وهم يرون كل يوم واردا ويشهدون وانفدا ، ويسمعون نعمة وينظلمون نعمة . لان فيهم مثابة الجود ، وقرارة الوفود ، وكعبنة

الآمال ، ومحط رجال الرجال ، وهم يلتقون على باب الوزير مع كل كاتب وحاسب ، ويجلسون في سدة مع كل ناثر وشاعره ولا يمدحهم أن ينظروا الى كل ذي صناعة معاشية أو معادية ، والى ذي آلة رياضية أو عقلية فترق ألسنتهم ، وتصفو أذنانهم ، وتتخذه أبصارهم ، وترق أفكارهم لاقتباسهم علم كل مكان ، واستماعهم تبيان كل لسان ، ولترددهم بين اللغات المختلفة ، وبين الاختلاف الضمايزة ، فهم يصرون فيستبصرون ويرون فيرون ويسمعون فيحفظون . وأين بهم عن ذلك وهم يترددون في مفيض المعلم والادب ؟ وينزلون في موسم المعجم والصرب ؟ هذا الى ما يسمونه من كلام الوزير الذي لو سمعته الوحش أنست ، ولو خوطبت به الخرس لنطقت أو استدعيت به الطير نزلت ، ومن جالس صاحب صناعة حدتها . . . ونعم المعلم الجوار ونعم الرسول الاستماع والابصار (١) وهو مدح صادق لانه مدح قوم لا يرجو من ورائهم عطاء . . . وان كان فيه مدح للوزير صاحب .

وإذا كان هناك بالغة فقد جلبها السجع كقوله ( وشيخها كتبيننا ) أو قوله ( وكلام الوزير الذي لو سمعته الوحش أنست . . الخ ) .

وأجمل ما في هذه القطعة هذه النظرة الحديثة للمؤثرات الحضارية في ثقافة الانسان أو الامة فقد جعل من أسباب بلوغ أهل اصفهان درجة الكمال كثرة المترادين لها من أنظار شتى واحتكاكهم بهم . . . واجادتهم أكثر من لغة وروءيتهم أشكـال الصناعات والرياضيات وسماعهم الشعراء والادباء والملحاء الذين يفدون على حضرة الوزير فاستفادوا من كل ذلك . . . ودليل استفادتهم : صفاً انهم ورقة ألسنتهم ، وتوسع ثقافتهم وقوة حفاتهم . . . وتهديب اخلاقهم .

## الذم والهجاء

ولقد افتن كتاب القرن الرابع في هذا الضوضى وجملوه من اغراض النشر بصد  
 ان كان خاصا بالشعر ولعل رائدهم فيه كان ابا عثمان الجاحظ في رسالته المشهورة  
 ( الترسيع والتدوير )<sup>(١)</sup> . . . التي كتبها بأسلوب ساخر يهزأ فيها بأحمد بن محمد الوهساب  
 فسوره في صور كاريكاتورية ) مضحكه ثم جاء أبوالمظهر محمد بن احمد الازدي فألف كتابه  
 ( حكاية ابي القاسم البخدادى ) فأفحش وأقذع وصور لنا الجوانب السيئة في المجتمع  
 الصراقى في عصره متخذاً أسلوب الذم منهجاً له . . . وفيها وصف لثقل لم يبلغ أحد  
 في الذم والاقذاع ما بلغه ثم جاء الخوارزمي فكتب رسالته المشهورة لابي الحسن البديهي  
 كما تقول المراجع<sup>(٢)</sup> أو لبيدغ الزمان الهذلي كما ذهب الى ذلك صاحب كتاب  
 ( جمع الجواهر )<sup>(٣)</sup> .

ورغم أن كل هذه الرسائل داخله في الهجاء فإنه يمكن أن يكون لها طابع  
 فني خاص منذ رسالة الجاحظ الى رسالة ابن زيدون في ابن ممدوس . وهي ظاهرة  
 بارزة تستحق من المهتمين بالادب دراستها والاهتمام بها .

والملاحظ ان رسالة الخوارزمي تلتق مع رسالة أبي المظهر في وصف الثقل .  
 ولاشك من طالعهما أن احدهما أخذ من الاخر . وقد أدرك هذا زكي مبارك وذهب  
 الى أن أبا المظهر أخذ عن الخوارزمي ولكنه استدرك في طبعة كتابه بالصربية ورجح أن  
 الخوارزمي هو الذي اخذ عن أبي المظهر لفارق الزمن بينهما . فأبو المظهر كان شاباً  
 ما جئنا سنة ٤٠٦ هـ في حين أن أبا بكر الخوارزمي توفي سنة ٤٨٣ هـ<sup>(٤)</sup> وان كان هذا

( ١ ) رسائل الجاحظ من ٨٥ وما بعد ٨٥

( ٢ ) انظر رسائل الخوارزمي من ١١٣ وفتح الريحانة ٤ / ٦١٠

( ٣ ) ص ٢٥٦

( ٤ ) انظر النشر الفني ١ / ٤٢٥

دليلاً ترجيحياً لا قطعيًا واحتمال أن يكون الخوارزمي هو السابق غير مستحيل ولكن  
مرجوح . وللبديع وصف للثقيل ينحرف فيه نحوهما .. (١)

وكذا كان الخوارزمي في وصفه أبلغ وأكثر جودة وأجمل أسلوبًا وأقل فحشًا  
من أبي المظهر وهي في بابها أوجع . على أنه لا يلتقي مع أبي المظهر وبدع الزمان  
المهداني إلا في جزء من رسالته ، وهي الجمل التي تبدأ بـ «النداء» وهذا الوصف  
لا يتجاوز صفحة واحدة ثم طبع علينا ابن زيدون (ت ٤٦٣) برسالته الهزلية  
الموجهة إلى ابن عبدوس منافسه في حب ولادة بنت المستكفي . . . وقد كتبها علي  
لسانها . وهي رسالة طويلة ينحرف فيها نحو وصف الخوارزمي . . . ولا يشك من طالعها  
أنه يحاكيه . . .

ولنعد إلى رسالة أبي بكر التي وجهها إلى أبي الحسن البديهي الشاعر ،  
يمبث به . . . ولا نعريف ماسبب هذا الهجوم الكاسح وان كان له شعر في هجائه ونقيد  
لشعره . . . ولا ندري ان كان البديهي يستحق كل هذا من الخوارزمي ؟ وما الذنب  
الذي جناه حتى يكون جزاؤه هذا المسخ والتشنج ؟

يقول الخوارزمي في أول رسالته : (لست أعاتبك - عاقب الله - لان المتاب  
يصلح منك أو يصلح فيك ، أولان جهلك يخالج بالعدل ، أو يداوي داؤه بالقول  
كلا - عاقب الله تعالى - جهل الناس - ووجهلك جسم لا يزول إلا بالقص -  
ولا يقح داؤه إلا بالكف والنحل . وكفى انما أردت بهذه الرسالة أن تتوجه عليك الحجة  
وان تنقطع منك العائقة والملة ، وان كانت ترد منك على عين عمياء ، وان صماء  
وقلب لا يصرف النقصان إلا في ماله ، ولا يحس بالالم إلا في جسمه . . .)

(١) مقامات البديع ص ٢١٧ وما بعدها (٢) انظر حكاية أبي القاسم البغدادي ص ١٤

(٣) انظر ديوان ابن زيدون ورسائله ص ١٣٤ وما بعدها

ثم ياخذ في التهكم به وكيف أنه بلغ من الجهل درجة يعكس فيها الحقائق ويصانده الحق ويكرهه . . . ( وكأنك لم تخلق الا لتطمس عين النور وتقلب أعيان الامور فتجمل الضوء ظلمة ، وتحكس البدعة سنة . . . حتى كان ( سوفسطا ) استخلفك على جسد ما يدرك عيانا ، ويصرف ايقانا . فأنت وارثه في الباطل ، وناصر جهله على كل عاقل ) .

ثم يكر عليه فيصفه بأنه جاهل لم يبلغ من العلم شيئا - ولو تعالم - وفيها استمرار لثقافة الخوارزمي في الاديان والتاريخ والسير . الخ : ( لو سئلت عن يحيى بن زكريا - لذكرت أنه زنى ، ولو ذكرت في القائم ادعيت انه ضئ ، ولو استخبرت عن ابلتس ذكرت أنه سجد لآدم ، ولو نظرت في عيسى نفيتته عن مريم ، ولو أنشدت شعر امرئ القيس لنسبته الى الافحام ، ولو ذكر أبو جهن حكمت له بالاسنام ولو استحسن كلام مزيد قلت انه ميت الخواطر فاطر النوادر . . . ) .

ويستمر يلجج على هذا المنوال . . . فيذكر بيان على في خطبه وعظم بنيان كسرى وارم ذات العماد ، وحادثة مقتل الحسين وشاعة قول فرعون ( أنا ربكم الاعلى ) ويذكر علم ابن عباس بالتأويل . . . وقوة نظم قصيدة ( وياتيك بالاخبار من لم تزود ) ، وحلاوة طعم ( لا يذهب العرف بين اللد والناس ) كما يذكر حلم الاحنف ، واختلاف الائمة في الفرائض وحديث ذي القرنين . . . والتعجب من بناء المهريين . . . وابتداع الخليل بن احمد علم المروض . . . كما يظهر اعجابه بكتاب ( كلية ودنه ) . . . ويصيب على النماري اشراكهم وعلى الثنوية عبادة ( مانى ) كما يذكر خلافة أغانى ابن هريج ومعبود ، وقوة عزيمة أهل الهند وراعاة أهل الصين في الصنعة . . . وملائمة وبيان العرب وقوة عارضتهم ويذكر يوم كربلاء والحررة . . . ونوادى أبي المنبر . . . ولتقان الفرس للسياسة وقوة معرفتهم بالعمارة ويذكر المنقاء والتنين . ويرى ان سلول وجرحهم وعدى وتيم هى انحف القبائل

العربية ، وان هاشما رؤس قريش ، ودارنا شرفاء تميم .

ثم يذكر بعض الاشخاص واشتهرهم بعد اهلهم وكل هذا في معرض تجهيل مهجوه ( غايته ان تزعم ان هشام بن عبد الحكم ناصبي وان ابا الهذيل الحارثي ناصبي ، وان ابا بكر الاصم شيعي ، وان واصل بن عطاء حشوي وان سليمان الاعمش خارجي . . ) وهو دليل على سمة معرفته بالمذاهب الدينية ورجالها المشهورين .

ثم يعود ليستعرض ثقافته في الادب واللغة معرضا بجهل البديهي فيقول :  
( وان عبد الحميد بن يحيى اص ، ان ربيعة بن المجاج اعجى ، وان اياس بن معاوية اص ، وان النابغة الذبياني لم يحسن الاعتذار كما ان ابيانوس لم يصف الخمر ولا الخمار ، كما ان ابا بكر الصنموي لم ير الانوار والازهار ، وان طفيل الغنوي ماركب كما ان اعشى قيس ما شرب . . ) .

ثم يعود لبيان الصفات التي اشتهرت بها كل امه . وهو ينحو نحو كلامه السابق في التهكم بالبديهي وتجهيله . . فيصفه انه لو سئل عن العفاف لقال انه هندي او السخاء لقال : رومي وان العقل صقلى وان التشيق شامي والنصب كوفي . . . . . وعلى نفس طريقته هذه . . . . . يذكر ان التجار اشتهروا بالكذب والبلوى بكبر الهمم ، والمحدثين بالتخالف والتناقض . وان النقاضى اكثرنا سخفا وهجرا .

ويعد تعداد كل هذه الصفات يقول لمهجوه : ( . . . . . وانك من بينهم المنذرى خصي بالملم القديم واخبر النبا العظيم . . . . . وانك لو سمعت عليا يقول : سلوني قبل ان تفقدوني سألته حتى يقول : دعوني فقد انحصتوني ، وانك لو امدت بك الملائكة ما قالت سبحانك لا لعلم لنا الا ما علمتنا . . . . . وان اباك آدم لو اعين بك ما لحي ابيليس به ، ولا انف من السجود له ، وان عك قابيل لو راك ما اقدم على قتل اخيه قابيل ، وان امك حواء لو

وأنت نشرت على أبيك عمقا لك (٠٠) ويطول الكلام لو استمرضنا كل تلك المصنفات التي  
يوردها الخوارزمي في هذه الرسالة .

ثم يسود بعد سرد جملة من المصنفات . فيذكر لنا أمثالا في أقبح الاشياء  
وأهونها وأدناسها . الخ وهو المقطع الذي يلتقى فيه الخوارزمي مع أبي المظهر وسوف  
أقتصر منه على ما فيه كشف أحوال مجتمعه أو ما يدل على سمته معرفته . يقول :

( ياخراجا بلاغلة . . ياأثقل من المكتب على الصبيان ومن كراء الدار على  
السنان . . يا بخله أبي دلامة وحمار طياب وطيلسان ابن حرب وقدح اللباب في كشف  
المرض . . يا كيف السجن في الصيف . . ويا هرب الخمر على الحشف . . يا عجل جوا  
القلطة . . يا كمد المقهور . . يا شام من دم نبى . . يا دخول الطفيلي بيت المروزي . . يا حو  
نكاكين الدباغين وضيح حوانيت القصابين . . يا كوز الحجام . . يا شخص الخالم في عشرين  
المظلوم . . يا أثقل من ضامة طفيلي . . يا جواب الحجاب . . يا بوس البواب . . يا نظير  
الى زنج الام على الريق . . يا شماتة الاعداء وحسد الاقرباء . . ويا لزمة الضرما . . وعريضة  
الجلساء . . وخيانة الشركاء . . وغش الاصدقاء . . وشماتة السفهاء . . ونصرة الضعفاء . .  
وعداوة الامراء . . وسماع المظني البارد ) .

ثم ينتهي الى توجيه بعض المطالب له لتمجيذة واظهار جهله وزيادة في التهم  
والتقريع فيطلبه : املاء النسخة الاولى من كتاب العين . مع ان الناس متفقون على ضياعها  
وأن يخبر له قراءة أبي بن كعب مع أن الناس مجمعون على ذهابها ويسأله عمدا  
اختلف الناس فيه وشكوا من خروج المهدي والسفياني والاصفر القحطاني . .

أو أن يعالج الكيمياء ليصنع منها للناس ذهابا . وأن يطلع الزنج الاكبر  
الذي هو من فاخر الروم ومحاسنهم .

ويطلب منه أن يبنى لهم مسجداً يباهى مسجد دمشق الذي يفخر به أهل  
المغرب على أهل المشرق . . . وان ينتصر للملويين ويرد عليهم حقهم المكتسب . ثم  
يختم رسالته هذه التي هي أقرب الى قصيدة جيدة في الهجاء بقوله :

( هذه رحمة اللهدية أهديتها لك بل هدى من المرائع جلوتها عليك  
وما صبرها الا فقدك ولا ثمنها الا بحدك ، فاذا وهبتهما فقد وفيت المهر وأرضيت  
العروس والصهر فسيبان من أرائيك ولك مهر مثلى ، وأنت ختن لى وعهدى بالناس  
يخطبون الكرائم بالكرم ، ويطلبونها بحسن الاخلاق والشيم ، وأنت خطبت هذه الكريمة  
بلوأم نجوى وصخر قدرك ، وعهدى بهم يحتلون المهور في أموالهم وانت جعلت مهر  
هذه من عرضك الخلق ، وأعجب ما فيها أنك اذا طلقها لم تطلقك ، واذا اطلقتها  
من حبلك لم تملكها فخذها مباركا لك فيها فيستالعروس وزوجها شر منها ) (١)

فهل لى بمد أن استعرضت هذه الرسالة هذا الاستعراض السريع أن اذكر  
القارى بالرجوع الى نص الرسالة فان فيها الامثال والحكم ومختار الضمير وحوادث التاريخ  
واسماء المشاهير في كل علم . . . وأرى انى ما فيها من غزارة مملوطة ومعارف يستحق  
تحقيقا قد يستغرق كتابا فهو أقوى وأغزرى مملوماتها من رسالته الى جماعة الشيعة  
التي نوه بها زكى مبارك (٢) .

بقى أن انوه بان هذه الرسالة تمثل رسائله الصادقة التي تدل على قسوة  
اسلوه واقتنانه في تلوينه بالبديع . . . فالخوارزى اذا تنازل موضوعا ونفسه تضطرم امسا  
حبا أو بنفسا يخلق ويجيد ولا تشمر بتكلفه ومنمته . ومن أهاجيه النثرية هذه القطعة

(١) رسائل الخوارزى ص ١١٢-١٢١

(٢) انظر النثر الفنى ٢/٣٢٦



التي يذم فيها شخصا ذكر له انه لا يستطيع كلامه ويستنكر اعظام الناس له :

( بلغنى أن فلانا زعم أن سممه لا يسع لاستماع كلامي ، وأنه يستمظم ما يرى عليه الناس من اعطاشي . والذنب للمبين المشواء في حجة الظلماء ، وكراهية الضياع ، وفم المريض يستثقل وقع الشذاء ، ويستمر طعم الماء ، والجمل يتخذى على المرقمين ويموت من الورد والنسرين ، ومن الرياح والياسمين ومن طمس عين الشمس فقد نطق عن مقداره في الحس ، ومن حارب جيش العقل ، وخلع رقة المدل ورضى لنفسه بمجانسة الجمل ، فقد كفى خصومه مؤنة عتايه وعقابه ، وقد أمن زيادة الحنة لتصام مابيه . . . ( ١ )

ومع أن هذا الذي طعن في أدب الخوارزمي ومزكته لم يبين لنا سبب طعنه - أو لعله بينه ولم ينقله لنا الخوارزمي فان الخوارزمي لم يكن موضوعيا في رده وقصارى جهده ان يتهمه بقلة الذوق وعدم الفهم . . . فلعل الناقد كان على حق كما نلمس في هذه القطعة اعجاز الخوارزمي بأدبه .

وقال يصف حاكما ظالما :

( ورد علينا فلان ونحن نيام نوم الأمله وسكارى سكر الثروة ، وضكئون على فراش المدل والنصفه ، فما زال يفتح علينا أبواب المثلالم ويحتلب فينا ضرعى الدنانير والدراهم ، ويسير في بلادنا سيرة لا يسيرها السنور في الفأر ولا يستخيرها المسلمون في الكفار ، حتى افتقر الانبياء ، وانكشف الفقراء ، وحتى ترك الدهقان ضيخته وجحشده صاحب الغلة غلته وحتى نوى الزرع والضرع ، واهلك الحرث والنسل ، وحتى أخرب البلاد بل أخرب المباد ، وحتى شوى الى الآخرة أهمل الدنيا ، وحجب الفقر السى

أهل الننى ، وحق لقب بالجراد ، وكفى أبا الفساد ، وحتى صار الدرهم فى أيامه  
أقل من الصدق فى كلفه ، وصار الأمن فى أعماله ، أعز من المداود فى أعماله . فليته  
ان أوحى الرجال حصل المال ، وليته ان وضع المال أرضى الرجال . ولكنه حرم الاثنين  
فأقل من الجهتين . والله ما الذئب فى الخنزير بالقياس اليه الأول الماديين ، ولا يزدجر  
الاثيم فى أهل فارس بل بالاضافة اليه الأمن النبیین المصدقين ولا فرعون فى بنى اسرائيل  
انما قابلته به الأمن الملائكة المقربين ، فان كنا به معاقبين فقد تنقضى مدة العقاب  
وتختم صحيفة العذاب وان كان الفلح يخلط به والزمان خطأ فيه ، فقد يراجع الشالط  
حسه ويحاسب المخطئ ، نفسه فيجبر ما كسر ، ويتلافى ما بدر . ( ١ )

ونرى الخوارزمى فى هذه القطعة يحلق بأسلمه ويأتى بالاستثمارات الجيدة  
ويرشق سهجوه بسهام قاتله ويصوره بصور مرعبة مؤقدية فتارة بصورة فى صورة الوسا  
الفتاك وأخرى فى صورة المجرم الاثيم الذى لا تأخذه رحمة فى ضحاياه .

وما حلل هذه الاستثمارات وهذه التشبيهات التى تشهد باجادته لهيذا  
الفن . . كقوله ( يفتح علينا أبواب المثلالم ) أو ( حتى انكشف الفقراء ) . . ( سيرة  
لا يسيرها السنور فى الفأر . . ) الخ .

ولا ندرى كيف تسنى للخوارزمى ان يواجه هذا الوالى بهذا القول الجارح وهو  
الذى يقول فى رسالة اخرى يشكو فيها عدم اعطائه حرية الرأى .

( وما علمت انى أعيش حتى أصادر على اللسان . . وقد كنت رأيتعاكما يحجر على

(١) يتيم أو معتوه وفره . . . ولم أر أميراً يحجر على كاتب في كتابته أو على شاعر في شعره

وما منعه ذلك الحاكم من القول إلا لما يعلم بالأدب في نفوس الناس ممن

أشر .

والرسالة من ناحية أخرى تعطينا صورة عن الولاة الظالمين في زمانه ،

الذين يتحسفون الناس بمصادرة أموالهم دون وأزع من دين ولا مراقبة من حاكمهم

عادل .

ونسجل للخوارزمي هنا روحه الجماعية التي تظهر في شكاته هذه ، فهو

يشكو إلى الحاكم سوء سيرة الوالي في أهل البلاد كلها . . . فليس الأمر يعني

وحده .

على أن هذه ليست أول صرخه للخوارزمي من هؤلاء الولاة والحكام بل كثيراً

ما يرفع شكايته إلى الوزراء يطلب إعفائه من تلك الضرائب التي كان أولئك الولاة يتحصّلونها

من الناس كرها .

(١) رسائل الخوارزمي ص ٧

(٢) نفس المصدر ص ٩ ، ١٥ وانظر بقية أمثلة الهجاء الصفحات ٢٨ ، ٤٩ ، ٥٣

## التمنيـة

وهي من الافراض التي أجاد فيها الخوارزم لمقدرته على تهديئة النفوس وتذكيرها  
بما شرعه الله من الرضى بالقضاء والقدر .

كتيبسى رئيس طوس فى شقيقه :

" كتابى عن سلامة ، وما سلامة من يرى كل يوم ركننا مهدي ودا ولحدا ملحودا ، وأخا  
مفتودا ، وحوثنا من المنية مورودا ، ويصلم أن أياه مكتومة ، وأنفاسه محسومة ، وأن شباك  
النيا له منصومة .

أف لهذه الدنيا ، ما أكر صافيتها ، وأخيب راجيتها ، وأند رأياها ولياليها ،  
وانقص لذاتها ، وملاهيها . . . تفرق بين الاحبة ، والاحباب بالفوات . . . ورد على خبر وفاة  
فلان فدارت بين الارض حيرة ، وأظلمت فى عيني الدنيا حسرة . . . وتذكرت ما كان يجمصصنى  
واياه من سكر الشباب والشراب ، فقلت : انه شرب من كأمى أنا شارب من شرابها ، ورمى  
بقوس سوف أرمى بها ، فبكيت عليه بكاءً لن نصفه ، وحزنت له ، وزنا لنفسى شطره ، وسألت  
الله تعالى - فانه أكرم مسئول وأعظم مأمول - أن يفيض عليه من رحمته . . . وان يفكر لسه  
تلك الاخلاق الكريمة ، وتلك المروءة الواسعة العظيمة ، فان الله تعالى ليحب السخا ،  
فى الملحد ، فكيف فى الموحد . . . ثم تذكرت ما نزل من الوحشة لفقده ، والفضة من بعده ،  
والتحسر على قرنه ببجده ، فخلت الى قلبى وجع ثان انسانى المانى . . . حتى استفسرغ  
ذلك مافى صدرى بل مافى صبرى . . .

ثم رجعت الى أديب الله تعالى فقلت : انا لله وانا اليه راجعون . اللهم لا شكاية  
لقضائك ، ولا استبداء ، لجزائك . . . اللهم ارحم الماضى رحمة تحيب اليه ماته وابقى الحسى  
بقاءً تهنتة فى حياتك واطبع على قلبه حتى لا يطيح برأى الزج ولا يضع عنانه بيد الهلع . . .  
ولا يثلم بجانب الاجر والذخر بالاثم والوزر ولا يجد عدوه الشيطان سبيلا اليه ، ولا سلطاً

عليه . . . ليعرفني سيدي خبر ما هداه الله اليه من جميل العزاء الذي لم يعدم جميسل  
الجزء ليكون سكوتي الى ما أعرفه من سلوته اضمات قلق كان بما ظننته من حرقة ، وان كنت  
أعلم أنه لا يخلى ساحة الحلم والصلم ، ولا يخال بالواجب من التمسك بالحزم ولا يحل غدة  
صبره ولا تتداعى أركان صدره ، ولا يعصى عليه الرشد في جميع أمره .

وهي شريطة الكمال ، وسجية الرجال . . . ( ١ )

ويمكن أن نلاحظ حرارة العاطفة في أول الرسالة حينما يتحدث الكاتب عن أحد سوال  
هذه الدنيا وما تثول اليه . . . وعن فمص الموت والمصير المحتوم الذي لا بد منه . . . وكسأن  
الخرارزي يرثي بهذا نفسه ولحسن صدقها جاء من هنا . . . وأمر آخر جعله يكتبه في ذلك  
ان الميت يحدث في النفس فراغا يورث صديقه حزنا وجزعا . . .

ولكننا نستدرك على الخوارزمي قوله لاخي الميت : أخبرني كيف تمزيت وما سموت  
عن مفقودك لا فمحل ما فعلته لاني كنت حزينا لحزتك ؟ فهل يسلم له الممزي أنه سأل  
فقيهه وتمزنته ثم هل هو حزين فقط لحزن الحي أم أنه حزين لفقد الميت ؟

على أننا نجد في هذه الرسالة ما يرفع قيمتها . . . وشهد على اجادة كاتبها ذلك  
هو الاتجاه الديني . . .

وحث الميت على أدب الله في مثل هذه المواقف والايمان بقضاء الله وقدره . . . وأن  
يلتزم بالصبر لينال أجر صبره مما يجملنا نعترف له باصابة الفرس وصدق القول .

ومن طريف تمازيت التي كتبها عن خوارزم شاه الى الملك يعزبه في ابنه ؟ ( ١ ) . . .  
وهي رسالة جمع فيها بين التهنئة والتهنئة ولهذا اشتهرت هذه الرسالة . . . لان التمسير  
لا يطاوع كل كاتب عن هذين الضممين المتضادين يقول فيها :

" كتبت وأنا عقم بين فرحة وترحة ، ومرد بين محنة ومنحة أشكو جليسل  
 الرزية واشكر جزيل العطية ، وأسأل الله تعالى للامير الماضى الخفران والرحمة  
 وللامير السيد التاييد والنعمة ، فان المصيبة بالماضى وان كانت تستوجب الصبر ، فسا ن  
 الموهبة فى الباقى تستغفد الشكر ، والحد لله الذى كسر ثم جبر وسلب ثم وهب وابتلى ثم  
 اولى ، واخذ ثم اعطى ، كتب على المشرق خاصة بل على الدنيا كافة ان تطفى آثارها  
 وتظلم أقطارها وتمهب ربح الخراب عليها .. حتى ذبلت شجرة الملكة ووهن ركن الملة ..  
 ثم امتدرك الله تعالى برحمته خلقه فرد الى الامير حقه ، وقوت الدولة فى قرارها ، وعادت  
 الرياسة فى موضعها ، فأنا الان بين شكاية الايام وشكورها ، وبين حرب بالدهر  
 وسلمه .. أبكى وأناظك وأضحك وأنا باكى اليمين ، الا ان الضحت على أغلب والفرج  
 الي من الهم اقرب ، لان المصيبة طاضية والنعمة باقية " ( ١ )

وفى هذه القطعة استطاع الخوارزمى ان يبدى مقدرة واجادة فى التصرف والتعبير  
 عن المعنيين المتناقضين وفلفهما وحلى اسلوبه بهذه الخلية الجميلة والمنعة المتقنة ..  
 ولكنها تفقد العاطفة ، ولا غرو فهو لا يكتبها يمانيه .. وانما يكتب على لسان غيره .. ومن  
 هنا يمكن ان نقول بان هذه الرسائل الاخوانية هي شقيقة الرسائل الديوانية فهى لا تخلو  
 من الصفة الرسمية فكما يأخذ الوزير والحاكم شخصا يكتبه الرسائل الرسمية التى تصدر  
 عنه كذ لك كان يستعمل بكهار الكتاب ليكتبوا له فى هذه الاغراض التى قد لا يستطيع  
 ان يعبر عنها التعبير الجيد ، خاصة اذا كانت هذه الرسالة سوف ترفع الى مقام الملك .

هه

### المتسيب

هذا الفرض استغرق جل رسائل الخوارزمى وهو غالبا لا يعاتب الا أهمل  
 المناصب الكبيرة من وزراء وولاة وقضاة وأصحاب الجيوش .. ويمكن ان نقول ان أكثر مكاتباته

لهؤلاء هي مكاتبات يقصد بها التوصل الى هدفه وهدف الخوارزمي ينحصر في أمرين :  
النوال . . والمركز والجاه . . ونلاحظ أنه في رسائله الى هؤلاء الشخصيات المهمة والمعروفة  
يشكو عدم ردهم على مكاتباته . . فرغم منزلته الادبية وشهرته فإنه لا يلقى من هؤلاء تجاوبا . .  
ولعلمهم أحسوا من خلال رسائله أغراضه . . فتباطئوا في الرد عليه . . على أن الهتساب  
انما يحلو ويعذب في مجال النشر ولهذا أجاد فيه الخوارزمي وأكثر . .

كتب الى وزير قابوس بن ووشمكير :

” وكل ولاية لا يد يوما مغيرة المد يدق على الصديق

قد كنت أنتظر مصداق هذا البيت من سيدى حتى حقق الله تعالى ظنى ، ولو أكذب به كسان  
أحبالي وأوقع لدي فسبحان من جعل حصتى من وفاء الاخوان مبخوسة ، وتجارتي فيما  
أعلمهم به ريعا طوني موكوسة<sup>(١)</sup> فان كان سيدى عم هذا الجفاء اخوانه فخلطنى بهم وجملى  
واهدا منهم لقد أخلف ثقتى بانفرادى عن صحبه ، وأخلف ظنى بناحيتى من قلبه ، وكنت  
أحبا نميخصنى من بينهم بفضل الثقة كما خصصته من بينهم بفضل الثقة ، وان كان وصلهم  
وقطعتى د ونهم لقد عكس حكم الرجاء وغرس الجفاء فزعبت الوفاء ، وأساء الترتيب بسين  
الاصدقاء ، وما أدرى له في واحد من الفعليين عذرا وان كان أحدهما أشل وزرا وأسوا  
برا وأقبح ذكرا ، قد كنت طويت بيد اليأس بساط المتابى وأغلقت باب المراجعة ونجست  
مفتاح الباب ثم استظهرت بهذا الاحرف ، ومثرد من سيدى على ان عن المتابصما وعين  
عن الوفاء عميا ، ونفس تهف من الوفاء كما يهف من الناس الاعداء ، وتمسق الجفاء كما يمشى  
الرجل المرأة الحسناء ويشتهيها كما يشتهي الثمان الماء ، وانتظارى الجواب عنها أكذوبة  
من أكاذيب الامانى ، وأغلوطة من أغاليط زمانى ، ومناقضة لحكم القياس وارجاف مسن  
أراجيف السواسى ، ولنفسها سخرة من سخر الفراغ تكلفتها ، وحاجة في نفسى قضوتهم ساسا<sup>(٢)</sup>

(١) موكوسة : بمعنى خاسرة .

(٢) رسائل الخوارزمي ص ١١ و ١٢

وعدّه الرسائل دليل على ما قلت ذلك أن أغلب رسائله وخاصة في المعاتبة انصا  
يرى بها لغيري المنفعة . . . والتصرف بنفسه . . . فرسالته لوزير قابوس هذه ليست اخوانية  
صرفة كما أنها ليست للصدقة وحدها . . . بل هو يريد أن يتوصل بالوزير للوالى ذلك  
أنه « يصل للوالى الا اذا قوى صلته بوزيره . . . واذا وصل للوالى حصل على ما يريد ممن  
أعطيات وهدايا . . . ان هو الاديب الصقع . . . وتاجر النثر والنظم مما . . .

وأمر آخر يدل على اتجاه الخوارزمى هذا . . . هو أنه لا يكتب الا الرؤساء والوزراء ومن  
في طبقتهم . . . فهل هو لم يصر هؤلاء حتى أصبحوا في هذه المراكز أم أنه لم يكتبهم قبل  
أن يصلوا الى تلك المركز جريا على عادته أنه لا ينزل بأدبه ولا يمدح الا خطيرا ؟ ولكن  
العتاب أكثر ما يوجه للاصدقاء وليس شرطا أن يكون الصديق فمركز عال . . . أو أنه لا تجوز  
معاتبته الا اذا كان في هذا المركز . . .

واذا لم يستجب له من يكاتبه سلط عليه من ظلمه سهاماً مع مودة ، فاما أن يجيبه  
على عتابه ويرضى بصدقته أو فليتحمل مثل هذا العتاب المر . . . ويظهر من رسالته هذه  
يأسه من مكاتبة الوزير ولذا لم يظهر حسرته الشديدة عليها خاصة بعد أن كرر رسائله  
اليه فلم يظفر بجواب . . . ومن هنا ظهر آخر ما في جمعته من السهام ليصفه بقلة الرفاء والجفاء

على أن هذه حنة من يتكسب بأدبه وهى سنة اتبع فيها الكتاب طريق الشمس سرا  
فالخوارزمى اتخذ من الكتابة حرفة للكسب المادي ولعله ليس الوحيد في هذا . . . وأدباء هذا  
القرن لا يجدون في ذلك غضاضة فهو يصرح بطلب النوال في قوله : " انما لسان الشاعر  
روضه لا تسلف الزهر حتى تسلف المطر ، ولا تضحك في وجه السماء الا بعد أن تستوفسى  
حقها من الأنداء " ( ١ )

ويقول في موضع آخر : " وأحياناً أرتاب ابتكار المعاني الى من يفترع أبكار



المعالي ، وأن أغرب في الثناء لمن يضرب في السناء ، وأن أزج الشيخ من صنعة لسانه كرائم لا تجتليها الا عيناه ولا تطمئنها الا يداه " (٢)

أ و قوله : " فكنت هذه الاحرف أصل حبلي بحبله ، وأعرض نفسي لفضله وأنا أخرج الى الامير من عمدة هذه السلعة وأشهد أني وسط في هذه الصنعة " (٢) أو - يقول : " كيف يصون الادب مغرم ولم يؤد عن الالمؤدب درهم ؟ " (٣)

وهناك نموذج آخر من عتاب الخوارزمي أقرب للهجاء منه للمتاب :

كتب اليه يريد الا هواز : " كنت ظننت بك يا أخي غنا كذبه فعلك ، وضعف هجرتك ووصلك . فانك تعمل فيهما على قياء واجب ولا تصبر منهما على طعام واحد . فلا جرم ، لقد رجعت في ودي لك وما كنت أرجع في هبة ، وندمت على ثقتي بك وعمدي بي لا أندم على حسنة وهذا أيدك اللتعال - رزقي من كل من أصفيه حبي ووضعيت في يديه قلبي . . . فانا أبدا بين يدي أشكوه . . . وقد كنت أشكوه . . . واعد له وقد كنت أعد له ، وأرتجع قلبي منه كرها ، وقد سلمته اليه طوعا حتى لقد اشتغل قلبي بخوف الا صدقاء عن خوف الاعداء ، واشتغل شمري بالمتاب عن المديح والهجاء ، حتى لقد صرت أعسد سوء الظن حزما وأرى المساهلة غنا ، وأحسب المكافأة على القبيح عدلا ، ومعاشرة الناس بالفضل عقلا وان كان هذا ليس جميلا فانا فيه تلميذ أصدقائي ، وهم في الحمد عليه شركائي " (٤)

وهي شكاية من الاصدقاء كثيرا ما تتردد في عتاب الخوارزمي . على أني أخسب عليه طريقته هذه في عتاب أهل المناصب والمراكز حتى ولو كانوا أصدقاؤه . . . فهو وان أحسن في الانشاء الا أنه من المتاب متهاك في التقرب الي هو لا . . . ولو كان عتابه اليه وحرصه على مكائبتهم أخف لكان أجمل وأحرى أن يحظى برده منهم . فليس بعد هذا المتاب

(٢) نفس المصدر ص ٦٧

(١) المصدر السابق ص ٣٩

(٣) نفس المصدر ص ٧٤ وهكذا في الكتاب " درهم "

(٤) رسائل الخوارزمي ص ٨٦



العتاب الذي يسكن الناظر ويصلح النفوس المريضة . ويحسن بنا بمد هذا أن نقرا ..  
فلسفة العتاب عند الخوارزمي لنقتل على فهمه له ونعرف مقاصده من وراءه .

” .. على أن ما أجهل منفعة العتاب ولا أنكر مراقبه بين الاصحاب ، ولا أشك  
في أنه يطرى خلل الود ، ويجلو غيرة العهد ، ويد اوى أدواء القلوب ، ويترجم عن جنبسات  
الهيوب ، وأنه الا نموذج بين الاولياء والاعداء ، والمسر بين المدح والهجاء ، والمصلح  
للمشورة الفاسدة .. ولهذا اشتقت لقبلة العتابي - وهي الرجوع الى الرضا - ولكن اذا كان  
مصدره عن شكاية ومنعه عن جنائيه ، ووضع عن فترة في الود عرضت ، أو غلطة في الانصاف  
حدثت .. جمع الشمل وجدد الوصل وصقل ما صدئ من العشرة وأزال ما وقع من الفترة .. واذا  
كان مصدره عن تجرم كان مفتاحها لباب العريضة ومكذرا لصفو المودة وترجمانا عن لسان  
القطيعة وانما هو دواء اذا لم يصافى بالاسئلة ، واذا صادفه كان شفاء ” ( ١ )

وهو تفسير جيد للعتاب ومعرفة من الخوارزمي لخبائيا النفوس تدل على خبرة وتجارب  
عديدة .. ولايمان الخوارزمي بما للعتاب من أهمية لجمع شمل الاصدقاء وصقل ما صدئ  
من النفوس أكثر منه .. ولكنه يخرجهم أحيانا الى النون الثاني الذي ذكره - وهو ما كان مصدره  
عن تجرم . ( ٢ )

( ١ ) رسائل الخوارزمي ص ١٠٧

( ٢ ) انظر بقية الامثلة من الرملة ص ٣٤ ، ٢٩ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، وغيرها .

## اللوم والشتم

ومع أن هذا الضرر لا يحسن بأهل القلوب الكبيرة والاخلاق المالية فإن الولاة ، ،  
احتاجوا إليه ليردوا به خارجا عليهم أو يشطوا به عنهم و لهم وقع في شر أعماله ، ليهدموا  
في نفسه الهمة والعزيمة . . . والخوارى إنما يكتب في هذا الباب على لسان الامسراء  
أو الملوك والحكام . على أنه إذا جرد قلمه في هذا الضرر عرف كيف يضمن ويوجه ، وذلك  
انه يكتب مواقف يصر فيها جيدا اطافى شخص كان منيعة لاحد الوزراء فكفر النعمة أو فسد  
وإن عزل لسوء ادارته أو لخارج عن الطاعة . . . فالموقف الاول لعلمه مر به هو أو غيره  
من أدباء عصره . . . والموقف الثاني يعتبر فرصة له لينال من أولئك الولاة الذين ساروا فسد  
البلاد سيرة غير منيعة .

كتب الى أبي اسحاق . . . بعد أن نكبه الوزير الطاحب رسالة طويلة وهو اسما  
أن يكون كتبها بطلب من الوزير أو كتبها ، من نفسه ليرضى بها الوزير ويكسب وده . . .  
" . . لا خلصك الله مما أنت فيه من جنابغيرك عليك حتى يخلصك مما كنت فيه من اساءة نفسك  
اليك ، فان نفسك اعظم خصميك وان كانت أصفرهما لديك ، وقد مثلت أيدى الله بسنين  
أن أحرى لك كلامي وأقوى نحوك سهامي ، وأقضى بذلك حرج عظمتك وأخرج من عهد ما يلزمنى  
في هدايتك ، وبين أن يلين من قولى لانتفىق في نفسى حاجة من نصيحتك . . . فأرأيت  
الاول على أوجب والى الصواب أقرب . . . وأنا أقول :

أخوه الذى ان اجرضتك ملية من الدهر ليهيرج لها الدهر واجما ( ١ )

ولا أقول وليس أخوك بالذى ان تشعبت عليك أمور ظل يلحاك لائم

أنت أيدى الله تعلم أنك كنت من الذل في مكان يتخطات الناظر ويد منك الخسف

( ١ ) الجرض : الفحص : جرض بريقه عن به فمضى أجرضتك : جعلتك تفحص بريقك

من هولها . انظر اساس البلاغة ص ٩٠ مادة ( جرض )

والحافر، لا شرفك نسب ، ولا يرفحك أدب ، ولا يرجوك صديقك ولا يخافك عدوك عن  
يمينك الخمول ، وعن يسارك الذبول . . تصبح في قل وتسمى في ذل . . فأ نصفك الدهر  
الظالم وانتبه لك البخت النائم وأراد الله تعالى أن يرفع من حكمتك ، ويقوم من حدبتك  
فينظر كيف تعملون . . فا اتصلت من ولى نعمتك برجل لو اتصل به الأذبار لتقدم الاقبال  
ولو خدمه النقص لفضل الكمال . . فما هو الا أن نسبت اليه وحسبت في آثار يديه حتى  
قاتلت الايام بسلاحه وطرت الى المعنى والطالب بجناحه . . حتى زارك قوم لو زرتهم فيما  
قبل لدلال وقوفك بين الدار والباب . . وخدمك أناس ما منهم أحد الا وقد لاحظته  
بعمين هائب ، ونقلت اليه قدم راغب أوراها . . هذا الى استسلامه لك من الردى  
بيد الهدى واخراجه اياك من ظلمة العمى والتقليد الى نور العدل والتوحيد .

فلما جازيت النعمة بالقران ، ونسيت " هل جزاء الا حسان الا الا حسان " نظرت  
الايام اليك شزرا ومد لتلك باليسر عسرا فأصبحت تلك البوارق وهي صواعق ، واستحالت  
تلك المواهب وهي مصائب وقاضاك دهرك ما أسلف . . والد هرفريم لا يماطل اذا اقتضى  
وحاكم لا يراجع اذا قضى ، فيها أنت قد ذمك حامدك ورحمك حاسدك فأنت الآن عليل  
د واوه التوبة وجريح شفاؤه الرجعة والفيئة . . يايها الرجل وكلكم ذلك الرجل كم  
تهتكون حجب الموارف بيد القران وكم تصافحون النعم بالبنى والمد وان<sup>(١)</sup> وهي  
رسالة طهيلة اجتزأت منها . . والخوارزمي أقل شماتة قبيها بالرجل . . فهو مرة ينصح  
ومرة يلوم وشمت ولا أظن هذا المنكوب من الصاحب يستفيد من هذه الرسالة سوى  
التبكيك واستشعار الندم . . ولا أظنه بعد هذا كله تحدثه نفسه بالعودة الى الصاحب  
والرسالة من الناحية الفنية جيدة . . فقد أصابت غرضها ولا مزيد عليها . . ويظهر أن  
الخوارزمي كتبها في أول عهده بالصاحب وقبل أن تتغير نفسه عليه . . وفيها دليل على  
ملاؤلك الوزراء من دهر في حياة الناس وكيف أنهم يرفعون من رضوا عنه حتى يصل المعنى  
ويضعون من غضبوا عليه حتى تزدريه الاعين .



ولا أدري السبب الذي جعل الخوارزمي يسيب جام غضبه ويطنع الرجل هذا من  
الطمعات المسمومة وهو في حالة المستغيث اللهبان وهو موقف لا ترضاه شيم النبلاء  
ولا تجرره عداوته ان كان عدوا له ، فالشهادة والمروءة تقضى بأن يفيث العدو وعدوه في مثل  
هذه المواقف . وأظن ان هذا الكاتب أساء السيرة وكانت له مواقف من الخوارزمي غير وديسة  
ولهذا تحين هذه الفرصة لينتقم منه .

ولا ننسى أنه كتب الرسالة ارضاء لركن الدولة الذي عزل حتى يشمره أنه عمل ما هو  
واجب .

والرسالة تجيدة كتبها الخوارزمي ونفسه تغلى كرها وحقدا وشماته فصرف كيف  
يكتب ويستثير كوامن النفس ، ويجعل الرجل يتألم من كلامه أكثر مما تألم من عزله . ( ١ )

٥٥

### مؤامرات المنكوبين

وكما كان الخوارزمي يصرف كيف يكتب ويجرح ويخرق ، فهو في بحر من الحسرات  
والكآبة كذلك فان يعرف كيف يواسي ويرجع الى النفس هدوها . . بتزهد من يكتب له  
فيما فات وتأمله فيما بقى .

كتب الى وزير خوارزم شاه لمانكوب / وكان خريجه :

« أصبحت - أيد الله الشيخ - وأسميت شهبان من كل بنية ، ريان مسن  
كل مراد ومنه ، غير انقشاع هذه الضبابه ، وانجلاء هذه السحابة ، انى - والله ظمستان  
الى خير يدل فرحو على غنى ، ويهزم بسرورى عساكر همى ، فما اسرع خبر السوء حتى كأنه  
يخب ، وما ابطأ خبر السرور حتى كأنه يدب ، وما أوج الدهر بهدم ركن الفضل ، وثلم

( ١ ) انظر بقية الامثلة ص ٥٢ وغيرها .

جانبا العقل ، وما اسبح الايام الى الكرم فيما يضره والى اللئيم فيما يسره . . . على انى ارجو  
ان يكون فى هذه المحنة من المصالح ما يضمن مسلكه ويخفى مذمبه . . .

ومما سرتنى فى الشيخ ان المحنة لم تثلب جوانب جلالاته ، وان طول مدة الذلعة  
والقلعة لم يمتصر ما احتماله وصنفته ، وان الوحدة والوحشة لم تقدها فى لسانه وقلبه ،  
ولم يظهر أثرهما على صفحات ثباته وعزمه ، وانه لم تصغر - على طول الزمان - نفسه ،  
ولم يظن على أكف اعدائه ضمه . . . حتى انجلت (١) عنه غيرة العواقب ، والعرض نقى والقلب  
بالله تعالى قوى والفعل " بحمد الله " مرضى ، والنفس تلك النفس الا ما نقص من ماله  
وتضعف من حاله ، واللمة تلك الجملة لا الرخاء أكسبها بطرا ولا البلاء أورثها ضجرا . . .  
والايام مرآة الرجال والاطوار معيار النفس فيهم والكمال ، والصورة بمد الدولة تخرج  
خبث الاخلاق ، وتكشف عن مقادير الاحوال والاعراض . . . " (٢)

ورغم اختصارى للرسالة فان فى هذا ما يثبت النفس المضطربة ويطمئن القلب المفجوع  
اذ هى رسالة من انسان خبير بمعالج النفوس الحزينة ، ومداواة القلوب الجريحة  
ففى مقدمتها شكوى من هذا الزمان الذى يوازى اللثام ويتنكر للكرام . . . ليضمه ان مصائب  
الزمان شركة بين ابناؤه ، وانها لا تصيب الا الفضلاء منهم ، وهى شكوى من الخوارزمسى  
نستشف من ورائها عدم رضا عن الاوضاع السياسية والاجتماعية التى تسود مجتمعها وان لاسم  
يصرح بدم أحد .

وكانه يحاول ان يقول لتلميذ مبانه ليس وحده الذى أصيب بهذه المأساة فيشكسرو  
جور الدهر عليه بل كلهم ذلت الرجل . . . ثم يصود ليشجعه ويثبته ويقول له إنه لا زال بخير  
مادام الضرر مهونا . . . وان الرزية اذا اقتضت على المال وتغير الاحوال فهى هينة . . . ويمتدح  
فيه صبره وجلده وان الحوادث لم تغيره . . . فلم يخطر فى حان الرخاء كما انه لم يصف فى  
حال الشدة والبلاء . . . ويظهر فيها الصدق وحرارة العاطفة فهو يكتب لتلميذه . . . وكتيب



الى كاتبه خوارزم شاه :

" ورد كتابت \* وليست أقول : غنى وأصنى ، بل أقول : أعانى وأصنى تذكر  
انك امتحنت وأنت برى \* ونكبت وأنت محسن لأمسى \* وأى ذنب أعظم من أن تشكسرسر  
بالفضل أهل التقى ؟ وأى جرم أشنع من أن تنزل بالفهم يما بين طبقات أهل الجهل ، وما  
للطائر الكبير والقمر الصغير ؟ وما بال درة اليتيمة ترضى بالصدقة اللثيمة ؟

وانما الادب جناح فهذه طرت به من الوكر الصغير الى الوكر الكبير ؟ وهلا اذ كملت  
آلتك انتجمت بها مكانا تكمل فيه حالك \* وما نزلت بك هذه النازلة الا ليقلمك بها السحاح  
من يد النحس . من تلك البقعة الناقصة أهلا \* المبنية جهلا ، فابشر ولا تتهم الله تعالى  
فى مصالح خلقه ، ولا تقنط من رزقه فانما يرتاب المظلون ، ولا ييأس من ربح الله الا القوم  
الكافرون ، واياك أن تشل هذه الحادثة غريك أو تكسر حدك أو تضح خدك ، أو تشلم ، ركبتك  
أوتسى ، بالله تعالى ظنك \* فانما كانت ساعة أحرقت ثوبك ، وصمت بفضك وسلم الله - ولله  
الحمد - منها روحك ، وصان فيها لسانك وقلبك ، ووراءك الدهر الانييل وخلقك صنع الله  
الانييل ، ووعده بجميل صنمه كليل . وقد خرجت الى الدهر من نوبة الصبر فهو غريمك  
الان فى اليسر ، واذ رأعجلا دتك على وقع سهامه ، وصارتك على تصرف أيامه ، جساءك  
معتذرا ، وهربالك مستترا ، وآسى باليمنى ماجرج باليسرى . فانظر الفرج فانه منتظر ،  
واصبر فان الدهر لا يصبر " . ( ١ )

وهذه القطعة أقوى فى بابها من سابقتها ، وهذا الكاتب وان لم يكن تلميذه  
الا أنه تجمعه به حرفة الادب التى غار عليها الخوارزمى فيرته على الحریم . وفيها مسن  
التثبيت والتطمين مالا يخفى . فقد وقعت على كبد هذا الكاتب المنكوب . وقوع المافية  
فى البدن . وهونت عليه مصيبته ، وقوت عزيمته ، وهو الشرير الذى يسمى اليه الكاتب من  
وراء رسالته " ( ٢ )

( ١ ) رسائل الخوارزمى ص ١٢٣-١٢٤

( ٢ ) انظر باقى الامثلة على هذا الشرير ص ١٦ ، ٢٧ . . .

## الفصل الثاني

لم يكن الخوارزمي - رغم عادات مجتمعه وتقاليده - خاضعا مستكينا . . لا يصر بقيمة أدبه ولا يحس بعزلة نفسه . . فقد كان في مقتبل حياته الأدبية لا يرى أن أحد يساميه مكانة ولا منزلة ، إن لم يترجم ذلك بالمقال فحالته وأعماله تدلان عليه . ورغم ما تعرض له من أهانات ومدامات ، وما حفلت به حياته من عداوات ، فإنه لم يفقد كل ثقته بنفسه . . . وان اضمضت منه الحوادث ، واحتوجته الحياة وحرفة الأدب الى تزلف الوزراء والامراء . . . وهذه نماذج من نشره الذي يرينا فيه ما تتصف به نفسه من عزة وسوء ، وما فيه من صلابة ورجولة .

كتب الى أبي علي البلخي لما فارق حضرته في بخارى :

" وفقدت كل شيء ملكته غير عرشى الذي عهد به الشيخ مصى وصبرى الذي عرفته مسنى ومن لم يكن على المحنة صبورا لم يوجد للنعمه شكورا ، ومن لم يحقر سوء ما يبلى لم يحمد حسن ما يولى .

أنكر الشيخ عزوف نفسه عن مواقف البذلة ، وصحوة جانبى على من جرنى الى مظنة الهوان والذلة ، والادب سلطان ينسى هيمة السلطان ولطول العشرة دالة تقيم الملبوك مقام النظراء والاخوان . . . . . قد علم الشيخ أنى مذكت لم يسم خدى عذار الهوان ، ولم يوضع على رقبتي نير التبدل والامتهان ، ولم تطرى الايام حريم عروسي فتنتهك ، ولا نالست ستر صيانتى فتنتهك ، ولا ما وجهى فتسفك ، ولقد اخترقت البدو والحضر ، ودخلت ديار ربيعة ومصر فما رأيتنى (بحمد الله تعالى) أو خرجت رتبته ، ولا أخلفهن الغايه فى موطنى رغبة أو رهبة . ومعنى اذ ذاك مكر الشباب ، وذل الاغتراب ، والقوم قد باينونى بالنجبة ، وفارقونى بالترية . . وان عرضا صنته غير مظنة الصيانة لجدير الا أهينه فى غير موضع الا هانة فقد يتهدل الشاب ويقول : أتمسون اذا شبت ويمتهن الغريب ويقول : أتعدزز اذا أبت ، فما عذر من يحتمل الذل وقد رجع الى الوطن من الغربة ، وخرج من حد الشبيبة الى الشبيبة ؟ وهل وراء الغاية منزلة ؟ أم هل بعد الشيب الى الموت مرحلة ؟ (١) (=)

وهذا جزء من رسالة بعثت بها الخوارزمي الى أبي علي البلعص بعد أن فارق حضرته مفاضيا وهي رد على طلب من البلعص يستدعيه الى بخارى ومنها يتضح لناسب سب خلاف الخوارزمي ليس مع البلعص وحده بل مع جميع حكام وولاة عصره . فلا يكاد يستشير عند حاكم حتى يفارقه حتى وصفه المؤرخون بقلة الوفاء وكثرة التقلب . .

وهو هنا كأنه يريد عليهم . . ويبين لهم أن هؤلاء الوزراء والولاة يطلبون منسه أن يخضع ويذل لهم . . وهو يرفس أن يكون كذلك ذلك أنه أديب . . ولأدب منزلة تنسبى هيبة السلطان وله من الفضل والملم ما يربأ به عن مواقف الهوان . . فهو في رسالته هذه يخيب ظن الوزير البلعص في استجابته لطلبه والعودة لحضرته غنا بمرضه وحفاظا على عزة نفسه .

كما نعرف من رسالته هذه كثرة أسفاره وانه عاشر البد وفي الصحراء وتنقل بينهم . . كما تكشف عن اخلاقي وزراء زمانه وامتهانهم للادب . . ومعاملتهم معاملة لا تليق بسبق بهم من نظر اليهم باستحالة وعدم تقديريهم لهم ومواهبهم ، فنمذرا أديبا . . ثم اذا استعملوا أديبهم في شتمهم والتكر لمن عرفوا منهم وهذه رسالة أخرى تشبه سابقتها ولكنها هذه المرة موجهة الى خليفة صاحب بن عماد يقول فيها : " فهت ما ذكره الشيخ أني لو اقتصرمت على خدمة الامير وعلى منادمة الوزير لمالت الصروف عن جانبي ناكسة ، وولت الخطوب عنى هاربة ، ولو لم انتجع غير نيسابور بلدا ولا غير من بها أحد العشت صمهم عيشة رفاة . "

وجواب الشيخ تحت قول الاول :

فبالخير لا بالشرفا طلب مودتسى وأيقنى ( يعتاد ) منه الترهيب

مثلى - أيد الله تعالى الشيخ - لا يحمل على لخدمة بالتقريح والتشريب ، ولا بالتمهد يسعد والترهيب ، ولا تحتلب أخلاف مودته بالاذلال . . . . ولا يدرك مصون ماعنده بالانحان والابتسالة - وإنما يحب سبى مثل سبى

( ١ ) رسائل الخوارزمي ص ١٩

( ٢ ) في الرسائل يقتال : بدل يعتاد .

بالرغبة ، وبقيد بقيد من الذهب والفضة ، ويرضى منه بالحياء والوفاء ، قيلين ، والشكر والتذم ، وضمينين ، وانما الحرز جاج رقيق ثمين ، اذا رفق به ، واستصطف في موضع مثله زين المجال ، ورائع المجالس . . . واذا اخرج به ، انكسر فقمر الكاسر ، واتعب الجابر ، وفم السائق والناظر ، وكان ينبغي لاصحابنا ان يقتنصوني بحباله الاحسان والسبر ، ويرتبون بحبال الحفاظ والشكر ، ويملكون ان البازي المتيق لا يصبر على الاضاعة ، ولا يقيم في بيت المجاعة ، ومن استطاع اليوم شكر غذا " ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا

( ١ )  
وان مقامى حيث خيمت معنفة \* تدل على فهم الكرام الأجاود  
ان رسالة الخوارزمي هذه تصبر عن شعوره بعزته واحساسه بمكانته . وقد  
رسم للوزراء والامراء الطريقة التي يكن ان يستفيدوا بها طمأنينة ان رجل شريف  
عالي الهممة لا يرضى بالهوان ولا يخدم الامراء تحت التفرغ والتهديد . . . فاذا كانوا  
يرغبون في أدبه فلا يأمعون فيه بالادلان والامتهان ولكن ليطلبوه بالوفاء والتكريم  
واعطائه ما يستحقه من المماطة الحسنة ويشمروه انه يستحق الاكرام . وعند ذلك يجد  
الاديب انه طزم بان يجازى من أحسن اليه فيمطفه الحياء ويخصبه الوفاء ان يرد  
الجميل وشكر النعمة ، وهل عند الاديب شيء يرد به الجميل سوى قريحته وأبيات  
بيانه . . . يخلع بها على ممدوحه ثيابا تشييه ويمطر ذكره في الملأ .

وهو يمثل الاديب بما يقتنه الوزير من الانية الزجاجية الجميلة الثمالية ، ان حافظ  
عليها ووضعتها موضعها اللائق بها أسرته وكانت جمالا يزين المحل ويسر الناظر ،  
وان عثت بها وكسرها جرحته وصعب على الجابر اعادتها وساءت كل من نظر اليها  
وهو تمثيل جميل فيه ايحاء وتهديد يترجمه بببيت الشعر الذي تمثل به . فالاديب

أما أن يكرم فيشكر .. وهذا يدل على كرم ونبالة الكرم أو يبهان ويحل ، فيسخط  
وإذا سخط عرف كيف يثلب ويهجو ..

وهذا فهم أبي بكر لرسالة الأديب في عصره .. ولأنخالفه ان الأديب ممن  
يكرم ويشجع ويصرف فضله ولا يجحد .

ولكننا لانوافق على ان مهمة الأديب تقف عند مدح من يكرمه وثلب من يهينسه  
أو لا يكرمه .. فهممة أكبر من هذا بكثير .

فهو ليس ملكا لمن يدفع أكثر ولكنه ملك لآفته .. ينتق لها من ابداعها يوزيها  
ويصغ بألمه ما يهذب اخلاقها ويلهمها المعاني العامية الرفيعة ويقوم ما اعوج مسن  
سلوكها ويدافع عن مبادئها .. على أنه يحجبنا من أبي بكر الخوارزمي عزة نفسه  
هذه التي يظلمها في رسائله وترفعه عن منازل الذلة والهوان .. في وقت لا يستطيع  
كل أديب أن يتعد بهذا ، فوزراء ذلك الزمان لا يترفع عن خدمتهم ، أو يأنف من  
مجالستهم ومداراتهم ، عالم أو أديب . الا من لزم بيته واستثنى عما يدور بينهم .

وما يدل على استقامة خلق الخوارزمي ورفضه للتذلل ومواقف الضمه ما قاله  
لمصاحب ديوان الحضرة حينما طوب بالخراج : ( وما أيسر دواء هذا لو طاعتني نفسي  
العاصية وتابحتني رجلى الابية فدخلت الديوان ، وصانعت الزمان وفتحت جراب  
النفاق والرياء ، وأطلقت باب الحفاظ والوفاء )<sup>(١)</sup> . ومن مبالغته في فخره بنفسه قوله  
( على أني ، حينما كنت نتاج على خوارزم مصقود ، وشرف لها مصدود ، ومشهد فيهم  
مشهود ، ومقام من مقاماتها محمود ، وكل من رأى مدن بلد ا كنت من أهله وفدا والدا أنا  
من نسله )<sup>(٢)</sup> .

( ١ ) رسائل الخوارزمي ص ١٠٩

( ٢ ) نص المصدر ص ١١٠ وانظر بقية الامثلة ٦٩٦٨ ٦٩٦٩ ٦٩٧٠ ٦٩٧١ ٦٩٧٢ ٦٩٧٣ ٦٩٧٤ ٦٩٧٥ ٦٩٧٦ ٦٩٧٧ ٦٩٧٨ ٦٩٧٩ ٦٩٨٠ ٦٩٨١ ٦٩٨٢ ٦٩٨٣ ٦٩٨٤ ٦٩٨٥ ٦٩٨٦ ٦٩٨٧ ٦٩٨٨ ٦٩٨٩ ٦٩٩٠ ٦٩٩١ ٦٩٩٢ ٦٩٩٣ ٦٩٩٤ ٦٩٩٥ ٦٩٩٦ ٦٩٩٧ ٦٩٩٨ ٦٩٩٩ ٧٠٠٠ ٧٠٠١ ٧٠٠٢ ٧٠٠٣ ٧٠٠٤ ٧٠٠٥ ٧٠٠٦ ٧٠٠٧ ٧٠٠٨ ٧٠٠٩ ٧٠١٠ ٧٠١١ ٧٠١٢ ٧٠١٣ ٧٠١٤ ٧٠١٥ ٧٠١٦ ٧٠١٧ ٧٠١٨ ٧٠١٩ ٧٠٢٠ ٧٠٢١ ٧٠٢٢ ٧٠٢٣ ٧٠٢٤ ٧٠٢٥ ٧٠٢٦ ٧٠٢٧ ٧٠٢٨ ٧٠٢٩ ٧٠٣٠ ٧٠٣١ ٧٠٣٢ ٧٠٣٣ ٧٠٣٤ ٧٠٣٥ ٧٠٣٦ ٧٠٣٧ ٧٠٣٨ ٧٠٣٩ ٧٠٤٠ ٧٠٤١ ٧٠٤٢ ٧٠٤٣ ٧٠٤٤ ٧٠٤٥ ٧٠٤٦ ٧٠٤٧ ٧٠٤٨ ٧٠٤٩ ٧٠٥٠ ٧٠٥١ ٧٠٥٢ ٧٠٥٣ ٧٠٥٤ ٧٠٥٥ ٧٠٥٦ ٧٠٥٧ ٧٠٥٨ ٧٠٥٩ ٧٠٦٠ ٧٠٦١ ٧٠٦٢ ٧٠٦٣ ٧٠٦٤ ٧٠٦٥ ٧٠٦٦ ٧٠٦٧ ٧٠٦٨ ٧٠٦٩ ٧٠٧٠ ٧٠٧١ ٧٠٧٢ ٧٠٧٣ ٧٠٧٤ ٧٠٧٥ ٧٠٧٦ ٧٠٧٧ ٧٠٧٨ ٧٠٧٩ ٧٠٨٠ ٧٠٨١ ٧٠٨٢ ٧٠٨٣ ٧٠٨٤ ٧٠٨٥ ٧٠٨٦ ٧٠٨٧ ٧٠٨٨ ٧٠٨٩ ٧٠٩٠ ٧٠٩١ ٧٠٩٢ ٧٠٩٣ ٧٠٩٤ ٧٠٩٥ ٧٠٩٦ ٧٠٩٧ ٧٠٩٨ ٧٠٩٩ ٧١٠٠ ٧١٠١ ٧١٠٢ ٧١٠٣ ٧١٠٤ ٧١٠٥ ٧١٠٦ ٧١٠٧ ٧١٠٨ ٧١٠٩ ٧١١٠ ٧١١١ ٧١١٢ ٧١١٣ ٧١١٤ ٧١١٥ ٧١١٦ ٧١١٧ ٧١١٨ ٧١١٩ ٧١٢٠ ٧١٢١ ٧١٢٢ ٧١٢٣ ٧١٢٤ ٧١٢٥ ٧١٢٦ ٧١٢٧ ٧١٢٨ ٧١٢٩ ٧١٣٠ ٧١٣١ ٧١٣٢ ٧١٣٣ ٧١٣٤ ٧١٣٥ ٧١٣٦ ٧١٣٧ ٧١٣٨ ٧١٣٩ ٧١٤٠ ٧١٤١ ٧١٤٢ ٧١٤٣ ٧١٤٤ ٧١٤٥ ٧١٤٦ ٧١٤٧ ٧١٤٨ ٧١٤٩ ٧١٥٠ ٧١٥١ ٧١٥٢ ٧١٥٣ ٧١٥٤ ٧١٥٥ ٧١٥٦ ٧١٥٧ ٧١٥٨ ٧١٥٩ ٧١٦٠ ٧١٦١ ٧١٦٢ ٧١٦٣ ٧١٦٤ ٧١٦٥ ٧١٦٦ ٧١٦٧ ٧١٦٨ ٧١٦٩ ٧١٧٠ ٧١٧١ ٧١٧٢ ٧١٧٣ ٧١٧٤ ٧١٧٥ ٧١٧٦ ٧١٧٧ ٧١٧٨ ٧١٧٩ ٧١٨٠ ٧١٨١ ٧١٨٢ ٧١٨٣ ٧١٨٤ ٧١٨٥ ٧١٨٦ ٧١٨٧ ٧١٨٨ ٧١٨٩ ٧١٩٠ ٧١٩١ ٧١٩٢ ٧١٩٣ ٧١٩٤ ٧١٩٥ ٧١٩٦ ٧١٩٧ ٧١٩٨ ٧١٩٩ ٧٢٠٠ ٧٢٠١ ٧٢٠٢ ٧٢٠٣ ٧٢٠٤ ٧٢٠٥ ٧٢٠٦ ٧٢٠٧ ٧٢٠٨ ٧٢٠٩ ٧٢١٠ ٧٢١١ ٧٢١٢ ٧٢١٣ ٧٢١٤ ٧٢١٥ ٧٢١٦ ٧٢١٧ ٧٢١٨ ٧٢١٩ ٧٢٢٠ ٧٢٢١ ٧٢٢٢ ٧٢٢٣ ٧٢٢٤ ٧٢٢٥ ٧٢٢٦ ٧٢٢٧ ٧٢٢٨ ٧٢٢٩ ٧٢٣٠ ٧٢٣١ ٧٢٣٢ ٧٢٣٣ ٧٢٣٤ ٧٢٣٥ ٧٢٣٦ ٧٢٣٧ ٧٢٣٨ ٧٢٣٩ ٧٢٤٠ ٧٢٤١ ٧٢٤٢ ٧٢٤٣ ٧٢٤٤ ٧٢٤٥ ٧٢٤٦ ٧٢٤٧ ٧٢٤٨ ٧٢٤٩ ٧٢٥٠ ٧٢٥١ ٧٢٥٢ ٧٢٥٣ ٧٢٥٤ ٧٢٥٥ ٧٢٥٦ ٧٢٥٧ ٧٢٥٨ ٧٢٥٩ ٧٢٦٠ ٧٢٦١ ٧٢٦٢ ٧٢٦٣ ٧٢٦٤ ٧٢٦٥ ٧٢٦٦ ٧٢٦٧ ٧٢٦٨ ٧٢٦٩ ٧٢٧٠ ٧٢٧١ ٧٢٧٢ ٧٢٧٣ ٧٢٧٤ ٧٢٧٥ ٧٢٧٦ ٧٢٧٧ ٧٢٧٨ ٧٢٧٩ ٧٢٨٠ ٧٢٨١ ٧٢٨٢ ٧٢٨٣ ٧٢٨٤ ٧٢٨٥ ٧٢٨٦ ٧٢٨٧ ٧٢٨٨ ٧٢٨٩ ٧٢٩٠ ٧٢٩١ ٧٢٩٢ ٧٢٩٣ ٧٢٩٤ ٧٢٩٥ ٧٢٩٦ ٧٢٩٧ ٧٢٩٨ ٧٢٩٩ ٧٣٠٠ ٧٣٠١ ٧٣٠٢ ٧٣٠٣ ٧٣٠٤ ٧٣٠٥ ٧٣٠٦ ٧٣٠٧ ٧٣٠٨ ٧٣٠٩ ٧٣١٠ ٧٣١١ ٧٣١٢ ٧٣١٣ ٧٣١٤ ٧٣١٥ ٧٣١٦ ٧٣١٧ ٧٣١٨ ٧٣١٩ ٧٣٢٠ ٧٣٢١ ٧٣٢٢ ٧٣٢٣ ٧٣٢٤ ٧٣٢٥ ٧٣٢٦ ٧٣٢٧ ٧٣٢٨ ٧٣٢٩ ٧٣٣٠ ٧٣٣١ ٧٣٣٢ ٧٣٣٣ ٧٣٣٤ ٧٣٣٥ ٧٣٣٦ ٧٣٣٧ ٧٣٣٨ ٧٣٣٩ ٧٣٤٠ ٧٣٤١ ٧٣٤٢ ٧٣٤٣ ٧٣٤٤ ٧٣٤٥ ٧٣٤٦ ٧٣٤٧ ٧٣٤٨ ٧٣٤٩ ٧٣٥٠ ٧٣٥١ ٧٣٥٢ ٧٣٥٣ ٧٣٥٤ ٧٣٥٥ ٧٣٥٦ ٧٣٥٧ ٧٣٥٨ ٧٣٥٩ ٧٣٦٠ ٧٣٦١ ٧٣٦٢ ٧٣٦٣ ٧٣٦٤ ٧٣٦٥ ٧٣٦٦ ٧٣٦٧ ٧٣٦٨ ٧٣٦٩ ٧٣٧٠ ٧٣٧١ ٧٣٧٢ ٧٣٧٣ ٧٣٧٤ ٧٣٧٥ ٧٣٧٦ ٧٣٧٧ ٧٣٧٨ ٧٣٧٩ ٧٣٨٠ ٧٣٨١ ٧٣٨٢ ٧٣٨٣ ٧٣٨٤ ٧٣٨٥ ٧٣٨٦ ٧٣٨٧ ٧٣٨٨ ٧٣٨٩ ٧٣٩٠ ٧٣٩١ ٧٣٩٢ ٧٣٩٣ ٧٣٩٤ ٧٣٩٥ ٧٣٩٦ ٧٣٩٧ ٧٣٩٨ ٧٣٩٩ ٧٤٠٠ ٧٤٠١ ٧٤٠٢ ٧٤٠٣ ٧٤٠٤ ٧٤٠٥ ٧٤٠٦ ٧٤٠٧ ٧٤٠٨ ٧٤٠٩ ٧٤١٠ ٧٤١١ ٧٤١٢ ٧٤١٣ ٧٤١٤ ٧٤١٥ ٧٤١٦ ٧٤١٧ ٧٤١٨ ٧٤١٩ ٧٤٢٠ ٧٤٢١ ٧٤٢٢ ٧٤٢٣ ٧٤٢٤ ٧٤٢٥ ٧٤٢٦ ٧٤٢٧ ٧٤٢٨ ٧٤٢٩ ٧٤٣٠ ٧٤٣١ ٧٤٣٢ ٧٤٣٣ ٧٤٣٤ ٧٤٣٥ ٧٤٣٦ ٧٤٣٧ ٧٤٣٨ ٧٤٣٩ ٧٤٤٠ ٧٤٤١ ٧٤٤٢ ٧٤٤٣ ٧٤٤٤ ٧٤٤٥ ٧٤٤٦ ٧٤٤٧ ٧٤٤٨ ٧٤٤٩ ٧٤٥٠ ٧٤٥١ ٧٤٥٢ ٧٤٥٣ ٧٤٥٤ ٧٤٥٥ ٧٤٥٦ ٧٤٥٧ ٧٤٥٨ ٧٤٥٩ ٧٤٦٠ ٧٤٦١ ٧٤٦٢ ٧٤٦٣ ٧٤٦٤ ٧٤٦٥ ٧٤٦٦ ٧٤٦٧ ٧٤٦٨ ٧٤٦٩ ٧٤٧٠ ٧٤٧١ ٧٤٧٢ ٧٤٧٣ ٧٤٧٤ ٧٤٧٥ ٧٤٧٦ ٧٤٧٧ ٧٤٧٨ ٧٤٧٩ ٧٤٨٠ ٧٤٨١ ٧٤٨٢ ٧٤٨٣ ٧٤٨٤ ٧٤٨٥ ٧٤٨٦ ٧٤٨٧ ٧٤٨٨ ٧٤٨٩ ٧٤٩٠ ٧٤٩١ ٧٤٩٢ ٧٤٩٣ ٧٤٩٤ ٧٤٩٥ ٧٤٩٦ ٧٤٩٧ ٧٤٩٨ ٧٤٩٩ ٧٥٠٠ ٧٥٠١ ٧٥٠٢ ٧٥٠٣ ٧٥٠٤ ٧٥٠٥ ٧٥٠٦ ٧٥٠٧ ٧٥٠٨ ٧٥٠٩ ٧٥١٠ ٧٥١١ ٧٥١٢ ٧٥١٣ ٧٥١٤ ٧٥١٥ ٧٥١٦ ٧٥١٧ ٧٥١٨ ٧٥١٩ ٧٥٢٠ ٧٥٢١ ٧٥٢٢ ٧٥٢٣ ٧٥٢٤ ٧٥٢٥ ٧٥٢٦ ٧٥٢٧ ٧٥٢٨ ٧٥٢٩ ٧٥٣٠ ٧٥٣١ ٧٥٣٢ ٧٥٣٣ ٧٥٣٤ ٧٥٣٥ ٧٥٣٦ ٧٥٣٧ ٧٥٣٨ ٧٥٣٩ ٧٥٤٠ ٧٥٤١ ٧٥٤٢ ٧٥٤٣ ٧٥٤٤ ٧٥٤٥ ٧٥٤٦ ٧٥٤٧ ٧٥٤٨ ٧٥٤٩ ٧٥٥٠ ٧٥٥١ ٧٥٥٢ ٧٥٥٣ ٧٥٥٤ ٧٥٥٥ ٧٥٥٦ ٧٥٥٧ ٧٥٥٨ ٧٥٥٩ ٧٥٦٠ ٧٥٦١ ٧٥٦٢ ٧٥٦٣ ٧٥٦٤ ٧٥٦٥ ٧٥٦٦ ٧٥٦٧ ٧٥٦٨ ٧٥٦٩ ٧٥٧٠ ٧٥٧١ ٧٥٧٢ ٧٥٧٣ ٧٥٧٤ ٧٥٧٥ ٧٥٧٦ ٧٥٧٧ ٧٥٧٨ ٧٥٧٩ ٧٥٨٠ ٧٥٨١ ٧٥٨٢ ٧٥٨٣ ٧٥٨٤ ٧٥٨٥ ٧٥٨٦ ٧٥٨٧ ٧٥٨٨ ٧٥٨٩ ٧٥٩٠ ٧٥٩١ ٧٥٩٢ ٧٥٩٣ ٧٥٩٤ ٧٥٩٥ ٧٥٩٦ ٧٥٩٧ ٧٥٩٨ ٧٥٩٩ ٧٦٠٠ ٧٦٠١ ٧٦٠٢ ٧٦٠٣ ٧٦٠٤ ٧٦٠٥ ٧٦٠٦ ٧٦٠٧ ٧٦٠٨ ٧٦٠٩ ٧٦١٠ ٧٦١١ ٧٦١٢ ٧٦١٣ ٧٦١٤ ٧٦١٥ ٧٦١٦ ٧٦١٧ ٧٦١٨ ٧٦١٩ ٧٦٢٠ ٧٦٢١ ٧٦٢٢ ٧٦٢٣ ٧٦٢٤ ٧٦٢٥ ٧٦٢٦ ٧٦٢٧ ٧٦٢٨ ٧٦٢٩ ٧٦٣٠ ٧٦٣١ ٧٦٣٢ ٧٦٣٣ ٧٦٣٤ ٧٦٣٥ ٧٦٣٦ ٧٦٣٧ ٧٦٣٨ ٧٦٣٩ ٧٦٤٠ ٧٦٤١ ٧٦٤٢ ٧٦٤٣ ٧٦٤٤ ٧٦٤٥ ٧٦٤٦ ٧٦٤٧ ٧٦٤٨ ٧٦٤٩ ٧٦٥٠ ٧٦٥١ ٧٦٥٢ ٧٦٥٣ ٧٦٥٤ ٧٦٥٥ ٧٦٥٦ ٧٦٥٧ ٧٦٥٨ ٧٦٥٩ ٧٦٦٠ ٧٦٦١ ٧٦٦٢ ٧٦٦٣ ٧٦٦٤ ٧٦٦٥ ٧٦٦٦ ٧٦٦٧ ٧٦٦٨ ٧٦٦٩ ٧٦٧٠ ٧٦٧١ ٧٦٧٢ ٧٦٧٣ ٧٦٧٤ ٧٦٧٥ ٧٦٧٦ ٧٦٧٧ ٧٦٧٨ ٧٦٧٩ ٧٦٨٠ ٧٦٨١ ٧٦٨٢ ٧٦٨٣ ٧٦٨٤ ٧٦٨٥ ٧٦٨٦ ٧٦٨٧ ٧٦٨٨ ٧٦٨٩ ٧٦٩٠ ٧٦٩١ ٧٦٩٢ ٧٦٩٣ ٧٦٩٤ ٧٦٩٥ ٧٦٩٦ ٧٦٩٧ ٧٦٩٨ ٧٦٩٩ ٧٧٠٠ ٧٧٠١ ٧٧٠٢ ٧٧٠٣ ٧٧٠٤ ٧٧٠٥ ٧٧٠٦ ٧٧٠٧ ٧٧٠٨ ٧٧٠٩ ٧٧١٠ ٧٧١١ ٧٧١٢ ٧٧١٣ ٧٧١٤ ٧٧١٥ ٧٧١٦ ٧٧١٧ ٧٧١٨ ٧٧١٩ ٧٧٢٠ ٧٧٢١ ٧٧٢٢ ٧٧٢٣ ٧٧٢٤ ٧٧٢٥ ٧٧٢٦ ٧٧٢٧ ٧٧٢٨ ٧٧٢٩ ٧٧٣٠ ٧٧٣١ ٧٧٣٢ ٧٧٣٣ ٧٧٣٤ ٧٧٣٥ ٧٧٣٦ ٧٧٣٧ ٧٧٣٨ ٧٧٣٩ ٧٧٤٠ ٧٧٤١ ٧٧٤٢ ٧٧٤٣ ٧٧٤٤ ٧٧٤٥ ٧٧٤٦ ٧٧٤٧ ٧٧٤٨ ٧٧٤٩ ٧٧٥٠ ٧٧٥١ ٧٧٥٢ ٧٧٥٣ ٧٧٥٤ ٧٧٥٥ ٧٧٥٦ ٧٧٥٧ ٧٧٥٨ ٧٧٥٩ ٧٧٦٠ ٧٧٦١ ٧٧٦٢ ٧٧٦٣ ٧٧٦٤ ٧٧٦٥ ٧٧٦٦ ٧٧٦٧ ٧٧٦٨ ٧٧٦٩ ٧٧٧٠ ٧٧٧١ ٧٧٧٢ ٧٧٧٣ ٧٧٧٤ ٧٧٧٥ ٧٧٧٦ ٧٧٧٧ ٧٧٧٨ ٧٧٧٩ ٧٧٨٠ ٧٧٨١ ٧٧٨٢ ٧٧٨٣ ٧٧٨٤ ٧٧٨٥ ٧٧٨٦ ٧٧٨٧ ٧٧٨٨ ٧٧٨٩ ٧٧٩٠ ٧٧٩١ ٧٧٩٢ ٧٧٩٣ ٧٧٩٤ ٧٧٩٥ ٧٧٩٦ ٧٧٩٧ ٧٧٩٨ ٧٧٩٩ ٧٨٠٠ ٧٨٠١ ٧٨٠٢ ٧٨٠٣ ٧٨٠٤ ٧٨٠٥ ٧٨٠٦ ٧٨٠٧ ٧٨٠٨ ٧٨٠٩ ٧٨١٠ ٧٨١١ ٧٨١٢ ٧٨١٣ ٧٨١٤ ٧٨١٥ ٧٨١٦ ٧٨١٧ ٧٨١٨ ٧٨١٩ ٧٨٢٠ ٧٨٢١ ٧٨٢٢ ٧٨٢٣ ٧٨٢٤ ٧٨٢٥ ٧٨٢٦ ٧٨٢٧ ٧٨٢٨ ٧٨٢٩ ٧٨٣٠ ٧٨٣١ ٧٨٣٢ ٧٨٣٣ ٧٨٣٤ ٧٨٣٥ ٧٨٣٦ ٧٨٣٧ ٧٨٣٨ ٧٨٣٩ ٧٨٤٠ ٧٨٤١ ٧٨٤٢ ٧٨٤٣ ٧٨٤٤ ٧٨٤٥ ٧٨٤٦ ٧٨٤٧ ٧٨٤٨ ٧٨٤٩ ٧٨٥٠ ٧٨٥١ ٧٨٥٢ ٧٨٥٣ ٧٨٥٤ ٧٨٥٥ ٧٨٥٦ ٧٨٥٧ ٧٨٥٨ ٧٨٥٩ ٧٨٦٠ ٧٨٦١ ٧٨٦٢ ٧٨٦٣ ٧٨٦٤ ٧٨٦٥ ٧٨٦٦ ٧٨٦٧ ٧٨٦٨ ٧٨٦٩ ٧٨٧٠ ٧٨٧١ ٧٨٧٢ ٧٨٧٣ ٧٨٧٤ ٧٨٧٥ ٧٨٧٦ ٧٨٧٧ ٧٨٧٨ ٧٨٧٩ ٧٨٨٠ ٧٨٨١ ٧٨٨٢ ٧٨٨٣ ٧٨٨٤ ٧٨٨٥ ٧٨٨٦ ٧٨٨٧ ٧٨٨٨ ٧٨٨٩ ٧٨٩٠ ٧٨٩١ ٧٨٩٢ ٧٨٩٣ ٧٨٩٤ ٧٨٩٥ ٧٨٩٦ ٧٨٩٧ ٧٨٩٨ ٧٨٩٩ ٧٩٠٠ ٧٩٠١ ٧٩٠٢ ٧٩٠٣ ٧٩٠٤ ٧٩٠٥ ٧٩٠٦ ٧٩٠٧ ٧٩٠٨ ٧٩٠٩ ٧٩١٠ ٧٩١١ ٧٩١٢ ٧٩١٣ ٧٩١٤ ٧٩١٥ ٧٩١٦ ٧٩١٧ ٧٩١٨ ٧٩١٩ ٧٩٢٠ ٧٩٢١ ٧٩٢٢ ٧٩٢٣ ٧٩٢٤ ٧٩٢٥ ٧٩٢٦ ٧٩٢٧ ٧٩٢٨ ٧٩٢٩ ٧٩٣٠ ٧٩٣١ ٧٩٣٢ ٧٩٣٣ ٧٩٣٤ ٧٩٣٥ ٧٩٣٦ ٧٩٣٧ ٧٩٣٨ ٧٩٣٩ ٧٩٤٠ ٧٩٤١ ٧٩٤٢ ٧٩٤٣ ٧٩٤٤ ٧٩٤٥ ٧٩٤٦ ٧٩٤٧ ٧٩٤٨ ٧٩٤٩ ٧٩٥٠ ٧٩٥١ ٧٩٥٢ ٧٩٥٣ ٧٩٥٤ ٧٩٥٥ ٧٩٥٦ ٧٩٥٧ ٧٩٥٨ ٧٩٥٩ ٧٩٦٠ ٧٩٦١ ٧٩٦٢ ٧٩٦٣ ٧٩٦٤ ٧٩٦٥ ٧٩٦٦ ٧٩٦٧ ٧٩٦٨ ٧٩٦٩ ٧٩٧٠ ٧٩٧١ ٧٩٧٢ ٧٩٧٣ ٧٩٧٤ ٧٩٧٥ ٧٩٧٦ ٧٩٧٧ ٧٩٧٨ ٧٩٧٩ ٧٩٨٠ ٧٩٨١ ٧٩٨٢ ٧٩٨٣ ٧٩٨٤ ٧٩٨٥ ٧٩٨٦ ٧٩٨٧ ٧٩٨٨ ٧٩٨٩ ٧٩٩٠ ٧٩٩١ ٧٩٩٢ ٧٩٩٣ ٧٩٩٤ ٧٩٩٥ ٧٩٩٦ ٧٩٩٧ ٧٩٩٨ ٧٩٩٩ ٨٠٠٠ ٨٠٠١ ٨٠٠٢ ٨٠٠٣ ٨٠٠٤ ٨٠٠٥ ٨٠٠٦ ٨٠٠٧ ٨٠٠٨ ٨٠٠٩ ٨٠١٠ ٨٠١١ ٨٠١٢ ٨٠١٣ ٨٠١٤ ٨٠١٥ ٨٠١٦ ٨٠١٧ ٨٠١٨ ٨٠١٩ ٨٠٢٠ ٨٠٢١ ٨٠٢٢ ٨٠٢٣ ٨٠٢٤ ٨٠٢٥ ٨٠٢٦ ٨٠٢٧ ٨٠٢٨ ٨٠٢٩ ٨٠٣٠ ٨٠٣١ ٨٠٣٢ ٨٠٣٣ ٨٠٣٤ ٨٠٣٥ ٨٠٣٦ ٨٠٣٧ ٨٠٣٨ ٨٠٣٩ ٨٠٤٠ ٨٠٤١ ٨٠٤٢ ٨٠٤٣ ٨٠٤٤ ٨٠٤٥ ٨٠٤٦ ٨٠٤٧ ٨٠٤٨ ٨٠٤٩ ٨٠٥٠ ٨٠٥١ ٨٠٥٢ ٨٠٥٣ ٨٠٥٤ ٨٠٥٥ ٨٠٥٦ ٨٠٥٧ ٨٠٥٨ ٨٠٥٩ ٨٠٦٠ ٨٠٦١ ٨٠٦٢ ٨٠٦٣ ٨٠٦٤ ٨٠٦٥ ٨٠٦٦ ٨٠٦٧ ٨٠٦٨ ٨٠٦٩ ٨٠٧٠ ٨٠٧١ ٨٠٧٢ ٨٠٧٣ ٨٠٧٤ ٨٠٧٥ ٨٠٧٦ ٨٠٧٧ ٨٠٧٨ ٨٠٧٩ ٨٠٨٠ ٨٠٨١ ٨٠٨٢ ٨٠٨٣ ٨٠٨٤ ٨٠٨٥ ٨٠٨٦ ٨٠٨٧ ٨٠٨٨ ٨٠٨٩ ٨٠٩٠ ٨٠٩١ ٨٠٩٢ ٨٠٩٣ ٨٠٩٤ ٨٠٩٥ ٨٠٩٦ ٨٠٩٧ ٨٠٩٨ ٨٠٩٩ ٨١٠٠ ٨١٠١ ٨١٠٢ ٨١٠٣ ٨١٠٤ ٨١٠٥ ٨١٠٦ ٨١٠٧ ٨١٠٨ ٨١٠٩ ٨١١٠ ٨١١١ ٨١١٢ ٨١١٣ ٨١١٤ ٨١١٥ ٨١١٦ ٨١١٧ ٨١١٨ ٨١١٩ ٨١٢٠ ٨١٢١ ٨١٢٢ ٨١٢٣ ٨١٢٤ ٨١٢٥ ٨١٢٦ ٨١٢٧ ٨١٢٨ ٨١٢٩ ٨١٣٠ ٨١٣١ ٨١٣٢ ٨١٣٣ ٨١٣٤ ٨١٣٥ ٨١٣٦ ٨١٣٧ ٨١٣٨ ٨١٣٩ ٨١٤٠ ٨١٤١ ٨١٤٢ ٨١٤٣ ٨١٤٤ ٨١٤٥ ٨١٤٦ ٨١٤٧ ٨١٤٨ ٨١٤٩ ٨١٥٠ ٨١٥١ ٨١٥٢ ٨١٥٣ ٨١٥٤ ٨١٥٥ ٨١٥٦ ٨١٥٧ ٨١٥٨ ٨١٥٩ ٨١٦٠ ٨١٦١ ٨١٦٢ ٨١٦٣ ٨١٦٤ ٨١٦٥ ٨١٦٦ ٨١٦٧ ٨١٦٨ ٨١٦٩ ٨١٧٠ ٨١٧١ ٨١٧٢ ٨١٧٣ ٨١٧٤ ٨١٧٥ ٨١٧٦ ٨١٧٧ ٨١٧٨ ٨١٧٩ ٨١٨٠ ٨١٨١ ٨١٨٢ ٨١٨٣ ٨١٨٤ ٨١٨٥ ٨١٨٦ ٨١٨٧ ٨١٨٨ ٨١٨٩ ٨١٩٠ ٨١٩١ ٨١٩٢ ٨١٩٣ ٨١٩٤ ٨١٩٥ ٨١٩٦ ٨١٩٧ ٨١٩٨ ٨١٩٩ ٨٢٠٠ ٨٢٠١ ٨٢٠٢ ٨٢٠٣ ٨٢٠٤ ٨٢٠٥ ٨٢٠٦ ٨٢٠٧ ٨٢٠٨ ٨٢٠٩ ٨٢١٠ ٨٢١١ ٨٢١٢ ٨٢١٣ ٨٢١٤ ٨٢١٥ ٨٢١٦ ٨٢١٧ ٨٢١٨ ٨٢١٩ ٨٢٢٠ ٨٢٢١ ٨٢٢٢ ٨٢٢٣ ٨٢٢٤ ٨٢٢٥ ٨٢٢٦ ٨٢٢٧ ٨٢٢٨ ٨٢٢٩ ٨٢٣٠ ٨٢٣١ ٨٢٣٢ ٨٢٣٣ ٨٢٣٤ ٨٢٣٥ ٨٢٣٦ ٨٢٣٧ ٨٢٣٨ ٨٢٣٩ ٨٢٤٠ ٨٢٤١ ٨٢٤٢ ٨٢٤٣ ٨٢٤٤ ٨٢٤٥ ٨٢٤٦ ٨٢٤٧ ٨٢٤٨ ٨٢٤٩ ٨٢٥٠ ٨٢٥١ ٨٢٥٢ ٨٢٥٣ ٨

الوصف : وهو غرض من أغراض الشعر كما نعلم قصده كتاب القرن الرابع الهجري وقد جود فيه الخوارزمي وأفرغ فيه فنه ، كتب يصف قصيدة لأحد تلاميذه . . وهو وصف لا يمكن أن نعهده نقدا . . لأن غرضه في هذا الوصف اطراء القصيدة وإظهار فنه البديعي والبياني فيه . يقول : " وصلت القصيدة الضراء الزهراء فكانت أرق من الهوا ، وألذ من الصهباء ، وأسرم من اللقاء بين الأحباء ومن هجوم السراء غب الضراء ، وأعذب من مفازلسة النساء ، ومن مجالسة النداء ، ومن مساعدة القضاء . . . ومن استماع فوائد الحكماء ، وعطوب البلغاء ، وقلائد الشعراء ، ومن أخذ جوائز الأمراء وتحصيل مراتب الخلفاء ، فكانت معانيها أبداع من الوفاء ، وأعز من السخاء ، وأقرب من النصفة في الأصدقاء ، وألغظها أحسن من البدر في الظلماء وأطيب من وصال الحسناء . . . وفتحتها عن وشى الوشياء وعن الروضة الفناء . لابل نشرتها عن الزهرة الزهراء ، وعن الضرة الضراء . . . ورأيتك نطقت بها وعن يمينك التأييد ، وعن يسارك التسديد ، ومن ورائك الجد / السعيد . . " ( ١ )

وهو كما نرى وصف محنوي ، أظهر لنا فيه الخوارزمي مقدرته على التزام روى واحد لكل سجع هو حرف الهمزة ، مما أضعف روعة الرسالة وأخفى عاطفته فيها . . وفيها كثير من التشبهات الدالة على كثرة تحصيله وسعة ثقافته . وقال يصف مسجدا :

" أحق الأماكن بأن يمان ولا يهان ، وأولاها بأن ينحى عن مدرجسة الاختلال ويرفع عن أن تتناوله يد الابتدال ، مكان بني ليجمع شمل التعبد ، ويضم نشر التعبد ، وترفع منه الحوائج الي من لا يضر من السؤل ،

ولا يتبرم بكثرة السؤال ، وهو الكبير المتعال ، فان صيانة هذا المكان صيانة الدين ، بل صيانة الاسلام والمسلمين ، وكبت الكفر والكافرين ، وما ظنك بموضع هو بيت من بيوت الله ، ومنظمة لقراءة وحي الله ، تصف فيه الأقسام بين يدي الله ، يتميز فيه أولياء الله من أعداء الله ، وهو من بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، وهو سكن من مساكن الأبرار ، ومجلس من مجالس الأخيار ، وحصن من حصون المسلمين على الكفار ، وجسر بين الجنة والنار ، لسخوله عبادة والمقام به سعادة ، والاعتكاف فيه سنة مستحسنة ، لا يخترقه كافر ، ولا يقربه الا طاهر ، من عمره عمر طريق الآخرة ، ومن بناه بنى له بيت في الجنة (١) . . . وهذه القطعة كأنها خطبة منبرية نرى فيها الخوارزمي يحث على بنائها المساجد وتحدثها وصيانتها . كما يبين لنا مكانة المسجد عند المسلمين . . . وهو شعور طيب ففسده في خضم الرفائب الدنيوية التي غرقوا فيها في ذلك الوقت .

ويصف بستانا له فيخلط الجذد بالهزل حتى يدعنا نتساءل أهو حقيقة يصف بستانا أم أنه خيال شاعر يتصور الأشياء التي لا وجود لها؟ . يقول الخوارزمي " البستان قد وعدتني ، يا سيدي اقامة وظيفته بالشجر والنور والزهر ، وأنت يا سيدي بالانجاز قمين ، ووفائك به ضمين ، وذلك المكان مرتفع ناظري ومتنفس خاطري ومجال بصري ، ومدار فكري ، وضهلي ان اشرقت وسعدتني اذا خلوت ، وسلاتي اذا غمت ، وشامتني اذا اشتمت ، وما ظنك بمكان ليست فيه زاوية الا وقد صب على فيها كأس . بل طاس وشرب عليها انسان هل أناس ، ونام في حافاتهما وجه صبيح ، وتقلب في أطرافها قد ملبح . . . وكأني بك قد عرضت هذا الفصل على الناس فظنوا أنني أصف بستان الزاهر ، أودار ابن طاهر ، أو أذكر الجعفرية أو البركة المتوكلية ، أو أعني سفد خراسان ، أو شعب بسوان ، أو أنعت نهر الأبله ، أو منتزة الفوطة ، أو شعب أنطاكية . . . ولا يعلمون أنني

انما أذكر بقعة طولها باع وعرضها ذراع ، أعنى باع البقعة وذراع الذرة ، وأقل من " لا " وأصغر من الجزء الذى لا يتجزأ ، لو طارت عليها ذبابة لغطت بها ، أو دخلتها نملة لسدتها ، تسقى بالمسقط صباحا ، وتنكث بالخلال مساء ، أشجارها مائة الا تسعة وتسعين ، وأنهارها خمسون الا تسعة وأربعين . . . " ( ١ ) .

وهو وصف الأديب الذى يحسن بالطبيعة وان كان الخوارزمى يلجأ الى ذاكرته ليسرد علينا أشهر الأثوار والبقاع الخصبة فى العالم حين لا يستطيع الاستمرار فى الوصف . ( ٢ )

### شكوى الزمان :

من يقرأ رسائل الخوارزمى يشعر بأنَّ الحزن التى تظهر فى أدبه ، فتارة يشكو سوء حظه وأخرى يشكو سوء سيرة رؤساء عصره أو يذم أديباء الأديب ، وهذه نماذج قصيرة استنبطتها من خلال بعض رسائله .

• حيث انتهت بي المحنة بعد فراق الشيخ الى غاية لم يبق بينهما وبين الموت مجاز ، ولا وراءها للبلاء مجاز حتى لقد ركبت غير دابتي وأكلت غير نفقتى ، ونزلت بيتا بكرا ، وأكلت خبزا بشرا ، ولبست الصوف فى الصيف والتسوى فى الخريف ، وكوتبت مواجهة ، وخطبت بالكاف مشافهة ، وجلست فى صف النحال أعنى أخريات الرجال ، وناظرنى من كان يدرس علي ، وخالفنى من كان يختلف اليّ ز وحتى لقد نشزت عليّ جاريتى وحرنت عليّ دابتي وتقدمنى فى المسير رفيقى الذى جمعنى وياه طريقى ، وحتى أنى أخذت الدرهم الجيد

( ١ ) رسائل الخوارزمى ٧ ، ٨ .

( ٢ ) انظرباقى الأمثلة ص ٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٧٤ ، ٥٦ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٦٥ ، من الرسائل .



فصار في يدي ستوقا ، وقطعت الثوب المشتري فصار على بدني مسروقا . . . (١)

أويقول في أهل زمانه : ولقد رأيت الاخوان غير شيوخى ، ومودتهم خلق  
يبيعونه ممن اشتراه ، ومرضونه على كل من رآه مع أنه في زمان قد مرجحت  
فيه عهد الاخوان ، وأعطوا وأخذوا وأموالهم بالميزان ، وما لوا مع الرجحان على  
النقصان ، ورضوا من القلب باللسان ومن الغيب بالعيان . . . (٢)

ويقول في أدباء زمانه : " فأما أدباء زماننا فتطرقوا بالأدب الى الجهل  
فحصدوا والنقص من زرع الفضل . . لانعدم في كل زاوية منهم صغيرا يتكبر ، ولا قليلا  
يتكبر ، لا يفيد من دونه بخلا ولا يستفيد من فوقه جهلا ، ولو تعلم لعلم  
جهله ، ولو علم لحفظ عمله . . . (٣)

وهي نظرات في الحياة والناس والأدباء الأذعيا تلتصم من خلال أدبهم  
ولا تحتاج الى شرح . . .

### الفرض العلمي ( الطب ) :

وهذا الفرض غريب على فن النشر . ولا ندري عما اذا كان سبق الخوارزمي  
اليه بجعله من المواضيع التي يعالجها النشر الفني أم أنه أول من ابتدعه ؟ فلمما صره  
الصاحب بن عباد محاولة في هذا الموضوع (٤) ، ومصعب تحديد الأول منهما  
لكونهما متعاصرين . وزكى مبارك يرجح أن الخوارزمي هو السابق (٥)

(٢) نفس المصدر ص ٧٦  
(٤) أنظر اليتيمة ٢٠٥/٣ - ٢٠٦

(١) رسائل الخوارزمي ص ١٨  
(٣) نفس المصدر ص ٨٩  
(٥) أنظر النشر الفني ٢/٣٠٦

والطريف في هذا الغرض هو أنه من الأغراض العلمية البحتة التي استطاع  
 كتاب القرن الرابع أن يطوعها لنشرهم الأدبي ، ولبسوها ثوب الجمال الفني  
 وهذا يمحطينا صورة واضحة تدلنا الى أي حد بلغ ولع هؤلاء الكتاب باستعمال  
 أساليبهم الأدبية المصنوعة والمحالاة بالبديع . . قال في وصف الجرب وطريقته  
 علاجه : " الجرب حكة مادتها يبوسة ، وحرارة ، ووقود والتهاب زنداها  
 الذي يقتبسان منه طعام وشراب ، وفضلة قذفتها الطبيعة الى ظاهر البدن ،  
 ودفن الله تعالى شرها عن الباطن وعسكر من عساكر البلاء تمده القذارة وتهزمه  
 الطهارة ، وتنقص منه البرودة والرطوبة ، كما تزيد فيه اليبوسة والحرارة .  
 ومن داوى ظاهره وترك باطنه ، فانما يبيل حائطا وراء النار الموقدة ، ويشر  
 على سطح بيت فيه الشرر المبتوثة ، ويقعد تحت قول الأول :

خليلٍ داوى ظاهراً \* فمن ذا داوى جوى باطناً

وكيف تقطع مادة نار تطفأ عن ظاهر الجسد وهي تتوقد في باطن الكبد ؟  
 وكيف يزول داء سمه مكايله ، وترياقه موازنه ، وكيف يصح جسم حميته دوائه وفداؤه  
 داءه ، وكيف يقوم قليل الترياق بكثير السم أو يفى صخر البناء بكبير الهدم ؟  
 وكيف يرجو الشفاء من لا يضبط شهوته ، ولا يملك يده ، ولا يهجر  
 حبيبه ، طعامه وشرابه ، حتى لا يراها الا خلصة ، ولا يذوق منها الا بلغة  
 . . أرى لسيدى أن يصبر على الجوع مع مرارته ، وعلى المطش مع حرارته ، وأن . .  
 يقتصر من الطعام على ما يكون في أوسط طبقات الرطوبة ، وفي أعدل موازين  
 البرودة ولا بد من هجر اللحم والفاكهة ، ولا سبيل الى الحرافة ، فأما الحقول  
 فيجب ألا ترى ولو في المنام ، ولا تمس ولو بالوأدام ، والسك وما ناسبه بليسة ،  
 واللبن وما خرج منه ضية حتى اذا أحس في معدته بالخلاء ، ووقف من طبيعته على  
 الصفاء ، ومن اخلاط سمه بالاعتدال والاستواء ، استخار الله تعالى ، وشرب

شربة قوية تكس فضول السوداء ، وتخرج خبايا الصفراء ، وتقمع سلطان  
البليغ ، وتصفى كدورة الدم ، فاذا انجلى عنه خمار ضعفها ، وتقسمت غيابة  
سكرها أمد هذا بفصاد يخص به الأكل فانه نهر العروق ، والطريق الذي يفضى منه  
الى كل طريق . . فاذا فرغ منه وخرج باذن الله سليما عنه .  
. . يمالج حينئذ باللطخ الذي يفسل ظاهر الجسم وجلو صدأ السم ،  
ولا ينسي الاستكثار من الفسل والاعتسال وباشرة الماء على كل حال ، فان  
الجرب في حيز الحرارة ، كما أن الماء في حيز البرودة . . وملاك الأمر الحمية فانه  
لا يكون قوى الحمية الا من كان قوى الحمية ، ومن غلبت شهوته على رأيه شهد على  
نفسه بالبهيمية . . فكم من لقمة أتلفت نفس حر ، وكم من أكلة منعت أكلات دهر  
وكم من حلاوة تحتها مرارة الموت . . والملل كلها وان كان يشملها اسم ، وجمها  
حكم فهي متباينة الأقدار متميزة المقدار . . فملة العشق دليل على لطيف  
الفريزة والمترجم عن الرقة الروحانية . . وعلة الفرس دليل على أن صاحبها  
مخدوم مكفى . . وعلة الجرب دليل على تضييع واجب النفس من التعهد وعلى  
التفريط في العلاج والتفقد ، تنطق بأن صاحبها ضعيف المنة في التوقفي ،  
أسير في يد الحرص والتشهي ، فاش لنفسه قليل البقاء على روحه ، وكيف  
يحفظ أصدقاه من لا يحفظ أعضاه . . . وهذه عللة تكسب صاحبها خزاية وحياء ،  
وتورثه خجلا واسترخاء ، ينظر الى الناس بصين المريب ، ويمستر عنهم كتستتر  
المعيب ، تنفر عنه الطباع ، وتستقذره النفوس ، وتنبوعن مؤاكلته الميئون  
. . . فتتفر منه نفسه وتهرب من فراشه عرسه ، وتباعد عنه أقرب الناس  
منه . . . ثم هي ربع من أرباع الخذلان ، وقسم من أقسام الحرمان . قال الشاعر:

أعازك الله من أشياء أرحمة \* الموت ، والعشق والافلاس والجرب  
ماظن سيدى بدا سارت به الأمثال ، وقيلت فيه دون سائر الأذواء الأقبوال ؟  
. . . وانما ذكرت فيه ما ذكرت لا زيد سيدى في الهرب منه رغبة وفي الصبر عليه

زهادة . . . من الله على سيدنا بالشفاء" (١) .

فالخوارزمي هنا يصف لنا داء الجرب وصفا دقيقا كما يصف لنا علاجه  
هذا الوصف العلمي الأدبي الذي لا ندرى أيوافقه عليه الأطباء أم لا . كما أجاد  
في ذكر أسبابه والتغيير منه ومن مسبباته اجادة قد لا يستطيعها الطبيب . . . ولا  
يعيب معالجته لهذا المرض الصيغة الفنية التي كساها أسلوبه بل لعله في شرح  
أسبابه والتحذير من مسبباته والتحكم في النفس والتمسك بالصحة . . . أقوى  
بكثير من الأسلوب العلمي المجرد . . . لما استعمله من أساليب بلاغية وما تخلل  
كلامه من أمثال وأبيات شعر سائرة . وما أجمل بيانه لا تآر هذا المرض النفسية  
على صاحبه ، وكيف أنه يصيبه بعدم الثقة بنفسه ، وورثه عقدة نقص تخجله  
من الناس لا ستقدارهم اياه ولخوفهم من عدواه ، وهو وصف بليغ لنفسية من يمانى  
من مرض مصبر .

( ب ) رسائله التي لم يحوها ديوان رسائله :

على أن هذه النماذج التي سوف أوردها ما <sup>يرجع ظنتنا</sup> في أنه ضاع من  
رسائل الخوارزمي شيء كبير . . . وهذه النماذج يقوى فيها أسلوبه عن  
أسلوبه في رسائله المصروفة .

فهو في هذه الرسائل - كما سنرى - أنضج فكرا وأحكم أسلوبا وأصدق  
لهجة . . . وهي من اختيار تلميذه الشمالي .

والسؤال الوارد هنا : لماذا كان اختيار الثمالي من غير رسائل

الخوارزمي التي يحويها الديوان ؟

وهل معنى هذا أن له ديوان رسائل آخر لم يصلنا . . أم أن له رسائل

مبعثرة لم يحوها الديوان ؟ ومنها تلك الرسائل التي دارت بينه وبين بديع

الزمان كما سنرى في المناظرة .

وهذه بعض تلك الرسائل التي لم نجد لها في ديوان رسائله :

( ١ ) كتب الى بعض اخوانه جوابا عن كتاب - وقد أوردها الثمالي تحت

عنوان : نبذ من لطائف الوزراء ومحاسن ألقاظهم - كتب يقول :

قرأت كتابك العذب بالموارد والمصادر ، والحلو الأثقل والأخير ، الذي

نشره غرر ، ونظمه درر ، ونشره مسك وعنبر يقطر منه ماء الكتابة ، وتشتم

منه روائح البلاغة وتهب من ألقاظه رياح الخطابة ، ويتطق غنه لسان

الفصاحة .

وقد شكرتني أعزك الله على قضاء حق لم يسعني الا أن أقضيه وعلسى

أداء دين لم يجز الا أن أوفيه ، وزعمت أنى عرفتك من جهلك ، ونبهت

لذكرك من لم يكن انتبه لك .

لا وحق الحق ، فانه الواجب على الخلق ، ما رأيت أحدا لا يعرفك الا من

لا يعرف القمر طالما ، والفجر ساطما ، والبرق لامعا ، والبحر زاخرا ،

والفلك داعرا ، وهل يخفى على الناس النهار أو هل يستتر علم على رأسه

نار وقد شكرتك على هذا الشكر ، فلاتعد لغيره آخر الدهر" ( ١ ) .

وهذه القطعة تمد نموذجا لنثره الجيد الجميل . . لما بناها عليه من سبك

قوى في العبارات . . وما تحويه من صور موحية واستعارات بعيدة بديعة

رغم طريقته فى رص العبارات وكثرة المترادفات .

( ٢ ) وله قطعة أخرى يمتد فيها من تأخر المكاتبة :

« أتانى مع الركبان <sup>ظن</sup> ظننته \* لفتت له رأسى حياء من المجد  
كتابى الى مولى أطال الله على الزمان بقاءه ، وأدام عزه وعلاؤه ، وأراه  
فى أوليائه ماشاءه ، وجعل الأيام الى مطالبه سفراءه ، والصعود لحاجاته  
كفلاءه والأقران غرماؤه .

وأنا من الحياء عليل ومن الشربة التى سقانيها ثقيل وخمارى منهمـ  
عريض طويل . ذكر سيدى أنى قطعت مكاتبته تناسيا له ، وتمها ونا به ،  
واعراضا عنه ، وزهدا بما كان فى يدي منه ، وقد صدقت فى الأولى ولم  
أسلم له فى الأخرى . . أما الكتابة فقد انقطعت ، والمودة ماضيةست  
والعهد بقاءه على صفائه ، لكن الأيام فى قطع علائق الحبال وأسباب  
الوصل . . أسباب بعضها من ذنوب الزمان ، وبعضها من ذنوب الانسان ،  
وقد أقررت بالتقصير ، والتزمت تيمة الذنب بالمعانير . فان كنت  
أسأت حين قصرت فقد أحسنت حين أقررت ، وان عقلت لما لم أقم بمودة  
سيدى بعنايتها ، ولم أرعها حق رعايتها ، فقد أجملت لما وفرت عليه  
سهل الفضل ، وخليت له فى السبق الخطل ، وسطت لسانه بالمذل ،  
فوضع قلمه حيث شاء من الملام ، وركبه على ما أراد من حلية الكلام ، ولولا  
أنه وجد بجنايى ترايا لما تصرغ ، ولولا أنى أجررته لسان البلاغة لسا  
أبلغ» ( ١ )

( ٣ ) وله من أخرى :

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر \* الأشهاد أطراف المسالك  
 قد زرتنا مرة في الدهر واحدة \* " شئى ولا تجعلها بيضة الديك"  
 زرتنى - أيدك الله - نصف زورة ، هجرتنى مدة فترة ، فليت شعرى  
 ما لى أنكرت من أحوالى ، وما الذى عظمت من أفعالى وأقوالى فأقلع  
 عنه ، وأتوب منه .

ما أحب لسيدى أن يكون خفيف ركاب الملل ، قصير خطوة الوصال  
 . . لا يدوم لاخوانه على حال . هذا وهو بالأمس يعلم اخوانه كيف يـسـرب  
 الود وكيف يحفظ الصهد ، وكيف يرفع المغييب ، وكيف تراض على الوفاء  
 القلوب ، وما اتهم عليه غير عيني فانى قد أصبته بها ، فأبعدته بسببها ،  
 فمن ألوم وأنا المشكى الشاكي ؟ ، هم أتداوى وأنا المرص الرامى ؟  
 سقى الله ليلة لقيت سيدى فيها ، فلقد كانت قليلة الا أنها كانت جليسة  
 وقصيرة لكن حسرات فقد ما طويلة ، وأظننى لم أشكر عليها الدهر  
 فسلبنيها ، ولم أعرف قدر النعمة على ما عادت بها .

وقد قلبت لها ظهر الجن ووطنه فلم ألق من أيامه عوضا بمد . وانى لا أخشى  
 أن أتعلم من سيدى السلوة ، وأن أقارضه الجفوة ، فيعدينى  
 ويغرينى بقله وفائه . فيجمع على أليم الفراق ، ويسلبنى كريم التلاقى ،  
 وانما القلوب عيون تتراى ، ووجوه تتلألأ ، وتجار تتابع وتتشارى" (١)

ومعد كل هذا التطواف في ثنايا رسائل الخوارزمي يهمني أن أورد . .  
مقدمة كتابه " الأمثال " ذلك أن أسلوبه فيها يختلف عن أسلوبه في رسائله  
الاخوانية ، كما سنرى يقول في مقدمته : " الحمد لله رب العالمين وصلى  
الله على سيدنا محمد وصحبه أجمعين .  
اللهم انا نسألك قولاً بالحق وعملًا به ، وطلبًا للرشد وانتهاً اليه  
ونعوذ بك من أن يشغلنا الهزل عن الجد أو أن يستحوذ علينا الباطل  
دون الحق أو أن نهرب إلى دعة الجهل وحلاوته عن تكلف العلم ومرارته ،  
وأن يخرنا ثنا الناس علينا عن أنفسنا ، وأن يغلبننا حسن ظنونهم على  
يقيننا ، وأن نقنع من العلم بالتظرف ، ونرضى من الأدب بالاسم ، ومن  
الفهم بالرسم ، فقد كثر المدعون وقل المتحققون وتراضى الناس بأن يقرر  
بعضهم بما هم عارون عنه ، وكنصوا بأن يتسموا بما هم خالون منه ، فصار  
العلم بالمجادلة ، وأصبح الأدب بالشغب ، والمصاحبة وجلس في كل زاوية  
عالم لم يحلم ، وفهم لم يفهم ، يتمثل من العلم لوانا ، ويدخل أهل  
الحقائق بالمخاريق ويسبح في أودية الدعوى بكف الباطل ، فان طولب  
ببرهان تترس بالمرعدة ، وان سئل عن شئ<sup>(١)</sup> حاج وتشاغل  
بالمعارضة ، وما أخوفنى أن أذم الزمان وأنا آتته وأقع في المدلسين  
وأنا منهم ، وأشكو من الزمان وأنا عيبه ، وما أبرى<sup>(١)</sup> نفسى ان النفس لا مارة  
بالسو .

ثم ان هذا كتاب صنفناه ندارى به الزمان ، ونجانس بتأليفه الوقت ولكل  
زمان تصنيف يحكيه ، وفي كل وقت علم يقتضيه ، وربما ضاق الوقت عن صرف

(١) في الأصل : هاجر .



الجد ، وجل عن الهزل ، فاحتج الى سلوك طريقة بينهما ، ولكل مقام مقال .

ونحن نخرج من عهدة هذا الكتاب ونبرأ الى الناظر فيه من عيبه عنده . . .  
ونكشف له عن صورته ليكون نظره فيه عن بصيرة ، وتركه له عن معرفة . فانه ان طلبه  
غير عارف بفضله كان مقلدا ، وان رفضه دون اقامة الحجة في رفضه كان متحاملًا  
متعصبا .

هذا كتاب ألتقط من أفواه الشطار والعيارين ،<sup>(١)</sup> وجمع في مجالس المعننين  
والضحكين ، وروى من الهم والزير ،<sup>(٢)</sup> وحصل في أثناء البرابط<sup>(٣)</sup> والمزامير  
وجمع أكثر ما فيه من السؤال والسائلة ، وتلقف من بين كلام الظرفاء والصوفية فان  
طالبتنا في أسانيده باسم الحسن البصرى ، وبالرواية عن بكر بن عبد الله المزنى  
والسمع عن محمد بن كعب القرظى ، وقتادة بن دعامة السدوسى ، أو حدثنا  
في أبياته برواية الأصمى وأختيار المفضل الطبى ، وتصحيح أبى عثمان المازنى ،  
واجازة محمد بن المستشير النهوى أو ابن عبد الله الأعرابى أو أردت مآ فى أمثاله  
أن يكون من حكم أكم بن صيفى أو أمثال بهمس الغزارى ، ونواد رعام بن المصرب  
المدوانى وعمرو بن حمسة الدوسى كنت قد طالبتنا بما نعيأ به ، وتحكمت علينا  
بما نجزئنه وكل من مجلبه يطلب ، وكل متاع فى قرارته يطلب ، ونحن نعمتد راليك  
من الحاجة الى جمع هذا الكتاب ما عليه جل أهل الزمان وخدم السلطان من الميل  
الى الأذب الرطب لسهولته والنفور عن الأذب اليابس لوعورته حتى أن أحد هم  
يتطير من شعر أهل الجاهلية وتجرم بغموض النحو واللغة ، ويضرب " ققانبك "

( ١ ) الشطار : مفرد ها : شاطر وهو من أعيأ أهله ، خبثا : والعيارين جمع  
عيار : الذكى كثير التلؤف .  
( ٢ ) الهم : المود ، أو الوتر الفليظ من أوتار المزهر والزير : هو اللدن : التصويت  
والطنين .  
( ٣ ) جمع بهربل : الصود " مصرب " ( القاموس المحيط ) .

مثلا لكل مبتذل ، وجعل " عفت الديار " معياراً لكل متروك مهمل . قال بعضهم :

خلقنا على باب الأثير كأننا كُنَّا \* " قفانك من ذكرى حبيب ومَنْزَل "

... وإنما الأدب أرشدك الله لسان ، واللسان آلة والآلة تنفق بطلب الطالب

لها ورغبته فيها ، كما تكسد برغبته عنها وأنزواته منها ، والمهمل اذا احتجج اليه

مستعمل والمستعمل اذا استغنى عنه مهمل .

ولذلك من الشأن ترك الناس ذكر الشيخ والقيصوم ، وأقبلوا على ذكر النرجس

والورد ، وطبوا ذكر الأثافي والرماد والوقوف على الاطلال والأوتار ، الى ذكر

اليساتين والائتهار والتملل بالاثوار والازهار ، وأغبوا ذكر زينب وشمه وأكثروا ذكر

تحية ونزهة . ان كان هذا أجرى على لسانهم وأشبه بحكم زمانهم ، وقد قال

أمير المؤمنين : الناس بزمانهم أشبه منهم بأبائهم ، فبالجملة أن الناس بالزمان

والزمان بالسلطان والسلطان منصرف على حكم حاشيته ومطانته ، وناظر بأعين كتابه

وكفاته ، وجلهم بل كلهم مائل عن موارد الجد الى حلاوة الهزل ، يستبشع

الاعراب ويهملن الأعراب . .

ولما كان الشأن هذا الشأن ، والزمان هذا الزمان ، وضمت هذا الكتاب

وجمعت فيه أمثالا استحدثها مولد والعصر وانشاء الزمان ، وأبناء الدولة

العباسية من أهل بغداد وغيرها من العراق ومد مشرق وذواتها من الحجاز

وهي قريبة الفهم عذبة على اللسان مقبولة في القلب ، لا يجهلها العامة ولا يتكبر

عنها الخاصة وأكثرها مرسله لا يعرف أصحابها لاتيان الزمان على ذلك . ولأن كلام

العرب لا تقيد الاقلام ولا تشغل بتخليده الاقلام ولا يجرى في الضبط والرواية

مجرى كلام العرب الذين حفظوا أنسابهم وقيدوا آدابهم وعلما أن الأمثال حكمتهم

فروعها وأيقنوا أن الأشعار واهينهم فرووها .<sup>(١)</sup> الى آخر المقدمــــــــــــــــة .

والخوارزمي في هذه المقدمة يكشف لنا عن أحوال زمانه وأهل وقته فهو يشكو من أولئك المتخذ لقين الذين يتعاملون وينسبون أنفسهم للأدب وهم خالون منه . . . وأن القوم تواضعوا على النفاق والمجاملة بحيث يقر بعضهم لبعض بما هم عارون عنه .

كما يكشف لنا عن تفشى الجدل والمناظرة بين أدباء عصره وهو ما يسميه " بالشغب والمصايحة " ويشكو من أولئك الجهال الذين نصبوا أنفسهم للتعليم وهم لا يعلمون ، فاذا جالس أحد هم أهل العلم أخذ يشاغب ويجادل بالباطل فكان طوبى بالحجة راح يعرهد . . وكأنه يشير الى ما جرى بينه وبين بديع الزمان .

كما يشكو من ضعف الحكام واتكا لهم على كتابهم ووكلائهم وحاشيتهم فما استحسنوه فهو حسن وما رأوه قبيحا استقبحوه . على أن هؤلاء قد تخيروا وقتهم وفضلوا حلاوة الجهل على مرارة الجد ومالوا عن الأدب الجاد الى الأدب السهل البسيط .

يتظفرون به ، فلم يمد يستهويهم القول الرصين ولا الفكرة العميقة ، ولذلك كرهوا اللغة الفصيحة . . وتبرموا من شعراء الأعراب . . لابل كرهوهم وكرهوا لفتهم وأدبهم . حتى أنهم أخذوا يستهجنون الأدب الجاهلي . . وهذا التحول أعظم من تحول بعض شعراء القرن الثالث ، فأولئك أبوا أن يقولوا على طريقة امرئ القيس والاعشى من البدع بالفضل والوقوف على الأطلال . . أما هؤلاء فلم يرفضوا أن يقولوا على طريقةهم فحسب ولكنهم رفضوا حتى أدبهم ، وهو أبعد ما يتصور في البعد عنهم . وكأن الخوارزمي يرميهم بالتعصب والشمومية .

وان كان يرى أن بعد هم هذا ما هو الا بسبب تحضرهم وليونة عيشهم وقصر همهم . ثم يبين لنا أخيرا ما يحويه كتابه من أمثال ونوعية تلك الأمثال وهو على

طريقته في التواضع يزهد القارىء فيها . . . والحق أنه كتاب ثمين لا ينقصه تواضع كاتبه ولا مقاله عنه من أنه من أمثال المولدين . . . فالمقدمة تحوى الكثير من الأمثال والقصص القديمة . . . وفي نهاية الكتاب يورد أنصاف أبيات أو أبيات من الرجز . هي أمثال أو حكم من شعر القدماء <sup>في</sup> نحو من أربعين صفحة .

مع أن أمثال المولدين هي بالنسبة لنا أمثال لها قيمتها لا من حيث ما فيها من الحكمة والقول البليغ بل لأنها تكشف لنا عن أحوال العصر . . . وهي مع ذلك أمثال عربية فصيحة فيها الحكمة والبلاغة والايجاز .

ونلاحظ كيف سهل أسلوب الخوارزمي ومال الى الترسيل . . . مع أنه لا يخلو من السجع والازدواج ، ولكن ما جاء منه جاء عفوا لخاطر دون أن يطلبه . . . وما جاء به الا تمرس الكاتب في هذه الصنعة البديعية . . . حتى أصبحت تظهر في أسلوبه دون أن يجتلبها ، فقد جعل المعنى هو الأصل ، والالفاظ والتراكيب في خدمته ولذلك نجد اختلافا في أسلوبه هنا وأسلوبه في رسائله . . . سوف نشير اليه عند بيان خصائص نثره الفنية .

## ( د ) مناظرة البديع الزمان الهذلي

عرف العرب المناظرات والمناظرات والمناظرات ، وما جرى مجراها منذ قديم الزمان - كما سبق أن ذكرنا - ولعل نصيبهم من هذا الفن أكثر من نصيب غيرهم من الأمم - لفراغهم وعصبيتهم وهزة أنفسهم ، ولم يقتصر العرب على الشرفى هذا المجال وحده . . بل نقلوه الى ميدان الشعر أيضا فى فن " النقائض " وهو الفن الذى بلغوا به أقصى غايته . . منذ كانت العدوة بين الأوس والخزرج ، ثم ما كان بين شعراء المسلمين من جهة وشعراء اليهود والكفار من قريش من جهة ثانية وبلغ قمته على يدى جرير والفرزدق .

على أن النثر أرحب ميدان للسباق فى هذا اللون من الأدب وقد هيات . . الأحزاب السياسية من أموية وعلوية وخوارج ، والمذاهب الدينية لهذا الفن جوا ملائما نمت فيه وازدهرت .

والمناظرات لون من ألوان الجدل والمناظرات التى بدأت بالأمر السياسية والدينية ، ثم بالعلوم والفنون ، كالنحو واللغة ، وانتهت بالفنون الأدبية ، ولعل المناظرات هي المرحلة الناضجة لتلك المناظرات والمفاخرات التى كانت تدور . . بين بلفاء العرب ولعل أشهر تلك المناظرات الأدبية مناظرة الخوارزمى مع بديع الزمان الهذلي .

( ١ ) المناظرة مأخوذة من النظر : أى الند والكفؤ لأن الذى يناظر يجب أن يكون

كقوى لمن يناظره رساغل البديع ص ٣٣ .

( ٢ ) أنظر النقائض فى الشعر المرصص ص ٧٤ - ٧٥ .

وهذه المناظرة وان لم تبحث في صميم الموضوعات الأدبية ولم تمس جوهر الأدب ، ولا قضاياها الهامة ، الا أنها تكشف عن ثقافة أدباء القرن الرابع واتجاهاتهم الأدبية ، كما أن فيها طرافة وجوانب مسلية ، ولكي نعيـش جو هذه المناظرة المشيرة يحسن بنا أن نلقى الضوء على شخصيتي هذين المتناظرين وعن مكائبيهما وظروفهما .

أما الخوارزمي - وقد سبقت ترجمته - فهو شيخ خراسان وأديبها وأستاذ أبنائها ، ضرب بسهم في جميع العلوم من أدب وأنساب ولغة وأخبار . . . شيخ قد هنكته الليالي وفطمته الأيام ، واسع الثقافة كثير الأسفار وكانت له المكانة الأولى بين ولاية المشرق الاسلامي ، مقدما على غيره لفضله وفزارة علمه ، مما كان سببا في حسد بعض وجوه خراسان له . . . وقد أدركه بديع الزمان بعد أن تقدمت بسنه السن وضعف" (١) .

وأما بديع الزمان فقد كان فتى ذكيا يتفجر شباها وحماسة واندفاعا الى . . . الشهرة والمال ، يحب التحدى ويمشق الشجار . وقد أعد نفسه لمثل هذه المواقف . وهو وان لم يكن - في هذا السن - في مستوى الخوارزمي ، سمعة ثقافة وفزارة علم فانه يمتاز عليه بالحوية وسرعة البديهة وقوة العارضة وطلاقة اللسان مع حلاوة المنطق مما مكنته من الاستيلاء على عواطف مستمعيه ، وكسب أصواتهم ، ان أن أقوى سلاح المناظرة ، قوة المجادلة وسرعة العارضة . كما أنه لم يكن من الشهرة وذيوع الصيت في مستوى خصمه الخوارزمي . . . ولذلك أراد أن يستفيد من شهرة الخوارزمي ومكانته اما بملاحاته وعداوته واما بمصاحبتـه وصداقته ، فلم تحصل له الثانية ، وحصلت له الأولى ، وأولعله أرادها وقصد بها .

(١) قد بلغ من الحصر في ذلك الوقت حوالي ٦٠ سنة في حين كان الهذاني في حد ود ٢٥ سنة .

فقد أهدم على المناظرة وهو ضامن إحدى الحسينيين ، فان غلب فيكفيسه فخرا أنه وقف أمام هذا الصملاق ندا ونظيرا ومتحديا ، وهو الذي لم يكن في الحسين أن أحدا من الأثاباء والشعراء ينبرى لمباراته ويجترأ على مجاراته . (١) وليس بغريب أن يغلب شاب ناشئ " أمام أديب كبير - حلب الدهر أشطره وملا سمع الدنيا ، وطبق الأفاق ذكره . . فهزيمته أمامه مفجورة وغلطته صغيرة ، ولو كانت كبيرة . وان قدر لهذا الشاب الناشئ الفوز على هذا الصملاق فذلك ما كان يبغى وفوق الذي يبغى .

أما الخوارزمي فقد عرض مركزه وسمعته للخطر بمجرد قبوله للمناظرة ، سواء أكانت المناظرة بنا " على طلبه كما يدعى البديع حيث يقول : " وأفضت الحال به وبنا معه الى أن قال : لو أن بهذا البلد رجلا تأخذه أريحية الكرم وتملكه هزة لهم يجمع بيني وبين فلان يعني " (٢) . أو كانت بنا " على الحاج بديع الزمان وتحرشه واثارته للخوارزمي ، لأن فوز الخوارزمي على شاب ناشئ لا يزيد فخرا ، وهو من هو شهرة وديوع صيت ، وهفته ولو كانت صغيرة فهي " بلقا " مشهورة " وان قدر لهذا الشاب الفوز عليه . . فقد هدم مجده وفضح نفسه أمام جمهوره ومريديه وتلاميذه .

ولذلك كان البديع يستمجلها ، وتلهف لها حيث يقول : " واتفق أن . . السيد أبا علي نشط للجمع بيني وبينه فدعاني فأجبت ثم عرض علي حضور أبي بكر فطلبت ذلك وقلت : هذه عدة كنت استجزها وفرصة لا أزال أنتهزها " (٣) ، فالهدم مع أخرى أن يكون هو الطالب ليرد اعتباره لما لحقه من ازدراء . وقبل أن ندخل هذه المناظرة لا بد أن نستعرض تلك الرسائل التي دارت بين الخصمين قبلها والتي

(٢) رسائل بديع الزمان ص ١١٧ ، ١١٨ .

(١) المبتوحة ٤ / ٢٤٠ .

(٣) نفس المرجع ص ٢٠ .

تكشف عن سبب هذه المناظرة وتمدد تمهيدا لها ومن جهة ثانية تكشف لنا عن الحق والى أى جانب هو . . .

وقد كانت أول رسالة لبديع الزمان ، وذلك قبل لقائه بالخوارزمي يطلب فيها منه أن يبعث له بفلامه لينفضى إليه بما عنده من لوايح الشوق . وهذه هي الرسالة : " أنا لقرب الأستاذ أطال الله بقاءه ، كما طرب النشوان طالت به الخمر - ومن الارتياح للقاءه . . . كما انتفض المصفور بالله القطر . . . ومن الامتراج بولائه . . . كما التقت الصهبا والبارد العذب ومن الابتهاج لعزاه " كما اهتر تمت البارج الحصن الرطب . . .

فكيف نشاط الأستاذ سيدي لصديق طراً إليه <sup>(٢)</sup> ما بين قصبتى الصراق وخراسان بل عتبتى نيسابور وجرجان <sup>(٣)</sup> وكيف اهتزازه لضيف <sup>(٤)</sup> . . .

رث الشماثل مخلق الأثواب \* بكرت عليه مفيرة الأعراب <sup>(٥)</sup>

وهو أيده الله ولي انعامه بانفاد غلامه الى مستقرى لأفضى بما عندى ان شـبـاـهـ الله <sup>(٦)</sup> وكان جواب الخوارزمي أن أرسل له واستقدمه . . .

ولكن استقبال الخوارزمي للبديع لم يكن بالدرجة التي يصور البديع نفسه

فيها من الظمأ والتهلّف . . . ورسالة البديع كما هو واضح ، فيها من طلب الاستجداء أكثر مما فيها من طلب اللقاء والفرحة له .

- 
- (١) فى معجم الأديباء " فكيف ارتياح " ١٨٥/٢ .
- (٢) فى معجم الأديباء " طوى إليه " ١٨٥/٢ .
- (٣) فى معجم الأديباء " ما بين قصبتى الصراق وخراسان بل عتبتى الجبل ونيسابور " ١٨٥/٢ .
- (٤) فى معجم الأديباء " فى بردة عمال وجملة جمال " ١٨٥/٢ .
- (٥) فى معجم الأديباء " رقى الشماثل منهج الأثواب .
- (٦) انظر زهر الآداب ١/٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ومعجم الأديباء ١٨٥/٢ ، ١٨٦ علما أنها محدودة من رسائل البديع .



فلقاء الخوارزمي لبديع الزمان أشبه ما يكون بلقاء الأستان للطالب أو لقاء  
أديب كبير لصحفي مبتدى طلب مقابلته .

ولذلك لم يحمد البديع هذا اللقاء بل رأى فيه ازدراءً واهانة . . فكانت  
هذه الشرارة الأولى لتلك العداوة ، فقد اتخذ البديع هذا الموقف ذريعة  
للتحرش بالخوارزمي . .

ولعل من أسباب فتور مقابلة الخوارزمي للبديع أنه قابلته في جمع من  
وجهاء القوم وحضرة الشريف العلوي أبي القاسم . . فلم يرد أن يباليه فسي  
الترعيب به لتلا يظن الحاضرون - ومنهم أبو القاسم - أنه يرفعه عليهم ، ولملحه لو  
قابله منفردا لم يحدث ما حدث ، ثم أن الخوارزمي الى ذلك الوقت لا يعرف البديع  
الا بذكره ، وقد جاء على غير موعد ، فهو كما يقول الخوارزمي : " وكيف استقبل  
من انقض علينا انقضاء الصقاب الكاسر ووقع بيننا وقوع السهم الجائر . . وسيدي  
كلف الجاهل علم الغيب مع الاستحالة منه " . ( ١ )

ومعد اللقاء الذي أغاظ بديع الزمان كتب للخوارزمي :

" الأستان أبو بكر - والله يظيل بقاه - أرى بضيغه ان وجهه يضرب اليه آباط  
القلة في أطمار الضربة ، فأعمل في رتبته أنواع المصارفة وفي الاهتزاز له أنواع المضايقة  
من ايما بنصف الطرف وإشارة بشطر الكف ودفع في صدر القيام عن التمام وضع الكلام ،  
وتكلف لرد السلام ، وقد قبلت تربيته صمرا واحتملته وزرا ، واحتضنته نكرا وتأبطته  
شرا ، ولم آله عذرا ، فان المرء بالمال وثياب الجمال ، ولست مع هذا الحال  
وفي هذه الأسمال أتقرز صف النعال ، فلو صدقته المتاب ، وناقشته الحساب  
لقلت : ان بوادينا ثاغية صباح ، وراغية رواج ، وناسا يجرون المطارف ولا يمنعون . .  
المصارف .

( ١ ) انظر معجم الأدباء ١٩٢٢/٢

( ٢ ) في معجم الأدباء " وصدقته السطاح " زائد ١٨٧/٢

وفيهم مقامات حسان وجودهم \* وأندية ينتابها القول والفمائل

ولو طوحت بأبي بكر - أيداه الله - طوائج الفرية لوجد نال البشر قريبا ومحنسوط  
الرحل رحيبا ووجه المضيف خصيبا ورأي الأستان أبو بكر أيداه الله في الوقوف على  
هذا المتأب<sup>(١)</sup> الذي معناه ودّ والمر الذي يتلوه شهد . . موفق ان شاء الله تعالى<sup>(٢)</sup>

فذنّب الخوارزمي اذا عند البديع هو أنه لم يستقبله استقبالا حارا يليق به ،  
ولم يحتف به الاحتفا الذي يتناسب ونفس البديع الشابة ، المتوشية ، الطمسوح  
والآمال الواسعة التي يرنو اليها ، ويقدر أن كل الناس سوف تعينه على تحقيقها ،  
وتقدر له ما يتمتع به من مواهب وقدرات خارقة - ان كانت على ما يدعى البديع - وأظن  
الخوارزمي لو كان يعلم ما يتمتع به هذا البديع من مواهب ومقدرة لاختلفت نظرتة اليه  
ولكان له معه لقا<sup>١</sup> أحسن من لقا<sup>٢</sup>ه .

ولاشك أن هذا الخطاب فاجأ الخوارزمي ، ان لم يكن ينتظر من ضيفه الطالب  
لمساعدته ، أن يهز يده في وجهه احتجاجا على سوء مقابله ، بل ويتهمه بالتقصير  
في حق ضيفه وازدراءه به بل ويفاخره بما وراه من نعم وأبل ، وقوم ساداه كرما ، وكأنه  
يعرض ببخل أبي بكر ويقومه ثم يطلب أبا بكر ، أو يأمره بأن يوليه عنايته الا تزدره  
عينه .

ثم يعترف أن عتابه هذا له ، مرّ ولكنه يمدده في صورة التهديد أن وراه هذا  
المرشهدا . ولو أدرك أبو بكر ما وراه هذا الشاب الذي يتحرش به لأمسك قلمه ،  
ولكان ذلك أسلم له ، واحتفظ لمكانته وسممته ، ولكنه لم يطق صبرا على هذا الاتهام  
والفخر والتعريض الذي يسبى الى سممته .

( ١ ) في معجم الأديبا<sup>١</sup> " ورأي . . في أن يملأ من هذا الضيف أجفان عينيه ووسع

أعطاف ظنه وحببه بموقع هذا المتأب " ١٨٦/٢ - ١٨٧ .

( ٢ ) رسائل البديع ص ١٥ .

فأجابه بهذه الرسالة :

انك ان كلفتني مالم أطـق \* ساك ماسرك منى من خلـق  
فهمت ماتناوله سيدى من حسن خطابه ومؤلمة هجابه ، وصرفت ذلك منه  
الى الضجر الذى لا يخلو منه من نبابه دهر ومسه من الايام ضر ، والحمد لله  
الذى جعلنى موضع أنسه ، ومظنة مشتكى مافى نفسه ، أما ما شكاه سيدى من  
مضايقتى اياه ونتم فى القيام ، وتكلفى لرد السلام ، فقد وفيته حقه كلاما وسلاما  
وقياما على قدر ما قدرت عليه ، ووصلت اليه ، ولم أرفع عليه غير السيد أبى القاسم ،  
وما كنت لأرفع أحدا على من أبوه الرسول وأمه البتول وشاهداه التوراة والانجيل ،  
وناصراه التأويل والتنزيل ، والبشير به جبريل وميكائيل ، وأما عدم الجمال وورثاة  
الحال فما يضمن عندي قدرا ولا يضمن نجرا <sup>(١)</sup> ، وإنما اللباس جلدة ، والـى  
حلية . بل قشرة ، وإنما يشتمل بالجل <sup>(٢)</sup> من لا يصرف قيمة الخيل - ونحن  
بعمد الله نصرف الخيل عارية من جلالها ، ونصرف الرجال بأقوالها وأفعالها  
لا بآلاتها وأموالها ، وأما القوم الذين صدر سيدى عنهم وانتص اليهم ففيهم -  
لعمري - فوق ما وصف ، حسن عشرة وسداد طريقة ، وجمال تفصيل وجملـة ،  
ولقد جاورتهم فنلت المراد وأحمدت المراد .

فان أك قد فارقت نجدا وأهله \* فما عهد نجد عندنا بدمـ  
والله يعلم نيتى للاهراعامة ولسيدى من بينهم خاصة ، فان أعانى على مرادى  
له ونيتى فيه بحسن العشرة ، بلخت له بعض مافى العنية وجاوزت مسافة القدرة ،  
وان قطع غلبى طريق عزمى بالمعارضة وسوء الماخذة صرفت عنانى عن طريق الاختيار  
بيد الاضطرار .

(٢) الجل : السرج .

(١) النجر : الأصل .

فما النفس الا نطفة بقــــــــــــراراة \* اذا لم تكدر كان صفوا غد يرهــــــــــــسا

وعلى هذا فحبذا لاعتاب سيدى اذا صادف ذنبا واستوجب عتبا فأما أن يسلفنا  
المريدة ويستكثر المعتبة والموجدة فتلك حالة نصونه عنها ، ونصون أنفسنا  
عن احتمال مثلها ، فليرجع بنا الى ما هو أشبه به ، وأجمل له ، ولست أسومه أن يقول :  
" استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين " ولكن أسأله أن يقول : " لا تشرب عليكم اليوم  
ينفسر الله لكم وهو أرحم الراحمين " (١)

ويعد هذا أو ما كتب الخوارزمي للبديع واذا كانت رسالة البديع تشفع عن نفسه من  
ثائرة ، واندفاع نحو المشادة والمناقشة بما تحمله من اتهامات وتعمير واثارة للشعور  
فان رد الخوارزمي يتسم بالتواضع والهدوء واللين . . وفيمن الاعتذار ما يطفى ثائسرة  
البديع حتى لو كانت اتهاماته للخوارزمي صحيحة كلها . وكان يتوقع قبل قراءة رده أن يثور لكرامته  
من اتهامات هذا الشاب الذي جاء طالبا العمون والقرب فأصبح يريد التشنيع والنيل ممن  
السمعة . . ولكن الخوارزمي بدلا من ذلك نراه يحاول أن يعتذر لمابدبر من البديع ممن  
نسرق ونسج ونسبها الى صروف الدهر غير المواتية ، ولعمده عن أهله ووطنه . ثم  
يعتذر له أنه وفاه حثمن السلام والكلام والقيام ، ولم يرفع عليه سوى أبى القاسم ذلك أنه  
شريف علوى ، واحترام الخوارزمي له لا يمد اهانة للبديع خاصة وأنه يعلم مدى حب الشيعة  
لابناء على ، ويعتز بقصده له ويعمله مشتكى مافى نفسه ، ويؤكد له أنه لا يفتر بالمظاهر  
ولاتهمه ، فلم تكن رثاة حاله لتفقس من قدره عنده كما أنه يوافق على ما افتخريه من عسرة  
قومه .

ويمكن عن استعداد له لمساعدته . . ولكنه يطلب منه الا يفسد ما بينه وبينه بنزفه وكسرة  
لومه وتقريعه ، فهو رحيب الصدر والمعتاد أنه لا يرى ما يستحق عليه كل هذا العتب ، ومع ذلك

(١) انظر معجم الادباء ١٨٨/٢ - ١٦٠ وهي تختلف في بعض الالفاظ عن مافى رسائل  
البديع وفيها زيادات ونقص ولكن أثبت مافى معجم الادباء لانها أكمل . انظر رسائل  
البديع ١٦٥١٥ .

فهو لا يطلب منه أن يجثم نفسه مشقة الاعتذار له ، ولكنه يطلب منه أن يفسر له تلك  
الاسماء غير المقصودة ، أو ما غلبها البديع اسما .

ولكن ماذا كان رد البديع على اعتذار الخوارزمي ؟ .. لنقرأ ماذا يقول :

« أنا أرد من الاستاذ سيد أطل الله بقاءه شركة وده وان لم تصف ، والبس  
خلعة بده وان لم تصف ، وقصارا ان أكيله صاعا من مد ، وان كت في الادب دعي النسب  
ضعيف السبب ، ضيق المضرب ، سبي المنقلب ، أمت الى عشرة أهله بنيقة وأنز الى خدمة  
اصحاب بطرقة ، ولكن مني أن يكون الخليط منصفا في الوداد ، ان زرت زاره وان عدت  
عاد وسدي - أطل الله بقاءه - ناقشت في القبول أولا ، وصارفتي في الاقبال ثانيا ،  
فأما حديث الاستقبال وأمر الانزال والانزال ، فظان الطمع ضيق عنه وغير متع لتوقم منه .

ومعد : فكلقة الفضل بينة وفروا الود متعينة وأرض المشرة لينة ، وطرقها هينة  
فلم أختار صعود التملالي مركبا ، وصعود التفالالي مذهبا ؟ وهلا زاد الطير عن شجرة  
المشرة وذائق الحلو من ثمرها ، فقد علم الله ان شوق اليه قد كد الفؤاد برحا ، الي بسرح  
ونكاه قرحا على قرح ، ولكنها مرة مرة ونفس حيرة ، لم تقد الا بالاعظام ، ولم تلن الا بالاجلا  
وانذا استمقاني من مصابته ، وأغنى نفسه من كلف الفضل يتجشمها ، فليس الا غصص  
الشون أنجرعها وحلل الصبر أذرعها ، ولم أعوه من نفسي ، فأنا لو أغرت جناح طائسر  
لما طرت الا اليه ولا وقعت الا عليه . ( ١ )

لم يطفئ اعتذار الخوارزمي نائرة البديع ، بل لازان يضرب على نعت الود المشدود  
- وان كان يدعي أنه انما كتب له هذه الرسالة بحد أن نقل له الناس أنه ينال منه - فهو

( ١ ) رسائل بديع الزمان ص ١٦ ، ١٧ وفي معجم الأدباء زيادات انظر ٢ / ١٠ - ١٩٢

وفي آخرها ورد هذان البيتان :

وان لا مني فيك الميبي والفراق

أحبك يا شمس النهار وسدر

وليس لان الحير عندك بسار

وذو اللان افضل عندك يا سدر

يتهمه في هذه الرسالة بأنه غير صافي الود . . . ولا كريم معه مع زعمته في وده وكرمه ( ولا ينس أن يلوح له بالتهديد في صورة الرغبة والاقبال عليه - وقصارى أن أكيله صاعدا عن مد " .

ويوحى للخوارزمي بتصلبه في الادب في صورة المتواضع ، ثم يطلب منه أن يعامله معاملة الندية ، لا معاملة الاستاذ لتلميذه ، وان أنه يريد الاخاء والود مناصفة بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر .

ثم يعود للجرح القديم ينكيه بالحديث عن الاستقبال والانزال . . . وما كان عليه الخوارزمي من التكبر والاستعلاء ، والازدراء له . ثم يعود مرة ثانية يطلب منه صدقته ويطلب سر له من الشون ما يجعل الانسان يختار ما بين أول رسالته وآخرها ( ١ ) ؟

فالشوق يدفعه الى مقارنة فضل الخوارزمي وتجذبه الرغبة للزود من علمه ، ولكنّه يشترط أن يعظم ويكرم ويطلب منه أن يستمر في هذا العتاب والمواخظة ، وكأنه شمس سر أن الخوارزمي ربما زم قلمه ، وقصر خطوته عن التماضي في هذه المشادة .

وللخوارزمي أن يتساءل : ماذا يريد هذا الصديق الذي يطلب قبول صدقته بل يفرضها عليه ، ثم يطلب منه أن يعظمه ويحمله ، ولمعاد بعد الاعتذار له الى المواخظة والتائب ؟ وهل هذا الصديق يهدد ويتعد أم يتقرب ويمنى ؟ وهل هو يطلب الفائدة والمعلم كما يدعي أم يتحدى ويباهي ؟ . . . وأهم من هذا وذلك . . . هل هو صادق فيما يدعيه من الحب والرغبة في الود وما يجده نحوه من الشوق والوجد ، أم انه يستعمل هذه الالفاظ غطاءً للهجوم ولما يضره من نوايا ؟ . . .

ان رسائل الهدية للخوارزمي هذه ، نوع من الكتابة لهيئته الخوارزمي ومسا تموده هو أن يكتب لتلميذه الذين يحفظون له الود ويحترفون له بالفضل ، أو للسلطان والولاة فهو لا يبخس عليهم بحبارات الاعظام والمجاورة . . . أما هذا الاديب السدي

طراً عليه وانقض عليه انقض المقاب الكاسر ووقع عليه وقوع السهم العائر \* فقد حسيه  
فتارة يجذب به اليه وتارة يدفعه عنه بخطاباته التي تاهرها فيه الرحمة وماطنها فيسسه  
العذاب \*

ولا شك ان ما حصل الخوارزمي يستمر في هذه المجاذبة والملاحاة هو غرابسة  
أسلوب خصمه وحسن سبكه واختيار عبارته \* والخوارزمي ادب يتذوق الادب ويصرف جده  
ولهذا كتب له الرد التالي :

\* شريعة ودي لسيدى - ادام الله عزه ..

اذا وردها عافية هو عياب برى اذا قبلها عافية \* هذا ما لم يكد الشريعة  
بتمننته \* وتمصبه \* ولم تحترق الشباب بتجنبه وتسحبه \* فأما الانصاف والاخاء فهو  
غالى عند الاصدقاء \* ولا أقول :

وانى لمشتاى الى ظل صاحب يرف ويصفوا ان كدرت عليهم

فان نائل هذا البيت قاله والزمان زمان \* والاخوان اخوان \* وحسن العشرة سلطان  
ولكنى أقول : وانى لمشتاى الى ظل :

رجل يوازنك المودة جاهدا يحطس وأخذ منك بالمسيزان

فاذا رأى رجحان حبة خسرد ل مالت ودهته مع الرجحان

وقد كان الناس يقترحون النخل \* فاصبحنا نقطن المدن والى الله المشتكى لا منه \*

ذكر الشيخ سيدى - ايداه الله - حديث الاستقبال \* وكيف يستقبل من انقض علينا

انقض المقاب الكاسر ووقع بيننا وقوع السهم العائر \* وتكليف المرء مالا يطيق يجوز على

مذهب لا شعري وقد زاد سيدى على استاذه الاشعري فان استاذه كلف الما جز مالا يطيق

مع عجزه عنه \* وسيدى كلف الجاهل علم النبيج الاستحالة منه \* والمنزل بمافيه قد عرضته

عليه ولو اطقت حملة لحمته اليه \* والشوق الذى ذكره سيدى فمندى منه الكثير الكبير

وعنده منها الصغير اليسير \* واكثرنا شوقا أقلنا اعتبارا وألينا خطايا \* ولو اراد سيدى

أن أصدى دعواه في شوقه ليخفى من حجم عتب علي فانما اللفظ زائد ، واللحظ وارد ، فاذا  
رق اللفظ دون اللحظ ، وإذا صدى الحيفان العتاب والعتب .

وبالخير لا بالشرف فارجح مودتسى وأى امرى يعتاد منه الترهيب ؟  
عتاب سيدى قبيح ولكنه حسن ، وكذلكه لين ولكنه خشن ، أما قبحه فلانه عاتبيرثا ونسب  
الى الاسامة مالم يكن مسيئا ، وأما حسنه فذللفاظه الضرر ، ومثانيه التى هى كالدرد فهى  
كلا دنيا ظاهرها يضر وباطنها يضر وكالمرى علوه من الشرى منظره بهي ومخبره وبى . ولو  
شاء سيدى نظم الحسن والاحسان وجمع بين صواب الفعل واللسان . .

يا بد يسمع القول حاشيا	لكا من هجسود يسمع
وحسن القول عسود	تك من صود الصنيسع
لا يعب بمضاهيه	كن مليحا فى الجيسع (١)

ويظهر ان هذه الرسالة هى الرد الاخير من الخوارزمى للبديع ويعتبر فى نفس  
الوقت الرد الى اسفه وموضوع الصداقة الذى يتستر به بديع الزمان .

ان أنه بالرغم من اخفاء عداوته للخوارزمى وراء هذه الالفاظ البراقة فانه قد حسن  
أمره على أن يتخذ منه موقفا غير موقفا للصداقة والاخاء وقد كشف ذلك الخوارزمى ولنسمع  
مايقوله البديع وهو يترجم نواياه : " وعمدنا لذكرك فسحوتاه عن صحيفتنا ، ومخوننا ،  
وصرنا الى اسمه فأخذناه ونبذناه ، وتركتنا خلطته وتجنبتنا خطته " (٢)

ثم يعود بعد هذا ويكتبله الرسالة السابقة ويدعى فيها الشوق والود . فهو  
يخفى غير ما يظهر ليوهم الخوارزمى أنه لا زال يوده ويرجو صداقته ، ليبقى بين الطامسح  
فى وده والخائفين شوره .

(١) انظر معجم الادب ١٩٧/١٩٥-١٩٥٠ . ولتردد هذه الرسالة ضمن رسائل البديع .

(٢) رسائل البديع ص ١٦



غير أن الخوارزمي قدم للبديع في هذا الرد كشف الحساب ، وقطع عليه السير فتنى هذه اللبنة الذكية ، حيث صارحه أن رسائله هذه لا تنم عن حيوود ، وكيف ينثر المشوق من المتابوخصن الخطاب لمن يحب ؟ وإذا كان ما يدعيه من الشوق صحيحا فليطلبه عن طريق الخير لا عن طريق الشر ، ثم سألته إليه بأربعة أبيات خفيفة فيها المتب والمجب والرجاء ، والاعتراضه بحسن القول والاجادة في الكتابة ، وفيها أيضا كشف حقيقة الموقف .

ولما علم البديع أن صاحبه كشف لمبته لم يحاود الكتابة إليه ، خاصة وأن الموضوع استنفد حقه من الأخذ والرد .

أما الخوارزمي فيظهر أنه رضى بسكوت البديع عنه ، وأما البديع فبقى فنفسه شيء يريد أن يقوله له ، فهو لم يشف غلته منه ولا بد من التفكير في وسيلة أخرى فكانت تلك الوسيلة هي المناظرة .

وقبل أن أدخل في هذه المناظرة أحب أن أشير إلى أنني وجدت لها مخطوطة في مكتبة عاطف بتركيا (١) ، وعند مقارنتها بالمناظرة المشتمة في رسائل البديع وجدت في المخطوطة زيادات أغلبها من شعر البديع في رده على الخوارزمي ولطرافتها ولأن هذا المحذوف يطيننا فكرتها حصل منها من تحريفها تبشها هنا .

فبعد قول البديع : " وجعلت عواصفه تهب وهتافه تدب وهو لا يرضى بالتمريض حتى يصرح ولا يقنع بالنفاق حتى يملن " (٢) ورد في المخطوطة ما نصه :  
 " وشكا إلى بعض أخواني أني خاطبته مخاطبة مجحفة وانزلته منزلة متحيفة ، وأنى أوشسر العريدة ، وأسلف الموجدة - يرميني في ذلك برأيه وينسل - فكتبت إليه :

(١) تحت رقم ٢٢٧٢ وهي تقع في ١٩ صفحة تم نسخها عام ١١٤٢ هـ .

(٢) رسائل 'بديع الزمان' ص ١٧

جعلت فداهك من فاضل  
 وفي الغيب أكثر مما رأيست  
 اتنى الرواة بما قلت  
 وقولك أني طوع الشجر  
 فقلت تصيحاً لمن كان قسداً  
 فيا من بذلت ودادي لـــــــ  
 بود تلج عن نـــــــ  
 فهن كماليس يخفى عليـــــــ  
 وما بيخته بيمين الرنـــــــ  
 وقت لحنظل أخلاقـــــــ  
 ولو كان ذلك من غـــــــ  
 ولاعبته بكما ب الرجـــــــ  
 وكان حديثي لما رجـــــــ  
 فلم أد رفيماً جفاً غيـــــــ  
 أ للزمن التي في حكمـــــــ  
 وكاتبته أستمد الســـــــ  
 فقابل عرفي بمزوجهـــــــ  
 وزار وزرناه في قصـــــــ  
 فأيا الخطاب فأنت ابتـــــــ

بلفت المراقى من جـــــــ  
 وأين البلوغ الى غـــــــ  
 بهيئتو على كـــــــ  
 أضم ضلوعى على فـــــــ  
 تجاوز منامدى طـــــــ  
 فما كنت حوذاً على كـــــــ  
 وقصد تشيح عن نـــــــ  
 بمدد القيام الســـــــ  
 وفي الجفون على صـــــــ  
 أياخذ الاوى . في شـــــــ  
 طمست بنجد على غـــــــ  
 فقا برنى بيدى جـــــــ  
 حديث الفتى مع سنـــــــ  
 ولم مكمن البر من فـــــــ  
 أم الفلك الفتى في دوره  
 كملت من الد ر من شـــــــ  
 وواجهته درى ببلـــــــ  
 بما ليس يخجل في خـــــــ  
 وه وثك زند المصـــــــ  
 ( ١ )

فلما وردت عليه الابيات ابرزت باللمح وحركت ساكنه واخرجت دفاين صدره ورفعته

أذ يال سره ومأ فكيه وعيدا ولحيه تهديدا فكتبت اليه :

أعنى يا أبا بكر  
 على نفسك مطر  
 وعن عتقك منشور  
 على حرمك مقهور  
 ولا تمد إلى الظلمة من ناحية النور  
 ولا تهوى إلى الوهم من ناحية السور  
 ولا تهيم إلى الانحياز في السبل الخسور  
 ولا تحفر لهم بئسرا تقع في هوة الهنثر  
 ولا تقتل إلى الفتنة أسباب المتادين  
 فما أكثر ما عنده من شدة العقاقير  
 ولا تمدرف على الاحسوال من هذى الابازير  
 فكسب أطوى لك السم يسع على سواد المناكير  
 وكسب القى عليها شرفى حلمى وتذكير  
 وإن تعدد إلى مصائب التصافى يد تكديري  
 تعدد من جهتي والله محذوف الشوابير  
 ولا مروان في الكوفة في غيرة عاشور  
 ولا الكلباني الجامس في فرة مطر  
 وإن أحببت أن تعلم فانهي غير مأمور  
 ولا تهطل فداك النفس من فدى ودهك تدبير  
 ولا تخلف بأخلاقك في المشورة تقديري

(١) فلما وردت عليه الأبيات قال : لو أن بهذا البلد رجلا تأخذه أريحمة الكرم

(١) مخطوطة المناظرة بمناطق ص ٤٤ وفي الرسائل " وافضت الحان به ونا معه

إلى أن قال لو أن بهذا البلد ص ١٧

وكان أول لقاء بين المتناظرين في دار أبي الطيب بناء على دعوة وجهت لابي بكر  
 . . . يقول البديع : " فلما وردت عليه الرقعة شهد تلاوته وخدمته وزم عن الجواب قلته ،  
 وجشم الا يجاف قدمه ، وطلع مع الفجر علينا طلوعه ، ونظمتنا حاشيتنا ار الامام ابي  
 الطيب . . . " (١) . . . غير ان هذه الجولة ليست صوت تهديد ومناوشات واستمر  
 . . . ولم يورد البديع فيها من كلام الخوارزمي شيئا . وكل ما أورده هو من كلامه . وقد  
 وصف خصمه بقوله : " كان خلبا شمنا وآلا وردناه " (٢) ولا نستطيع أن نحكم للبديع  
 بالفوز على منافسه في هذه الجولة الاولى رغم بلغة ما رواه وحسن تشبه في تهديد ووعيد  
 بتلك الابيات المختارة ، اذ كيف نحكم على خصم لم نسمع دعواه ؟ . وديث البديع في  
 هذه الجولة يشبه حديث المالكين والمصارعين قبل البديع في الاشتباك من توجيه  
 الوعيد والتهديد لمحاولة تثبيط الهمم وزعزعة الثقة وهز الاعصاب . . . كقوله :  
 " انا نقتحم الخطب ونتوسط الحرب فنرد هاهن فحامين ونصد رها بلغنا .

وألسنا قبل النزال قصيرة	ولكنها بعد السزال طوال
فارضك أرضك ان تأتينا	تتم نومة ليس فيها حلل
ومن ظن أن سيلاقى الحسرو	ب والا يصاب فقد ظن عجزا
فانك متى شئت لقيت منا خصما ضحما	ينهشك نضما وياكلك خضما . . . " (٣)

أما الجولة الثانية من هذه المناظرة فقد سمى في عقد هذا أبو على حيث نشط  
 للجمع بين الخصمين . . . فكانت الخوارزمي يستدعيه ، فاعتذر وتباطأ في القبول ، وكان  
 يعلم أن القوم ياترون به ، في حين لبي البديع هذه الدعوة جذلان فرحاحب ما يرويه  
 ويصحب البديع مجي الخوارزمي في جماعة من أصحابه ، وتلاميذه بهذا الوصف المقسود  
 " فجاءنا في طبقة أف وعدة تف ، كل بخير قدره ابيع وأنفه خمسة اشبار . . . لا تنال الصين

(٢) نفس المرجع ص ١٨

(١) رسائل البديع ص ١٨

(٣) نفس المرجع ص ١٩

منهم الا جيبا ٠٠٠ ثم رأينا رجلا جونا قد حلقوا صفونا ، فأما المعرة ، وليس  
نخس المفسرة " (١) .

وأخذ البديع عن الخوارزمي تمثله قبل البدء بشطربيت لا تقتضيه الحال ، حيث  
قال قبل البدء : " مرانا في العبالة نستبق " (١) .

فتكلم الخوارزمي كثيرا - كما يقول البديع - ولكنه لم يثبت من كلامه شيئا ، فهو يقول  
وتركنا على غلوائه حتى اذا نفر ما في رأسه وخرغ عافى جصيته عطفنا عليه " (٢) .

وفي مقابله اغفال البديع لما قاله الخوارزمي نراه يسهب فيما قاله في مقدمة هذا  
المقام من كلمات وجمل يحسن سبكها ويختار لفظها ، ولا ندرى أهو نفس الكلام الذي  
قاله في أثناء المناظرة أم أنه صاغه بأسلوب جميل في هدوء حينما كتب هذه المناظرة بعيدا  
عن جو التوتر والقلق ؟ فطلب البديع أن يكون موضوع المناقشة الحفظ والنظم  
والنشر ، والبديهة وهي الابواب التي بين فيها الخوارزمي كما يقول البديع : " ولنبدأ  
بالفن الذي ملكت به زمانك وفقت به أقرانك وملكته به عننا نك وأخذت منه مكانك " وأفحمت  
به الرجال حتى أذعن المالم وقلد الجاهل " (٣) . وهي شهادة من البديع للخوارزمي  
وان وردت على شكل التهم .

فطلب الخوارزمي أن يتسابقا في البديهة ، كما يقول البديع - مع أنه أقسو  
في الابواب الاخرى ، وطلب من أبي الحسن أن يقول بيتا لجزءه ، ولكن البديع لم يوافق  
واقترح ان يأخذ قصيدة للخوارزمي من ديوانه مكونة من ثلاثين بيتا وادعى أنه يستطيع  
أن " يقرون كل بيت بوقفه وينظم كل معنى الى لفظه بحيث يصيب أغراضه ولا يعيد الفاظه  
بشرط الا يقطع النفس " (٤) ، فان استطاع ناقد ان يميز قول الخوارزمي من قوله أو يرجع

(٢) نفس المرجع ص ٢١

(١) نفس المرجع ص ٢٠

(٤) نفس المصدر ص ٢١

(٣) نفس المرجع ص ٢٠

أحدهما على الآخر فللخوارزمي يد السبق ، فاعتبر الخوارزمي محتجا أنه لا يامن أن يكون  
 قد أعد هذا النظم من قبل ، ثم اقترح أيضا أن يختار الخوارزمي لقصيدته قوافي غير ما بناها  
 عليه . . ولكن الخوارزمي رضى هذا أيضا ، ولا أدري طاسو شيبث الهديج بقصيدة الخوارزمي  
 تلك لينسج على منوالها ؟

وأخيرا وافق الخصمان على أن يجيزا بيتا لابي الحسين كتابة . . فكتب الهديج :

هذا الاديب على تمسك فتكسه	وهو كه عند القرين ببركسه
تمسرع في كل ما يستجاد ه	من نظمه متباطي عن تركسه
والشعر ابد مذهبها ومصاعبها	من أن يكون مطيعه في فكسه
والنظم بحر والخواطر مفسر	فانظر الى بحر القرين وفلكسه
فمتى تواني في القرين فمفسر	عزيت اذن الامتحان بمركسه
هذا الشريف على تقدم بيتسه	في المكرمات ورفعة سمكسه
قد رامني أن أقارن مثلسه	وأنا القرين السوء ان لم أنكسه
واذا نظمت قصمت ظهر مناطسرى	وحطمت بجارحة القرين يدكسه
ودبغت منه أديبه وتركتسه	نهج الاديب بدبغة ويد لكسه
أضفوا الى الشعر الذي نظمته	كالد ر رصع في مجرة سالكسه
فمتى مجزت عن القرين بدبته	فد في الحرام له اراقة سفكسه

وهذه أبيات كما نرى مقوسطة الحس عموما ولقمتها جيدة اذا كانت حقيقة مسن  
 وحى الموقف على الهدية . . وبديع الزمان ممرور بسرعة البديهة وقوة المارضة ، أما  
 الخوارزمي فلم يجرؤ على اظهار ما كتبه رغم محاولة البديع . ولكنه اقترح أن يقولوا شافهسة  
 من غير كتابة ، اجماعة لقول المتجى :

أرق على أرق ومثل يـــــــأرق      وجوى يزيد ومسيبة تترقــــسرق

فبدأ الخوارزمي فقال :

وإذا ابتد هت بديهة ياســـــــدى	فأراك عند بديهتى تتقلــــسرق
وإذا قرضت الشمر فى ميد انسه	لاشك أنك يا أخى تتشقــــسرق
انى اذا قلت الهديهة قلتــــسرق	عجلا وطبمك عند طبمى يرفــــسرق
مالى أراك ولست مثلى عند هــــسرق	متموهسا بالقرهات تخــــسرق
انى أجيز على الهديهة مثلــــسرق	تريانه واذا نطقت أصــــسرق
لو كنت من صخر أصم لها لــــسرق	منى الهديهة واغندى يتقلــــسرق
أو كنت ليثا فى الهديهة خــــسرق	لرويت يا مسكين منى تشــــسرق
وديهة قد قلتها متفــــسرق	فمن الذى قد قلت ياذا الاخــــسرق (١)

والحقيقة أن أبيات الخوارزمي - ركيكة مهلهلة فقد أكثر فيها من تكســــرار  
" البديهة " حتى ملت ، كما أنى بقوافى مكروهة ، وأخرى غير جارية على القياس اللغوى  
كوله " يتقلق " ولكنها على أية حال قيلت ارتجالا فرد بديع الزمان :

مهلا أبا بكر فزندك أغــــسرق	فاخرى فان أخاك حى يــــسرق
دعنى أعرك اذا سكت سلا مــــسرة	فالقول ينجد فى ذوبك ويمــــسرى
ولفاتك فتكات سوء فيكــــسرق	فدع الستور وراءها لا تخــــسرق
وانظر لا شفح ما أقول وادعــــسرى	انى الى أعراضكم متسلــــسرق
يا أحمقا وكفاهك ذاك خــــسرق	جريت نار محترقى هل تحــــسرى ؟ (١)

وإذا كان البديع التزم الامانة فيما قال ، فأبياتهم على قلتها تملو أبيات الخوارزمي  
وتفوقها حسن سبك ، واتساق معنى ، واختيار الفاظ ، ولا يعميها أبسده صرف " أحق "

وهو لا ينصرف فهي من ضرورات الشعر ، وقد آخذ الخوارزمي في هذا لا جهلا منسسه  
وهو أحد علماء اللغة ولكنه أراد إرباكه ورجاء ألا يستطيع خصمه تخرجه .

وقد أخذ البديع على الخوارزمي قوافيه المكرهة والتباس معنى بيته الأول فسللا  
يدري أهو مدح أو ذم ، مع ضعف نسخة وصحيح أن كلمة ياسيدي في هذا البيت نشاز  
ومثلها كلمة " يا أخي " في البيت الثاني .

ولما كان الخوارزمي قد قطع قصيدة بديع الزمان باعتراجه عليه في كلمة " يا أحمق " .  
اقتن البديع أن يسهل كل منهما الآخر حتى يكمل إن أدته ، ويحفظ انتقاداته حتى يفسرغ  
من القصيدة ثم يسرد ها ، ويحرف بضعف ذاكرة الخوارزمي فيقول له :  
" فان عجزت عن اختلافها حفظتم الك فسلى عنها بعد ذلك " (١) . . . وطبيعتسى  
ألا يوافق الخوارزمي على ما يرغبه خصمه فما دامت المقاطعة تضايقه فليحرص عليها ليركسه  
ويشير أعصابه . ولذلك لم يسهله حتى يبدأ بيته الثاني حين أخذ يقولان علمنوال بيت  
أبي الطيب :

أهلا بدار سياتك أفيد هـ سـ ا  
أبعد ما بان عنك خرد هـ سـ ا

اذ لم ينته البديع من قوله :

بانمة لا تزال تجحد هـ سـ ا  
وفنة لا تزال تكند هـ سـ ا

حتى قاطعه الخوارزمي بسؤاله عن معنى " تكند ها " منكرها عليه ، فقال البديع ان الكسود  
مصناه الجحود ، فانكر الخوارزمي أن يكون التنود بمعنى الجحود ، انما هو بمعنى : القليل  
الخير ، ثم رد عليه الجماعة أن الحق مع البديع .

ولا أشدق أن مثل الخوارزمي وهو الضليح في علوم اللغة وآدابها أن يخيب عنسه



معنى " الكنود " خاصة وأن الكلمة وردت في القرآن الكريم . إلا إذا كان غرضه المفاطمة  
 وأفحام خصمه ، ولو كان غرضه النقد الموضوعي لنقد خصمه في تكرار معنى الشطر الأول فسحق  
 الشطر الثاني من البيت ، وتكرار كلمة " تزال " مرتين ، ويحتمل أنه أدرك أنه لا يستطيع  
 مجازاة البديع في هذا المجال فأراد أن يقاطعه ويضايقه ويثير أعصابه لئلا يعطيه  
 مجالاً لكشف عجزه ، ولهذا وحسب ما يرويه البديع استطاع الخوارزمي أن يغير مجسري  
 الحديث من المناظرة للمنافرة بعد مشادة كلامية فالبديع يقول :

" فبئذ الادي ورا ، ظهره وصار الى السخف يخرق علينا غرقا ويستقى من جرفه  
 جرفا ، فقلت يا هذا : ان الادي بغير سو ، الادي للمناظرة حضرنا للمنافرة " (١) واستمر  
 الخوارزمي كما يقول البديع " في هذائه وهزائه واستتدت الاللسند ووضعت الادي على الادي  
 ليرى الجالسين انه املك لاعصابه وأقدر على كبح جماح عواطفه ثم عطف عليه كما يقول . .  
 فقال : " ان تكلفى للمفنه أشد استمرارا من طبعك وغرس فى السخف أعتن عسودا  
 من نبعك وستقرح باب السخف معك ونفترج من ظهر السفه مفترجك فتكلم الان " (١)

فقال الخوارزمي يفاخره بماله : " أناقد كسبت بهذا العقل دية أهله مسدان  
 مع قلته فما أقدت أنت بعقلك مع غزارته " (١)

فرد عليه البديع أنه إنما استفاد هذا المال من الكدية والسؤال " ولان يقال :  
 يا فاعل يا عانع أحب اليه من أن يقال : يا شحان يا مكدي . . . فأما مالك فمئذ نسسا  
 يهودى يماثلك فى بذهبه ويزيدك بذهبه ومع ذلك لا يطرفنى الا بعين الرهبة ولا يمسد  
 الى الا يد الرخصة " . (١)

ثم تحول البديع من الدفاع الى الهجوم حيث أخذ يكيل لمنافسه الشيخ ، التهم

الجارحتمن مثل قوله : " ولكن عزني هل كنت فيما سلف من زمانك ونبت من أسنانك  
الا هاربا بذمائك ضرجا بدمائك مرتبنا بقولك ، بين ونية مشومة وجوارح مهشومة  
ودار مهدومة وخدود ملطومة " (١) وقبل أن يجيب الخوارزمي عن هذه التهم المصيبة  
يطلب البديع من المصنف أن يفتي أبياتا منها :

وشبهنا بنفسج عارضيه بقايا الوشم في الخد الرقيسي

فقال الخوارزمي : " أحسن ما في الأمر أن احفظ هذه القصيدة وهو لا يعرفها ،  
فقلت : يا عافاك الله أعرفها وإن نشدتكها سأك مسموعها . . . فقال : انشد فقلت :  
ولكن روايتي تخالف هذه الرواية ، وأنشدت :

(١) وشبهنا بنفسج عارضيه بقايا الوشم في الوجوه الصفيق

" وكان الخوارزمي هجا بمن الملوك فظفر به فوسمه في وجهه سطرين فيهما  
شطران بأقبح هجاء ، فكان يشد الحامق على عاجبيه سترا عليهما " (٢) فهو يعرف بهذا  
ولقد ارس أن يتساءل : هل اختيار البديع هذه القصيدة للمصنف مقصد ومعد ، ليوقسح  
الخوارزمي فيما يكره ؟ حيث يعرف أن فيها هذا البيت الذي يفضح ما يتستر عليه ؟

وهذا التساؤل يقودنا الى شك أبدي من هذا ، يتصل بالناظرة ككل ، فكما  
يمكن أن يتفق مع المصنف ليعنى أبياتا تؤدي خصمه ، فلما ذا لا يكون قد اتفق مع حكاهم  
الناظرة والوجهاء الذين حضروها مادام بهذا المكر والدهاء ، أم تراه حرف فسسى  
البيت واستغل ذلك ليشغل السامعين عن عجزه عن القاء القصيدة التي تحدها الخوارزمي  
أن يرويها حفيلا ؟ وإذا كان الأمر غير معد ، بل هو وليد الصدفة ، وأنه فطن لهذا  
البيت الذي يخجل الخوارزمي أمام القوم بما كشفه من عيبه ، فهو دليل على ذكاء وفطنة  
وقوة عارضة غير عادية .

ولهذا ، وحسب ما يرويه البديع ، بهت الخوارزمي وفقد أعصابه وراح يهدد . .  
 البديع بالضرب بقوله : " والله لا ضربتك وإن نهرت " (١) فرد عليه البديع . . ساخرا  
 " مهلا فانك بين ثلاثة فصول لم تتخطها من عمرك ، وانت في جميع الثلاثة ظالم في وعيدك  
 متعدد في تهديديك ، لأنك كهمل وانت شاعر ، وكنت شابا وانت مقامر ، وكنت عبيا وانت  
 مؤاجر ، فنتطاي القدرة في الفصول الثلاثة ضيق عن هذا الوعيد " (١) فقال الخوارزمي :  
 " والله لو دخلت الجنة واتخذت السندس واستجرت جنة لصفمت " (٢)

ورد عليه البديع وزاد - على هذا الخيال - وتمثل بأبيات . . . وكانت هسهسة  
 المنافرة ختام الولاية الثانية ، والتي حكم فيها البديع لنفسه بالخليفة ووضعنا نفسه  
 بقوله : " فقمنا عن الليل وهو يحسره ، مائل الذقن الى ما وطن " ، وظنى أن هذا الفاضل  
 يأكل يده ندما ، ويبكى على ما جرى دمعا ودما فانه اذا سمع بحديث همدان ، قال :  
 الهاء : هم ، والميم : موت والذال : ذل ، والالف : آفة ، والنون : ندامة . .  
 وانه اذا نام هاله مناطيف واذا انته راعه مناسيف . . . وأخذ الناس يترازمون بما جرى  
 ويتغامزون " (٢) وراح الخوارزمي يدافع عن مركزه وسمعته التي اهتزت في أذهان الناس  
 ويؤكد أنه هو القالب . . . وقيل أن نسمح رأى الحظام في المناظرة يمسى وجوه من القسوم  
 بالصلح بين الخصمين ويتم الصلح في دار أبي بكر الخوارزمي ، بعد أن اعتذر له البديع عما  
 بدر منه . . . وقد أقام البديع في عيافته ذلك اليوم . . . مع الخوارزمي كان متاقلا في المعنى  
 للمصالحة كما اعتذر البديع عن مشاركة الخوارزمي في الزاد والصلح - الا أن المصالحة  
 تمت وبقيت حزازات النفوس كما هي . . . كما يقول الشاعر :

وقد تبت الخسرا في دمن الشسرى وتبقى حزازات النفوس كما هي

( ١ ) رسائل البديع ص ٢٦

( ٢ ) نفس المصدر ص ٢٧

وهناك رسالة بحث بها البديع للخوارزمي في فترة الصلح أوردها يا قوت فسي  
مجمعه . . . يمتد للخوارزمي عن غيابه عن مجلسه يقول فيها :

" أنا وان كنت مقصرا في موجبات الفضل من حضور مجلس الاستاذ سيدي فمسا  
أفري الا جلدي ولا أبرى الا قدسي ، ولا أبخس الا حظي وان يكن ذلك جرما فلقى هذا  
عقبا . . . ومثلت فما أعمر أوقاتي الا بمدحه ولا اطرز ساعاتي الا بذكره ، ولا أركن الا في  
حلبة وصفه - حرس الله فضله - نعم . . . وقد رددت كتابا لرواي للصولي ، وتطاولت لكتاب  
البيان والتهيين للجاحظ ، وللستاذ سيدي في الفضل والتفضل به رأيه " ( ١ )

وهذا يدلنا على أن الخوارزمي كان له مجلس يؤمه أهل العلم والفضل وان له  
مكتبة كبيرة يستمر منها أعدقاؤه وتلاميذه . . . وهذا يدل على حاجة البديع له واعترافه  
بفضله .

ولم يدع ذلك الصلح طويلا ذلك انه صلح غير مكتمل فلم يفسل ما في نفسيهما ، فاشتملت  
الفتنة بينهما من جديد . . . بسبب ما يرويه السعادة لابي بكر من افتخار البديع واشاعته بسين  
الناس انه هزمه وقد انتشر حديث هذه المناظرة بين الناس . . . ولعل البديع أخذ يفاخر  
فملا وتباهى بفوزه على الخوارزمي فضاق الخوارزمي من هذا التباهى فأراد أن يعيدهما  
بثرا ليؤكد للناس أنه فارس الحلبة وزعيم الادب . . . في حين أن البديع يدعي أن نفسه  
صفت للخوارزمي وانقد رضى عنه وصار لا يتحلى الا بمدحه ولا ينتقل الا بذكره ولا يعتمد  
الا بوجه وقد ملا الهلد شكرا والاصطاع نشره . . . ( ٢ )

ولكن الخوارزمي يرسل للبديع ، يقول : " قد تواترت الاخبار وتلاهرت الاثار  
في أنك قهرت ، وأنى قهرت ، ولا أشك أن ذلك التواتر عنك صدرت أوائله والخبران

( ١ ) معجم الادباء ٢ / ١٩٥ - ١٩٦

( ٢ ) انظر رسائل البديع ص ٢٨



إذا سار غيري في التشيع برجلين طرت بجناحين ، وإذا مت غيري في موالة أهل البيت بلحمة دالة ، توصلت بفرقة لا ثمة . . . ثم إن لي في آل الرسول صلى الله عليه وسلم قصائد قد نظمت حاشيتي البر والبحر . . . وللآخرة قلتها لا للحاضرة وللدن يا دخرتها لا للدنيا فقال أنشدني بعضها ؟ ( ١ ) فأشده قصيدة طويلة في مدح آل البيت .

" فلما أنشدت ما أنشدت وسرت ما سرت انحلت العقدة وصار سلما يوسعنا حلما ( ٢ ) وليس السيد أبو الحسين وحده الذي استطاع البديع حل عقده باظهار التشيع بل يظهر أنه حل عقد الكثير من حضر هذا المجلس ، فالقوم شيعة والبيئة كلها شيعية ولا شك أن كلام البديع قد أرضاهم . . خاصة وأن كل هذا حصل قبل مجي الحوارزمي .

وقبل حضور الخوارزمي أخذ الحاضرون يختبرون سرعة بديهته باقتراح القوافي وما شاكلها فاقترحوا عليه أن يعينوا القوافي والمعاني والبحر . . فان استماع أن يقول شهيد وا له بالا حسان وأنه لافتي الا هو . . . ويقول البديع : " وما خرجت من عهد هذا التكليف حتى أرتفعت الاصوات بالهيللة من جانب والحوقلة من آخر وتمجبوا ان أرتهم الايام ما لم ترهم الا حلام وجاد هم الصيان بما بخل به السماع ، وأنجزهم لفهم ما أخلفهم الوهم ( ١ ) " . ولم يحضر الخوارزمي الا بعد أن استولى البديع على اعجاب الحاضرين وسهرهم بفنه واستطالهم الى جانبه .

ولما دخل قصد صدر المجلس ليدل على أنه من وجوه القوم ، ولما أخذ مجلسه طلب منه البديع أن يتزحزح منه ، ليقابله فرد عليه الخوارزمي بقوله : " لست برب الدار فتأمر على الزوار ( ٢ ) فقال البديع : " حضرت لتناظرني والمناظرة اشتقت اما من النظر

( ١ ) انظر نفس المرجع ص ٣٠

( ٢ ) نفس المرجع ص ٣١

( ٣ ) نفس المرجع ص ٣٢

أو من النظر ، فان كان اشتقاقها من النظر فرض حسن النظر أن يكون مقعدنا واحدا حتى يتبين الفاضل من المفضل . . . فقضت الجماعة بما قضيت (١) .

وواضح أن هذه أول اهانة للخوارزمي سددها خصمه له بعد أن هبأ النفوس لمناصرته وأرضاها بحسن بيانه وحلاوة منطقه وحدة ذكائه ووحى بالخوارزمي أن تشور أعصابه وأن يرتبك لسانه بعد أن استطاع خصمه اجباره بالحجة على القيام من مجلسه . . .

فطلب منه البديع أن يختار أى علم ليتناظرا فيه ، فأوصأ الخوارزمي الى النحو ، فاعترض البديع بحجة أن النهار قد انقطع والنحو ميدان واسع والناس الحاضرون ، يريدون أن يخرجوا بفائدة . . . ومرة أخرى ينال البديع تأييد الحضور . . . ولو قبل البديع التناظر فى النحو لظهر علم الخوارزمي لتبحره فيه ولأن النحو علم وليس أدباً يحسنه البديع بحسن أسلوبه وحلاوة منطقه . . . ولكنه تخلى من هذا المأزق **بذليله** .

ومن الاساليب الملتصية أن يطلب من الخوارزمي اذا كان يريد أن يناظره فى النحو أن يسلم له الحفظ والبديهة والترسل . . . وكان الاجدر بالخوارزمي أن يقول للبديع : سلم لى بالنحو حتى نفرغ لما تريد من هذه الابواب . ولكنه بقي مصرا ألا يناظر الا فى النحو . . . غير أن أحد الحاضرين قال للخوارزمي : " ان تناقلك عن هذه الابواب التى عدها هذا الشاب بما يتهم ويوهم ، فاضطره اما للمنازلة أو النزول عنها " ثم سلم الخوارزمي لخصمه الحفظ كما يروى البديع - مع أنه ممن

أعلامه ومن يضرب به المثل فيه فقال له البديع " خفف الله عنك كما خففت عنا فسي الحفظ . . . فلو تفضلت وسلمت البديهة أيضا مع الترسل حتى تفرغ للنحو الذي أنت عليه كبير واللغة التي أنت بها أعرف والصروض الذي أنت عليه أجراً والأشكال التي لك فيها السبق والقدم ، والأشعار التي أنت فيها تقدم (١) . " فيخصب هذا الكلام الخوارزمي فيتراجع عن تنازله عن الحفظ " ويستفيد البديع من تراجع الخوارزمي عن الحفظ ويقبله عن تنازله ليتناظرا فيه بدلا من النحو . فطلب منه البديع أن ينشده خمسين بيتا من قبله مرتين وأن ينشده هو عشرين بيتا من قبله عشرين مرة (٢) " فيمجهر الخوارزمي عن ذلك وهو أمر غريب . . . إذ كيف يمجز عن حفظ خمسين بيتا وهو الذي قال لحاجب الصاحب وقد أخبره أن مولاه اشترط ألا يدخل عليه الا من يحفظ عشرين ألف بيت من الشعر - أيريدها من شعر الرجال أم من شعر النساء ؟ (٣) على أن طلب البديع فامض ، فلا يدرى أيريد من خصمه أن يقول الخمسين بيتا من محفوظاته أم ارتجالا ويرددها مرتين . . . وكيف يطلب منه أن يرددها مرتين وهو يرددها عشرين مرة . . . على أنه اذا رددها مرتين سهل عليه أن يرددها . . . أكثر .

ثم عادا للبديهة . . . فاقترح أحد الحاضرين أن يقولوا على مثل قول أبي

الشمسي :

أبقى الزمان به ندوب عضاض ورمى سواد قرونه ببياض

فارتحل أبو بكر هذه الأبيات :

( ١ ) نفس المرجع ص ٣٣

( ٢ ) نفس المرجع ص ٣٤

( ٣ ) . وفيات الاعيان ٤ / ٤٠٢ ،



يا قاضيا ما مثله من قاض  
فلقد لبست ضفية ملمومة  
لا تخضين اذا نظمت تنفسا  
فلقد بليت بشاعر متقادر  
أنا بالذي تقضى علينا راضى  
من نسج ذاك البارق الفضاض  
ان الضاضى مثل ذاك تفاضى  
ولقد بليت بناب ذئب غاضى  
ولا أرمى سواده ببياضى (١)

فاخذ البديع ينتقد أبيات الخوارزمي فسأله عن معنى : " ضفية ملمومة " وماذا أراد  
" بالبارق الفضاض " ؟ فأنكر أن يكون قالها . ١.١ . ولكن الجالسين شهدوا عليه  
أنه قالها . ثم سأله عن معنى " ذئب غاض " فقال الخوارزمي هو الذي يأكل الضأ ( ١ )  
فقال البديع : استغنى الجمل وصار الذئب جملا يأكل الضأ . وسأله عن معنى  
" ان الضاضى مثل ذاك تفاضى " فان الضأ ليس بمعنى الاغضاء ؟ فأنكر الخوارزمي  
مرة ثانية أن يكون قال " الضأ " بل أنكر البيت جملة . . . وهذا أمر مضحك . ان ،  
كيف ينكر بيتين من ستة أبيات وهو الاديب الوقور الذي يحترم نفسه أمام مجلس فيه  
وجوه المقوم من أدباء ورؤساء . . . الا أن يكون الموقف افقده توازنه ثم كيف  
يفيب عن علم الخوارزمي أن الذئب من الحيوانات آكلة اللحم وليس جملا يأكل الضأ ؟  
الا اذا كان لا يعرف معنى كلمة " الضأ " وكيف وهو اللغوي المشهور الذي اعتمد  
عليه الشعالي في تأليف كتابه " فقه اللغة (٢) " ؟ وهو تلميذ ابن خالعه اللغوي  
المعروف ؟ ! !

ثم سأله عن معنى " قراض " فهو ليس مصدرا قياسيا لقرضت الشمر " وقال له البديع :  
" هلا قلت كما قلت وسقت الحشو الى القافية كما سقته فقال الخوارزمي هذه طريقة

( ١ ) رسائل البديع ص ٣٣

( ٢ ) انظر فقه اللغة ص ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٨ . . . على سبيل المثال

لم تسلكها الصرب فلا أسلكها (٣) " ولا أدري ماذا قصد البديع بقوله " هلا قلت كما قلت " وهل أراد به قصيدته الا ولى أو التي سوف تأتي ؟ !

وللبديع الحق في أن ينتقد قصيدة الخوارزمي ، ونقده موضوعي وصحيح فسير أن الامر الذي يحتاج للنقد هو اجابات الخوارزمي على نقد البديع . ولعل هذا أكبر مدح في أمانة البديع العلمية فلا يمكن لا ديب أن يصدق أن هذه هي اجابات الخوارزمي العالم الا ديب المشهور ، كما لا يمكن اعتبار ذلك استهزاء منه ، ان أن للموقف لا يحتمل ذلك . فلم يبق الا أن البديع حرف اجابات خصمه ليظهره جاهلا أحق لا يحسن التفكير ، وأنه هو العالم وحده ! ولأجل هذه المغالطات ولانكار طلب أحد الحاضرين أن يكتب ما يقولان لئلا يتسنى لهما الانكار . فقال البديع (١) :

برز الربيع لنا برونق مائه	فانظر لروعة مائه وسمائه
فالترب بين ممسك ومعنبر	من نوره بل مائه وروائه
والما بين مصندل ومكفر	في حسن كدرته ولون صفائه
والطير مثل المحصنات صواح	مثل المفضى شاديا بفنائيه
والورد ليس بممسك ريباه ان	يهدى لنا نفحاته من مائه
ومن الربيع جلبت أزكى متجير	وجلوت للرائين خير جلائيه
فكأنه هذا الرئيسي اذا بدا	في خلقه وصفائه وعلائيه
بحمى أعز محجر رندى أغر	محجل في خلقه ووفائيه
يمشوا اليه المجتوى والمجتدى	والمجتوى هو هاربا بذمائه (٢)
ما البحر في تزخاره والفيث في	امطاره والجوفى أنواعيه
بأجل منه مواهبها ورغائبها	لا زال هذا المجد حلف فنائيه
والسادة الباقون سادة عصرهم	متدحون بمدحه وثنائيه

( ١ ) رسائل البديع ص ٣٥

( ٢ ) المجتوى : المنفض

فاتهمه الخوارزمي أنه انتحلها فير أنها فابت عن حفظه !! ثم أخذ ينتقد ها .  
فقال : " جمعت فيها بين اقوا و اكفا و أخطا و أبطا " (١) واستمر في نقده حتى  
قال البديع : " انه رد عليه عشرين ردا ونقد عليه فيها كذا نقدا " (٢) ولكن  
البديع لم يرو لنا ذلك النقد وتلك الردود !! سوى أن الخوارزمي قال له :  
" لا يقال نظرت لكدا ، وإنما يقال : نظرت اليه " (٣) .

ويقول البديع ان الجماعة كفته اجابته . كما انتقد عليه تشبيه الطير  
بالمحصنات وليس بينهما شبه ، وكيف شبهها بالمحصنات ثم شبهها بالمغنى ؟  
فرد عليه البديع بقوله : " يارقيع اذا جاء الربيع كانت شواذى الاطيار تحست  
ورق الاشجار ، فيكن كأنهن المخدرات تحت الاستار . . فهن في الخدر . .  
كالمحصنات وكالمغنى في ترجيع الأصوات " (٤) . والحق أن تشبيه الطير  
بالمغنى وارد ، أما تشبيهها بالمحصنات فمفيد .

ثم قال له : لو قلت بدل أزكى متجر " أريج متجر " لكان أحسن ، فرد  
البديع : ان الربيع ليس بتاجر يجلب البضائع المريحة . ثم انتقد عليه قوله  
" الفيث في امطاره اذا أن الفيث هو الطير ؟

فقال البديع : " لاسقى الله الفيث أدبيا لا يعرف الفيث . ان . .  
الفيث هو الطير ، وهو السحاب ، كما أن السماء هو المطر وهو السحاب " (٥)  
ثم فرغا للترسل فادعا البديع أنه يجيد أريج مائة صنف من الترسل ! منهم :  
أن يكتب كتابا يصرف منه جوابه أو يكتب في المعنى الذي يقع له كتابا يقرأ من آخره  
الى أوله أو يكتب كتابا اذا قرئ من أوله كان كتابا وانذا عكست سطوره كان جوابا

(١) نفس المرجع ص ٣٤٠ .

(٢) نفس المرجع ص ٣٦٠ .

... فقال الخوارزمي هذه الابواب شمبذة (١) فقال له البديع : وهذا القسول  
 طرمذة ! ! والحقيقة أن هذه الابواب من التوسل أشبه ما تكون بالألغاز وإذا كان  
 ما يقوله البديع صحيحا من أنه يجيد كل هذه الأنواع فهي للتسلية والمفالبة  
 . . وليست من الكتابة الفنية التي يتبارى فيها الكتاب لتظهر فيها مقدرتهم  
 الفنية ، وقد تكون تلك الفنون التي عدد ها البديع ، من الكتابة شائعة في  
 زمانه وراثة ولها عشاقها وروادها . . يقضون بها أوقات فراغهم ويشغلون بها  
 في سمرهم .

ولما اعتذر الخوارزمي عن هذه الحذقة والتلاعب بالأساليب ، قال له البديع :  
 فما الأنواع التي تجيد ها ؟ حتى أبا حثك على مكنونها وأكثرك بمخزونها ، وأشبر  
 فيها قلمك ، ولسبر فيها لسانك وفمك ؟ فقال الخوارزمي : \* الكتابة التي يتعاطاها  
 أهل الزمان المتعارفة بين الناس \*

فقال له البديع : \* أليس لا تحسن من الكتابة الا هذه الطريقة الساذجة ؟  
 وهذا النوع الواحد المتداول بكل قلم ، المتناول بكل يد وفم ؟ \* (٢)

فقال الخوارزمي : نعم . ثم قال البديع : هات الآن حتى أطا ولسك  
 بهذا الحبل وأنا ضلك بهذا النبل ثم تقاس ألفاظي بألفاظك ومعارض انشائي  
 بانشاءك (٣) . . واقترح \* كتابا يكتب في النقود وفسادها والتجارات ووقوفها  
 والصناعات وانقطاعها والاشمار وفلائها \* (٤) ولا أدري كيف وافق الخوارزمي على  
 اقتراح البديع فلمله قد أعد كتابة هذا الموضوع .

ولعل ايراد البديع لتلك الأنواع من الكتابة بهتته وشغلته عن معارضته  
 في اقتراحه ، أو لعل ثقة الخوارزمي باجادة الكتابة جعلته لا يحسب حسابا لخصمه  
 في هذا النوع ضمهسا ، ولو كان قد أعدده من قبل .

(١) الشمبذة : خفة اليد وأخذ كالسحر ( أساس البلاغة ) .

(٢) أنظر سبل البديع ص ٣٧ - ٣٨ .

فكتب الخوارزمي كما يروى البديع :

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرهم والدينار ثمن الدنيا والآخرة ، بهما يتوصل الى جنات النعيم  
ويخلك في نار الجحيم . قال الله تبارك وتعالى : " خذ من أموالهم صدقة  
تطهرهم وتزكهم بها وصل عليهم " وقد بلفنا من فساد النقود ما أكبرناه أشد  
الأكبار وأنكرناه أعظم الإنكار ، لما نراه من الصلاح للعباد ونهيه من الخير للبلاد  
وتصرفنا في ذلك ما يريح للناس في السزوع والضرع ويعود اليه أمر الضر والتفجع  
الى كلمات لم تعلق بحفظنا (١) ويظهر أن رسالة الخوارزمي لم تعلق بحفظ  
البديع كلها . . فليست هذه كتابة الخوارزمي التي نصرها وليس هذا الأسلوب  
الركيك والمعنى المضطرب هو أسلوب أبي بكر إلا أن يكون هاله الموقف حتى أضعف  
أسلوه الى هذه الدرجة . .

فقال البديع : " ان الأكبار والآنكار والعباد والبلاد وجنات النعيم ونسار  
الجحيم والزرع والضرع . . أسجاع نبئت في المهدي . . ولم تزل في اليد " (١) . .  
ولا نستطيع الاعتراض على نقد البديع لأسجاع الخوارزمي مع أن السجع هو حليسة  
الكتابة في عصره لأن سجع الخوارزمي في هذه القطعة جاء بارداً .

ثم ناول البديع الخوارزمي رسالته التي كتبها وهو نوع من أنواع الأساليب  
التي اقترحها وادعى أنه يجيدها . ان هي تقرأ من آخرها الى أولها . . وهي :

(١) أنظر نفس المرجع ص ٣٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم

" الله شاء أن المحاضر صدور بها وتملاً المناير ظهور لها وتفرع الدفاتر  
وجوه بها وتمشق المحابر بطون لها . . ترشق آثارا كانت فيمنه آماننا مقتضى . .  
أياديه على تأييد الله أدام الأمير جرى فاذا المسلمين ظهور عن الثقل هذا ويرفع  
الدين أهل عن الكل هذا يحط أن في إليه نتضرع ونحن واقفة والتجارات زائفة  
النقود وصيارفة . أجمع الناس صار كريبا <sup>فقد</sup> نظرا لينظر شيمه مصاب وانتجعنا كرمه  
بارقة وشمنا همه على آماننا رقاب وعلقنا أحوالنا وجوه له وكشفنا آماننا وفود إليه  
بعثنا فقد نظره بجميل يتداركنا أن ونحماه تأييده أدام وبقائه الله أطال الجليل  
الأمير رأى ان . . " (١) وهي بهذا الشكل لامعنى لها ولكن البديع قرأها  
عليهم وترجمتها كالآتى :

" ان رأى الأمير الجليل أطال الله بقاءه وأدام تأييده ونحماه أن يتداركنا بجميل  
نظره ، فقد بعثنا إليه وفود آماننا وكشفنا له وجوه أحوالنا وعلقنا رقاب آماننا  
على همه وشمنا بارقة كرمه وانتجعنا مصاب شيمه لينظر نظرا كريبا ، فقد صار  
الناس أجمع صيارفة والنقود زائفة والتجارات واقفة ، ونحن نتضرع إليه في أن يحط  
هذا الكل عن أهل الدين ، ويرفع هذا الثقل عن ظهور المسلمين فاذا جرى  
الأمير أدام الله تأييده على أياديه مقتضى آماننا فيه كانت آثارا ترشق لها بطون المحابر  
وتمشق وجوه الدفاتر وتفرع لها ظهور المناير وتملاً بها صدور المحاضر ان شاء الله  
. . ولا أشك أن الخوارزمي قد دهن عند قراءتها ، وكذلك دهن الحاضرون ذلك  
أنها تختلف عن الكتابة المتعارفة بين الناس - وكذلك لم ينتقدها الخوارزمي  
وكيف ينتقدها وهو لا يعرف كيف يقرأها ؟

( ١ ) أنظر نفس المرجع ص ٣٧ - ٣٨ .

وقد أعجب الحاضرون ببراعة البديع فلا أظن أنهم يتقبلون بعد هذا أى نقد للخوارزمي فيها . . والرسالة على العموم حتى بعد ترجمتها جيدة ولا ينقصها سجعها وزد واجبها جمالا . . ثم مالوا الى اللغة فقال البديع : " يا أبا بكر . . هذه اللغة التي هددتنا بها وحدثنا عنها وهذه كتبها وتلك مؤلفاتهم . . فخذ : " غريب المصنف " ان شئت " واصلاح المنطق " ان أردت و " ألفاظ ابن السكيت " ان نشطت " و " مجمل اللغة " ان اخترت ، فهو ألف ورقة و أدب . . الكاتب " ان أردت واقترح علي أى باب ان شئت من هذه الكتب حتى أجمله لك نقدا وأسرده عليك سردا " فقال : اقرأ من غريب المصنف " رجل ماس خفيف على مثال مال وما أمساه " ، فاندفعت في الباب حتى قرأته فلم أتردد فيه ، وأتيت على الباب الذي يليه ثم قلت اقترح . فقالوا : كفى ذلك ( ١ ) .

ولا أدري كيف جملوا الحفظ في علم اللغة هو المقياس لاجادتها ، وانصا

المقياس فهم قواعدنا وأصولها وفريبها ودخيلها . . الخ .

ثم طلب البديع من الخوارزمي أن يسرد عليه باب الصادر رغيبا من " أخبار

فصيح ثعلب " فمجز عن ذلك وسلم اللغة كما يقول البديع . ثم عرج على المروض

وسرد خمسة أبحر بألقابها وأبياتها وعللها وزخافاتهما " كما يقول . . وعجز . .

الخوارزمي عن اعادة ما سرد البديع فضجر الناس وقاموا عن المجلس . . على أن عجز

الخوارزمي عن حفظ المروض واللغة اذا صح لا يقدر في علمه وأدبه فاللفظة

والمروض لا تحفظ كما يحفظ الشعر . . وصور لنا البديع انفضاض المجلس تصورا

يرفعه فوق النجوم وينزل بالخوارزمي تحت التراب فهو يقول : " وقاموا عن المجلس

يفدونى بالأمهات والاب وشميمونه باللصن والسب ، ( ١ ) ثم يصور لنا وقع الهزيمة

وأثرها على الخوارزمي تصوير الشامت . فيقول : " وقام الخوارزمي مفضلاً  
عليه (١) ثم يصور نفسه في صورة الفتى الشهم الذي يسعف عدوه بعد أن أثنى  
بالجراح وقد قهره وقلبه على أمره فيقول : " فقتت إليه فقلت :

" يحز علي في الميدان أنسى \* قتلت منافسي جلدا وقهرت  
ولكن رمت شيئاً لم يرمسه \* سواك فلم أطق يا ليت حصيلاً

وقبلته في عينه ومسحت وجهه وقلت : أشهد أن الغلبة له ، فهلا جئتنا يا أبا بكر  
من باب الغلطة وفي باب العشرة ؟ " (١) .

وهو مشهد يدعو للدهشة والحزن في آن واحد . . الدهشة من هذا  
الصراع الضيف الذي أنتهى بهذه النهاية القريبة من إصابة المغلوب بالانفاس  
أمام الجمهور المتفرج وهو أكبر دليل على هزيمته وقيام الغالب بإسفاف مغلوبه  
ليؤكد شهامته وأن خصمه في حالة يشفق عليه حتى خصمه . . . وهو نوع من الشامت  
به .

والحزن لهذا الشيخ المجوز الذي ملأ الدنيا بذكره وقضى عمره في خدمة  
اللفة والأرب وتعليم الناشئين وتخريجهم وتكون نهايته أن يهزئه هذا الشاب  
الناشئ " ويفضحه أمام الملا حتى أفقده ذلك شموه وأصابه بالانفاس . . وفي ذلك  
يقول علي الجندی : " ما ذكرت تلك المصاولة قط الاغام الحزن على عيني ، وصلاً  
الأسى شفاف قلبي وشمرت للهديع بمقت شديد يكاد يعقل لساني عن الترحم  
عليه " (٢) ، وبعد أن أفاق الخوارزمي أحضر الطعام فأراد الهديع أن يجهز  
عليه ، ان قال له : " لم غشي عليك ؟

(١) أنظر نفس المرجع ص ٣٩ .

(٢) مجلة الرسالة سنة ١٩٣٩م عدد ٣٣٧ ص ٢٠٣٢ .



فقال الخوارزمي : " لحمى الطبع وحمى القرو " (١) فقال البديع : " أين أنت عن السجع ؟ هلا قلت : حمى الطبع وحمى الصفع " (١) .

فقاطبهم أحد الحاضرين قائلا للبديع : " أيها السيد أنت مع الجد والهزل تغلبه (١) فرد البديع : " لا تظلموه ولا تطعموه طعاما يصير في بطنه مفصا وفي عينه رمضا وفي جلده برضا وفي حلقه فصا " فقال أبو بكر : " هذه أسجاع كنت حفظتها ، فقل كما أقوله ! يصير في عينك قذى وفي حلقك أذى وفي صدرك شحى " ، ثم رد عليه البديع بأقبح وأسفه من هذا ، فقال الخوارزمي : " والله لا تركك بين الميمات " بين مهزوم ومهذوم ومهشوم ومحموم ومرجوم (١) .

فرد عليه البديع مجاريا : " وأتركك بين الميمات أيضا بين الهيام والصدام . . والجذام والعمام والزكام والسام والبرسام والهام والسقام ، وبين السينات . . وبين الخافات . . وبين البافات . . وان شئنا كلنا بهذا الصاع وطاولنا بهذا الذراع وعرضنا عليك من هذا المتاع ، وكأثرناك بهذه الأنواع " (٢) . وأخذ يمدد من هذا السجع البديع حتى استنفد طاقته .

ويختم هذه المناظرة بتصوير نهاية انتصاره وغدلان خصمه واستتاره من الناس خجلا بقوله : " ثم خرجت وأعتجر . . ولما خرجت لم يلقوني الا بالشسفاه تقبيلًا والاقواه تهبيلًا وانتظروا خروجه الى أن غابت الشمس ولم يظهر . . حسيتي حضره الليل بجنوده وخلع عليه الظلام فروقه " (٢) .

ومد : فهذه المناظرة المشهورة التي دارت بين فحلين من أدباء القرن الرابع كما رواها أحد الخصمين - وهو بديع الزمان الهمداني . . وذلك أمر يتطلب

(١) أنظر رسائل البديع ص ٤٠ .

(٢) نفس المرجع ص ٤١ .

منا الوقوف والتحرز أمام ما أصدره البديع من أحكام وتهم ضد خصمه . وكما رأينا فان هذه المناظرة رغم طولها اقتضرت على الحفظ ، والهدية . . وقد ظهر فيها البديع فارس الحلبة الذي لا يشعق له غبار . . فلم تفته شاردة ولا . . . واردة ، يغرف من بحر بحيث لم يعجزه سؤال ولم يقف أمام تحد ، يشترط على نفسه فوق ما يتحداه به خصمه ويأتي بالمطلوب ويزيد عليه . . فقد أفحم الحاضرين قبل أن يفحم منافسه . حتى فدهه بالأمهات والآباء وقبلوه بالشفاه ، وهتفوا له بالألسن بمد أن بهرهم بفنه وشدة ذكائه وتصرفه في شتى فروع العلم .

أما الخوارزمي فقد أظهره البديع شيخا جاهلا ، بل عيبا لا يفهم في الشعر ولا في النثر ، ولا يدري ما اللفظة ولا الصروض ، لم يصب في جواب واحد ، ولا استطاع أن يدافع عن نفسه دفاعا منطقيا ولو مرة واحدة . . أو ينتقد منافسه انتقادا صحيحا .

ومن هنا يجوز لي أن أشك في أمانة بديع الزمان العلمية وأن هذا التصور يخالف الواقع وأنه لم ينصف خصمه . . وأكد أجزم أنه صاغ هذه المناظرة صياغة فنية بمد مضى زمن طويل على حدوثها ومد موت منافسه ، فأثبت ما أصاب فيه وحذف أخطاه ، وأثبت أخطاه خصمه وأعطاه حجما أكبر من حجمها . . . وقد يكون حرف الكثير ما نقل عنه واحتفظ بهيكل المناظرة فقط وأنا أشك ولا أجزم ، لأن هذه المناظرة لم ترد الا عن طريق البديع ، وحتى من اقتطف منها لا ينقل الا عنه . . ولو ورد لها نص غير ما أورده البديع لوضح الحق ولصدقنا البديع أوكد بناء بأدلة قاطعة . . غير أن اظهار الخوارزمي بهذا . . . المظهر المضحك المحزن هو أكبر مطمئن في هذه المناظرة لما عرف عنه من باع طويل في الآداب ، وعلم واسع في شتى علوم اللغة بشهادة مؤرخي الآداب وكتاب التراجم .

من مثل قول الثعالبي \* لم يزل بحسن حال من روا \* وثروة واستظهم —  
 يقيم للأدب سوقا ومعيدة فضا ريقا ، ودرس وعلما ، وشمر وروى ، ويقسم  
 أيامه بين مجالس الدرس ومجالس الأئس (١) ، وهذا الرجل الذي يتحدث  
 عنه البديع لا يمكن أن تنطبق عليه هذه الصفات التي ذكرها الثعالبي وغيره . .

وان قيل : لو أن البديع حرف هذه المناظرة وغيرها لم يسكت عنه أدبا \*  
 عصره . . قلت : أولا أن أدبا \* عصره وخاصة في بيئته كانوا حاسدين له غيرا منه  
 لا استحوازه على اعجاب الوزراء والسلاة وتقديهم له عليهم كما سبق أن ذكرنا .  
 ثم أن وجوه القوم كانوا مستوحشين منه لأنفتسه واعتزازه بملمه وأدبسه  
 واستعلائه عليهم ، وهذا مصداق قول الثعالبي \* وأعان البديع عليه قوم ممن  
 الوجوه كانوا مستوحشين منه جدا . (٢)

ولذ لك فقد ابتهجوا بفوز البديع عليه واستبشروا بذلك وقد فرح الصاحب  
 ابن عياد المهيم على هذه النواحي بموته . (٣)

والبديع انما كتب هذه المناظرة بناء على طلب أحد الوجها\* ، وقد  
 يكون الصاحب حيث يقول البديع : \* سأل السيد أن أملى جوامع ماجرى بيننا وبين  
 أبي بكر الخوارزمي من مناظرة وناظرة أخرى (٤) . وطبيعى ألا يكتب البديع  
 للصاحب الا ما يرضيه وشفى غليله من الخوارزمي ولا نتوقع من أحد من الموالين  
 للخوارزمي أن يقوم بنقض هذه المناظرة في حياة الصاحب ، وهو يعرف موقفه من  
 الخوارزمي .

(١) أنظر اليهيمة ٢٠٧/٤

(٢) نفس المرجع ٢٠٩/٤

(٣) أنظر هذه الرسالة ص ٦٠

(٤) رسائل البديع ص ١٤

ولا نعلم متى أضيفت هذه المناظرة لديوان رسائل البديع . . فلعلها تأخرت حتى انقضى جيل الخوارزمي . . فأصبحت من المسلمات .  
وأنا لأشك أن البديع استطاع أن يحوز على اعجاب الحاضرين ففى مناظرته مع الخوارزمي بحسن منطقته وحماسته وقوة عارضته . . وأعانه على ذلك كما سبق أن ذكرنا أعداء الخوارزمي ومناقسوه وكبر سنه ولكن . . لم تكن الفلبنة فى صميم العلم والأدب وجوهرهما ، بل هى فى ظواهرهما كما رأينا وهى فذلكنة ومناظرة أكثر منها مناقشة علمية فى الأصول والقضايا الأساسية . . ولم تكن الهزيمة بالصورة التى رسمها لنا بديع الزمان . وعلى افتراض أن ما ذكره البديع صحيح ، وأن ما ادعاه من اجادة لتلك الأنواع من النشركها حقيقة ، وأنه على ما صور نفسه فيه من قوة المارضة والحفظ الخارق للمادة ، فهو بهنذا رجلا فى عادى بل هو عبقرى ، لا يأنف أو ينجزل من قلبه لأنه لا أحد يستطيع هزيمته .

ولست بدفاعى هذا عن الخوارزمي أغض من منزلة البديع . . فلاشك أنه خدم الأدب وأشرفه أكثر مما خدمه الخوارزمي ، فقد فاقتة كثرة نتاج وجوده ولا ننسى له جهده فى فن المقامات . . الا أن ذلك كله لا ينسينا فضل الخوارزمي ومنزلته ولا يجعلنا نصدى ونقبل كل ما أورده وقاله ضد الخوارزمي . .

وحتى لو كان كل ما قاله البديع فى هذه المناظرة صحيحا . . لما أنسانا فضل الخوارزمي وعلمه وجهوده فى الأدب العربى .

وعلى أى حال فهذه المناظرة أضرت بالخوارزمي وبسماعته الأثبية . . ويكفى أنه مات على اثرها قهرا وكندا . . وقد رأى تحامل القوم وتمصيبهم ضده وتجاهلهم لكل صفاته المحمودة والحكم عليه بالهزيمة فى أمور لا تعد جوهرية فى العلم والأدب ، وقد عم صداها أقطار العالم الاسلامى ليس لغرابتها وندرة . .

موضوعاتها التي عالجتها ، فقد رأينا أن العصر عصر مفاظرات ، وإنما لشهرة الخوارزمي . . ونهايته المفجعة وانتهزامه أمام خصم لم يكن في الحسبان أنه يستطيع الوقوف أمامه .

ولهذا فقد هزت هذه المناظرة صورة الخوارزمي الأدبية في عيون مريديه والمجيبين به وأسمايت الى سمعته العلمية سواء في جيله أو في الأجيال التي تلتته .

ولعل لهذا أثر في ضياع بعض نتاجه الأثني ، لأن الناس زهدوا فيه بعد أن صوروه البديع في تلك الصورة التي لا تليق بحالم أو أديب فلا يستحق من كانت هذه صورته ، وهذه أفكاره ومنطقه أن يقرى أدبه . . .

( هـ ) خصائص نشره ومدارسته التي ينتمى إليها :

أكثر من كتب عن أسلوب الخوارزمي من الكتاب والنقاد ، يجمعونه في الدرجة العليا من البلاغة والبيان ، ويصفونه بأنه من السحر الحلال . وقليل هم الذين عابوه ، وانتقصوه ، ولمل أسبق من نقده ، خصه بديع الزمان الهمذاني . الذي قال فيه : " وسأنتي بعمون الله تعالى على القوائد التي أدعاها وأعرفك من أين سرق مسروقها . . الى أن يقول : " ثم نفرغ لرسائله فأعرفك ما يردد من أسجاعه ويكرر من ألفاظه فهو لا يتمدى فرقتين ، ولا يتخطى طبقتين ، وتلك الأسجاع هي التي يطرز بها كلامه ، ويقرر نظامه ، ويطرف محاضراته ويوسط محاوراته ، فإذا . . . خلت منها كتبه ، وقصائده كان ما يبقى منها غفلا عطلا ، لا يحلو ولا يحلى " ( ١ )

والحق أن البديع عرف من أين يطمن رسائل الخوارزمي رغم أنه خصم له ود ورغم أن هذه طريقة كتاب القرن الرابع كلهم تقريبا ومنهم البديع نفسه . . ولو وفي البديع بوعده وتناول رسائل الخوارزمي بالنقد لكان لنا منه حصيلة جيدة ، . . . ولد لنا على موالين الضعف فيها ، رغم أننا لا نتنظر منه أن يسجل له ولو حسنة واحدة لأنه يكتب كما قلت بقلم حاقد يتتبع الأخطاء ويتناسى الحسنات .

ولنعد الى خصائص نشر الخوارزمي فنقول : ان من أبرزها ما ذكره بديع

الزمان من :

( ١ ) التزامه بالسجع ، فرسائله تعد ممرضا فنيا لهذا النوع من البديع ويشاركه فيه كل أدباء العصر تقريبا ، الا أن هذه الطريقة وهذا الكلف بالسجع تظهر جلية في كتابة الخوارزمي والصابي وابن الحميد والصاحب والبديع على اختلاف بسيط بينهما . وهذا السجع هو الذي يلهي القارى عن المعنى كما الهى الكاتب عن العناية به أيضا .

فجاء أسلوبهم متكلفا لما أغرقوه به من أنواع البديع وخاصة السجع ، مما حدا بأحمد أمين أن يقول : " أنه كتابة هولا الكتاب ولا يستطيع الضحي في قراءتها . ( ٢ )

( ١ ) رسائل ومقامات البديع " مخطوط ز . ورقة ١٠٠

( ٢ ) ظهير الاسلام ٢ / ٢٦ - ٩٧ .

ولكننا لا نستطيع الحكم على القوم بذوق عصرنا ، فنحن نعرف أن هؤلاء الذين اتبعوا مدرسة ابن العميد وهم من لا ينفك السجع عن كتابتهم يعدون أمراً النثر في القرن الرابع الهجرى . وكان القوم قد تواضعوا على هذه الطريقة واستجادوها وأصبحوا يتسابقون فيها ، وهم الذين بلغوا بها هذا المستوى الذى يعد في زمانهم الأسلوب المثالى الذى لا يجيده الا فحول الكتاب .

والحق أنهم لم يقتصروا على السجع وحده بل استخدموا كل أنواع البديع من جناس ولباق وطعموه بأساليب البلاغة البيانية من استعارة وكناية وتشبيه ، ونحن وان كنا لا نستسيغ أسلوبهم ذاك فإننا نعترف باجادتهم فى هذه الصنعة واستخدامها ، فهى طريقة تحتاج لدربة وممارسة ومعرفة كاطلة لفنون البلاغة والبديع . وليست القضية قضية سجع فقط .

وقد وضع نقاد ذلك العصر قواعد لذلك وشروطاً . . ومع أن أبا هلال المسكرى

لا يلتزم بالسجع دائماً فانه يضع له قواعد تضبطه ، ان يقول : " ويشترط فى السجع البليغ أن تكون :

( ١ ) ألفاظه حلوة حادة رنانة لافتة ولا باردة .

( ٢ ) وأن تتخالف السجمتان فى المعنى وأفضل السجع ، القصير الفقرات المتساوى  
الفصول . ( ١ )

وعيب استخدام السجع عند الخوارزمى هو الاكثار منه على روى واحد . خاصة اذا ضعف أسلوبه وأصبح همه اصطيات السجع من ذلك قوله : " وأطوف بكتابه فى اخوانه ، واخوانى ، وأباهم به مباحة الأخ بأخيه الذى مساعيه مساعيه مساويه مساويه وكل شىء من فضيلة ورديلة فهو شريكه فيه . ( ٢ )

( ١ ) الصناعتين ص ٢٠٠

( ٢ ) رسائل الخوارزمى ص ١١٠ .

أوقوله : " انى أصدرتها فى حضرة من اذا رأى سيئة ستر وغفر وعذر  
وأعذر ، وان رأى حسنة نشر وأظهر وقرر وكرر وفكر وصور وجعل الخمسة عشرة  
والعشرة خمسة عشر . ( ١ ) على أن رأى الخوارزمى فى السجع يخالف ذوق  
عصرنا فهو يمتدح من يستخدمه ويجيده يقول : " قرأت الفصل المسجع فشغلنى  
الاعتباس منه عن الجواب عنه ، ولقد عمد السيد الى كل سجة مختبئة فى زاوية  
ملقاة فى ناحية ، فالجمها بلجام ، وقادها بزمام وفبر بها فى وجه سجمسى  
الملزق وكلامى المطلق . ( ٢ )

الخاصة الثانية وهي ملاحظة بوضوح فى أسلوب الخوارزمى هي :

( ٢ ) الترادف والتكرار ، وهي ما أشار اليها البديع فى نقده لرسائل الخوارزمى  
كقوله : " وردت القصيدة الغراء بل الدرة الصذراء بل الهدية العظيمة  
بل فريدة الدر بل غرة شمس الكرام ، وخريبة الايام ، بل الخطاب الجزل  
والمنطق الفصل بل الحسن والاحسان ، بل التبيين والبيان . بل واحدة  
القواعد ، وخاتمة القلائد وآبدة الاوآبد ، بل أميرة النظم والنثر ، بل  
ملكة الرجز والشعر ، بل حسنة الألسن ، ونزهة القلوب والاعين ، بل  
بستان الأفكار وجلال الأبطال ، بل روح المعانى والمبانى ، وهيكل  
الأوزان والقوافى ، بل عقيلة الدهر ونادرة العصر ، وشرة العصر ، وبيضة  
العقر ، وترياق القلب ، بل ملابس تاج الفخر ، ومورثى كنز الذخائر ،  
لا بل ليلة القدر ، فانها خير من ألف شهر وهذه خير من ألف بيت شعر . ( ٣ )

فلا شك أن القارى لهذه القطعة قد تنفس الصعداء بمد الفراغ من  
قراءتها لأنه ظل يكرر " بل " حتى ظننا أنه لن يفلتها . . وهذه المعانى  
الترادفة فى وصف هذه القصيدة هي التى جعلت أحمد أمين يقول :

( ١ ) نفس المصدر ص ٢١ وانظر بقية الأمثلة ص ٣٨ . ( ٢ ) نفس المصدر ص ٢١ .  
( ٣ ) رسائل الخوارزمى ص ٧٣ .



وهكذا أقرأ هذه الرسائل كلها فينقبض صدرى ولا ينطق لسانى ، وأصرف نفسى الرسالة ساعة أو ساعتين ثم لا أخرج منها بشىء فى الهدين . ( ١ )

ويمكن أن نحتذر عن الخوارزمى وغيره ممن يهاجمهم أحد أمين أن هؤلاء وأخص منهم الخوارزمى لا يكتبون فى شرح فكرة مصيئة أو يدافعون عن مبدأ أو رأى فى رسائلهم تلك . . بل هم يكتبونها من أجل الفن . . والخوارزمى كان معلماً أبناء الجيل . . فهو يحاول بطريقته هذه أن يجمع لهم جميع صور التعبير الستى يمكن استخدامها فى فكرة من الأفكار وكأنه يحسب أن مهمته ليست هي أن يعبر عن معان بل أن يعبر عن أساليب يحفظها الطلاب . ( ٢ )

ثم أن طبيعة الرسائل الاخوانية ليست كطبيعة الكتب الأخرى التى تحتاج الى التركيز على الأفكار ويانها . . وقد سبق أن ذكرنا أن هذه الرسائل الاخوانية يمكن أن نعتبرها جنساً أدبياً من أجناس النثر العربى اخترعه كتاب القرن الرابع الهجرى أو طوروه ، وجعلوا غرضهم فيه ابراز مقدارتهم على التعبير الجميل المزخرف والتقيد بأفانين البديع وأساليب البلاغة المتعددة ، كما كانت المقامات فناً جديداً فى هذا المصر لها طابعها وطريقتها ،

لذا لا ننكر على كتاب تلك الطريقة لأنها هي التى تميزها عن غيرها من الأجناس الأدبية ، فمن أراد أن يقرأ هذه الرسائل ليرى ما فيها من أفكار ومعان فقد أخطأ الطريق . . ومن قرأها ليستمتع بما فيها من ذخيرة لغوية ومقدرة بلاغية وتعبير جميل منق بحيث يعجب كيف استطاع هذا الكاتب أن يوشي هذه الرسائل بكل هذه الافانين ، فذلك هو ما أراد كتابها أن يظهره وان بالقوا فيه الى درجة التطرف .

( ١ ) ظهر الاسلام ٢ / ٩٨٠

( ٢ ) الفن ومذاهبه فى النثر ص ٢٣٦ - ٢٣٧

( ٣ ) المبالغة والتوهيل : كما رأينا في المثال السابق ، فقد بالغ في مدح قصيدة تلميذه تلك الى درجة لا تحتمل ، فبالرغم من أن المبالغة تعتبر من فنون البديع التي يحلّى بها الكلام فان الخوارزمي يبلغ بها أحيانا حد التوهيل ، مثل قوله : " فلان قد أبطأ علي فليت شعري الريح اقتلعت أم الأرض ابتلعت ، أم الأفاعى نهشته أم السباع افترسته ، أم الضبول أغوته ، أم الشياطين استهوت ، أم أصابته باثقة ، أم أحرقت صاعقة أم أنهار عليه جرف شفير أم جفت يداه ، أم أقعدت رجلاه ، أم ضربته الجذام ، أم أصابه البرسام ، أم جمش غلاما فقتله الغلام ، أم تاه في البر ، أم غرق في البحر ، أم مات من الحر ، أم سال به سيل راعب ، أم وقع فيه سهم من سهام الأجال صائب ، أم عمل عمل آل لوط فأرسلت عليه حجارة من طين مفضود ، مسومة عند ربك وماهي من الظالمين ببعيد " ( ١ ) .

كل هذه التهويلات والترادفات والرص الصجيب ليقول لنا ان فلانا تأخر علي . . وأظن أن فلانا أنهى مهمته ورجع قبل أن ينهى الخوارزمي عباراته المترادفة تلك . . وانظر الى ( أم ) كم مرة يكررها ؟ على أن هذه خاصية دقيقة عند الخوارزمي : اذا أمسك " بأم " أو " همل " لم يكذب يفلتها ، فما أشبهه في ذلك بأبي عثمان الجاحظ .

وهذا نموذج آخر لمبالغاتة وتهويلاته . يقول في إحدى رسائله :  
 " ولئن أصبحت كل أيام الزمان صائما وكل لياليه قائما شكرا لله على سلامته ثم تصدقت بعد ذلك بعدد نخيل البصرة وأجر الكوفة بل بعدد رسائل الدهناء ، ونجوم السماء ، بل بعدد العالمين ، وعدد نبات الأرضيين . . .

لم أكن وفيت النخسة على مبرها ولا قدرتها حق قدرها . (١) ولا تظنسه  
اكفى من التكرار بما أثبتته من نصه هذا . . . وإنما اختصرته خوفاً الاطالة . . فهو  
يريد أن يعبر عن فرحته بشفا\* صديقه ، وكانت تكفيه الجملة الأولى أو الجملتان .

أما أن يسرد لنا صفحة كاملة يردف الجملة بالثانية فى التعبير عن معنى

واحد ، فهذا أمر عجيب . . ولهذا اتهمه شوقى ضيف بأنه أدخل الى فنه ضرورياً  
من التصنع تتسرب الى صناعته وهي صناعة كانت تقوم على التصنيع ولكنها أخذت . .  
تظهر فيها بعض سمات التصنع . . وهو مذهب يقوم على التعميق فى الأسلوب والأداء (٢)  
غير أن هذا الحكم لا ينجر على كل رسائل الخوارزمى فله رسائل تعد من أبلغ رسائل  
عصره الاخوانية - وقد مرت أمثلتها - وذلك حين يكون صادقاً يكتب بروحـه  
وعاطفته .

(٤) الاكثار من الاشارات التاريخية والأدبية والعلمية . . فهو يحاول أن يجعل  
من رسائله عنواناً يشير الى اتساع ثقافته ومحفوظه واحاطته بشتى العلوم ،  
وكأنه أراد أن تكون هذه الرسائل مرجعاً لطلاب العلم الذين كانوا يتوافدون  
عليه ، ويحجبون بعلمه وسعة ثقافته . . وأكبر مثال على ذلك رسالته الى  
البيهى (٣) ورسالته الى جماعة الشيعة (٤) وانظر الى قوله : " ولو  
كنت أحمد بن يوسف فى البلاغة وعبد الحميد بن يحيى فى اتساع الكتابة ،  
وجعفر بن يحيى فى الاختصار ، وأبا الربيع فى التوسع والاكثار وأبا العينا\*  
فى الحارضة ، وأبا المقاهية فى البديهة ، وابن المعتز فى التشبيهات  
وأبا نواس فى الخمريات والطرديات ، والمصابى فى المعانيات، والتابضة

(١) نفس المرجع ص ٢٠ ، ٢١ وانظر بقية الأمثلة ص ٢٣ ، ٢٨ ، ٤٣ ، ٥٨ ، ٦٣ .

(٢) أنظر الفن ومذاقه فى النشر ص ٢٣٨ . (٣) انظر رسائل الخوارزمى ص ١١٣-١٢٣ .

(٤) نفس المرجع ص ٧٦ - ٨٣ .

فى الاعتذارات ، وصريح الفوائى فى الاستمارات ، والفرزدق فى الفخرىيات  
وجبرى فى المهاجاة ، وقلبت فى المخاطبة صمصمة بن صوحان ، وقامت فى  
الفصاحة خالد بن صفوان ، ونطقت ببيتمة ابن المقفع مرتجلا وأثيت بمجوز آل رقية  
مبتدعا ، ومذراة آل خارجة مقتضبا وضرب بنى الثل فى المقامات لابسحبان  
وائل .

وحفظت حفظ الشعبى ، وحاضرت محاضرة ابن القرية النمرى ، وأبدعت  
ابداع أبى تمام الطائى . . وصنفت تصنيف الجاحظ فى الجد والهزل ، ومهرجت  
الأصمى رواية ، وزيفت أبا عبيدة حفظا ورواية ، وأخذ عنى بطليموس علم الهيئة  
وأرسلا طاليس علم الفلسفة ، ولبنياس باب الطلسم والحيلة ، واختلفت الى الهند  
فى تعليم الحساب ، ودرس على أبو عثمان المازنى علم التصريف والاعراب ، واقتبس  
منى الخليل عروض الشعر . . وضرب على قالب خطى خط ابن مقله ، وتوارث . .  
الكتابة أهل بيتى كما توارثها بنو ثوابة ، وألميت على ابن الكلبي شجرة النسب  
وعلى أبى عمرو بن العلاء أيام الحرب ، ثم حملت بعد هذا كله على أن يمضى بسى  
فى عتاب الاخوان لسانى . . لقصر عن ذلك عنانى . (١) فهو واضح أنه يستعرض  
ثقافته ، ونراه ملما حتى بعلم اليونان من فلسفة وهيئة . . وغيرهما .

(٥) كثرة ضرب الأمثال فى رسائله : فهو من أقدر الكتاب فى عصره على ذلك  
حتى أن الشعابى جمع الأمثال الواردة فى رسائله فى فصل مستقل (٢) ، ولا  
أظنه أحاط بكل ما ورد منها فى رسائله ، ولعل توسمه فى هذه الخاصة  
يرجع الى سعة علمه واطلاعه ، وكثرة حفظه وتأليفه فى هذا الفن .

(١) أنظر رسائل الخوارزمى ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٢) أنظر الهتمة ١٩٤/٤ - ١٩٨ وانظر أيضا كتاب سحر البلاغة ١٩١ - ١٩٥ .

كما نجد في رسائل الخوارزمي التضمين من الشعر ولكن لا يصل تضمينه للشعر ، استتماله للأمثال ، كما أنه أحيانا يضمن رسالته أبياتا دون الاشارة الى قائلها ، فقد تكون له وقد تكون لغيره .

كما نجد فيها الاقتباس من القرآن على أن هذا ليس خاصا به . وهناك خاصية يمكن أن يكون الخوارزمي زاد فيها على كتاب عصره تلك هي طريقته في حل الشعر ، فمن ذلك قوله :

” وكيف أمدح الأمير بخلق صن به الهواء ، وامتلأت به الأرض والسما ، وأبصره . .  
الأعشى بلاعين ، وسمعه الأصم بلا اذن ، فهو من قول أبي الطيب :

تنشدنا أشواقنا مدائحهم \* بالأسن مالمهن أفواه  
إذا مررنا على الأصم بهيما \* أغفته عن مسميهه هنيئا

وقوله : ” ولقد تساوت الألسن حتى حسد الأبيكم ، وأفسد الشعر حتى أحمده الصم ” وهو من قول أبي الطيب :

ولا تبال بشمر بعد شاعره \* قد أفسد القوم حتى أحمده الصم<sup>(١)</sup>

وهذا كثير جدا في رسائل الخوارزمي<sup>(٢)</sup> وهو ناتج عن كثرة ما يحفظ من الشعر.

على أنهم لا يجدون في هذا غضاظة ، فالخوارزمي يقول في إحدى رسائله :  
” وجلست بين الداوهرين ، بين آل الجراح وآل ثوابية ، وبين بني الخصب وبني مقلية . . وحشرت من الآخرة ابن المقفع البصرى وسهبل بن هارون الفارسى ، والحسين بن وهب الحارثي ، ووضعت عن يميني عهد أردشير بن بابك وعن يساري كتاب التبيين والبيان . .

(١) الصبح المنبى ص ١٦٥ ، ١٦٦ وانظر المهذب ص ٢٤٧ وورقة ٢٤ .

(٢) انظر رسائل الخوارزمي ص ٤٧ .

فمازلت أسرق من هذا كلمة وأطر من ذاك فقرة ، وأستصير من هناك نادرة  
 وثيقة ، أغصب الأحياء على بيانهم ، وأنهب الموتى من أكتانهم . (١) ، وهذا  
 دليل على احتفاله لتلك الرسائل والجهد الذي يبذله فيها ، والخوارزمي يمد  
 من أقدر الكتاب على الوصف . . وذلك لكثرة حفظه الذي أشرف في أدبه ، فقوى  
 أسلوبه ، وتلون خياله ، (٢) وله مقدرة على الكشف عن بواطن النفوس ومعالجتها  
 فان أراد أن يسكنها فعمل ، وان أراد أن يفزعها كان له ذلك .

كما نجد في رسائله أنة الحزن والاشمى . . ذلك أنه صارع الأيام فانتصرت  
 عليه في مواطن كثيرة ، وكانت آماله أكبر مما نال في دنياه . . ولذلك نجد داء  
 الشكوى والتذمر يهاجم رؤساء عصره ، وينتقد ويذم أوضاع زمانه .

وهذه المعاناة لأعيا الحياة ومكابدة مصائبها أملت عليه الحكمة ، وما ضرب  
 الأمثال في رسائله إلا نتاج ذلك . . ولعل في تعاسة الأديب أكبر فائدة للأدب  
 لما تجر به على لسانه من الحكم والنواعظ . . فالأديب كالشمعة تحرق نفسها  
 لتضيء للآخرين .

ومن خصائصه . . الجد في القول ، وقلما يطرق باب الهزل ، ولذلك  
 عاب على أهل زمانه اشتغالهم به عن الجد . . ويمكن ملاحظة هزله في وصفه  
 لبستان (٣) ودخوله بعض المدن على حصار (٤) على أنه ضحك أشبه بالبكاء .

ومن خصائصه ، اقتصار رسائله على مآربه الخاصة ، من سفارة بينه وبين

وجهاء عصره ، أو طلب نوال ، أو عتاب أو تمزية .

(٢) أنظر النشر الفنى ٢/٣٢٤ .

(١) رسائل الخوارزمي ص ٢٢

(٣) انظر رسائل الخوارزمي ص ٧-٨

(٤) انظر نفس المصدر ص ٦٣ .

وهذا كما يقول زكى مبارك : أخطر مقتل فى تلك الرسائل التى تعد من سن  
 نخائر الأثب الصرى ، ان أنه لم يهب شطرا من منشوره للدفاع عن  
 فكرة فلسفية ، أو نزعة وجدانية ، ولم يرفع الأثب الى أفق من آفاق الحب  
 والمجد والاخلاص ، ولم يسم به الى سماه الفن الخالص الذى ينسبنا أوضار  
 المادة ، وينقلنا الى عالم الأرواح ، وكل مانجح فيه أنه أشمرنا بوجوده . (١)

وشفع للخوارزمى فى ذلك أن هذا هو طابع الرسائل الاخوانية  
 كما سبق أن ذكرت . . وهو حين يخرج عن هذا الطابع ، يخرج عن هذه  
 الدائرة الضيقة كما رأينا فى مقدمته للأمثال .

كما نجده يهتم بالمعنى ، ويدافع بالحجة ويعتمد على الفكرة فى  
 رسائله المتبادلة مع بديع الزمان الهمذانى .

---

انظر النشر الفنى ٢ / ٣٣٥ .

---

=====  
 \*\*\*

### الفصل الثالث

#### الشعر

حظى الشعر العربى فى القرن الرابع الهجرى بأعلام الفحول من أمثال  
أبى الطيب المتنبى ، وأبى فراس الحمدانى ، والشريف الرضى وأبى العلاء المعرى  
غير أن الملاحظ أن البيئة الفارسية ، التى قضى فيها الخوارزمى معظم أيام عمره  
لم يشتهر فيها شاعر يصل الى مستوى من ذكرنا . . فأغلب الشعراء المشهورين انما  
كانوا من بيئات أخرى كالشام والعراق . . وغيرها .

ولعل هذا عائد الى سيطرة الروح الفارسى على الاقاليم الشرقية من العالم  
الاسلامى . . فأغلب سكانها من الفرس وحكامها أيضا كانوا فرسا . . وان كانوا  
يحكمونها باسم الخلافة العباسية . . كما أن أغلب من ظهر فيها من الشعراء  
والادباء هم من أصل فارسى ، وان كانت ثقافتهم عربية ولكنهم كانوا يتكلمون لغتهم  
فى أحاديثهم الخاصة .

فطغى بهذا الروح الفارسى وأخذ الادباء يراعون فى أدبهم الذوق والعرف ،  
الاعجمى ، لانحساب الذوق العربى . . .

وان كنا نحفظ لهؤلاء الحكام الفرس بوجهين وغيرهم ، عدم تعصبهم لآداب ،  
آبائهم فقد بقيت الآداب واللغة فى هذه البيئات عربية رغم أن اللسان العامى فارسى  
ولعل الذى منعهم من التعصب ضد اللغة العربية وآدابها أنهم كانوا يحكمون شعبا  
مسلميا يحب العرب ولغتهم وآدابهم لأنها آداب الاسلام ولغة القرآن .

مع ملاحظة أن الأدب الفارسى كان يمارس دوره فى هذه البلاد الى جانب

الادب العربى (١)



يدل على ذلك قول صاحب " مدحت بما ءة ألف قصيدة عربية وفارسية ( ١ ) " وقد ظهر في بلاط السامانيين شعراء ينظمون باللغة الفارسية الى جانب الشعراء الذين ينظمون بالعربية . . أمثال الرودكى والذقيق ( ٢ ) . ومن هنا كان لأدب هذه البيئات ( نثره وشعره ) طابع خاص

يثل ذوق سكانها من المعجم ويبتعد عن الذوق والروح العربي الخالص. الأديب  
فمال الى اللبونة والصنعة والزخرف المبهرج ، حتى كأن الأديب وهو ينشئ قصيدة أو رسالة إنما ينسج بقلمه قطعة سجاد مزركشة ، أو يرسم به أشكالاً ورسومات على قطعة خزفية — وهى الصناعة التى عرف بها سكان هذه الأقاليم ( ٣ ) — ومن ناحية أخرى . . خضع الأديب لحكامهم حتى فى فكرهم ونتاجهم لاستملائهم وحاجتهم الأديب اليهم . . وكأنهم لا زالوا يؤمنون بما كان يؤمن به حكام الكاسرة من أن فيهم جزءاً الا هيا ، ولهذا يجب أن تتأثر الرعية اليهم — بما فيهم الأديب — بعضين التقديس والخضوع . ومن هنا وجدنا الخوارزمى يصطدم بهم فى بدء حياته حينما كان ، يحاول التمرد على هذا العرف . . وأحياناً نجده يخضع لهذه العادة فيتعلق ويقول لمدوحيه ما يرضيه — كما مر معنا فى بعض رسائله .

فالأديب أمام هؤلاء الحكام من الفرس ليس له شخصية مستقلة ، وبالتالى ليس له فكر حر أو رأى مستقل فكان أغلب أديبهم أدب زخرف وصنعة ، وليس أدب فككرة وفلسفة ، وليس أدب مبدأ أو قضية فانصب اهتمامهم على الناحية الشكلية فأجادوا فيها كما أجادوا فى أساليب البلاغة وافتنوا فى استخدام الالفاظ والتلاعب بها ، حتى

( ١ ) الوعاة ١ / ٤٥٠ وانظر معجم الأديب ٦ / ٢٦٣

( ٢ ) انظر الدويلات الاسلامية فى المشرق ص ١٩٦ ، ١٩٧

( ٣ ) انظر تاريخ الحضارة الاسلامية فى المشرق ص ١٣٥ وطبعدها .

أدى بهم الأمر إلى اختراع المقامات التي تعتبر صورة لا جادتهم للناحية الشكلية الفنية في الكتابة والشعر .

والخوارزمي أحد أدباء هذه البيئة ، فرغم أنه طاف ببلدان كثيرة وعاش مدة من عمره في بلاط سيف الدولة بالشام فإنه بقي مرتبطاً ببيئته التي نشأ وتعلم فيها ، وقضى حياته بين ربوعها . فكان أدبه يمثل هذه البيئة . . .  
وكان من أكبر شعرائها ان لم يكن أكبرهم — لانخفاض مستوى الشعر في هذه البيئة عن غيرها كما ذكرنا —

ومن هنا استحق أن يدعى شعره ويهتم به باعتباره أحد شعراء المشرق الاسلامي المشهورين . . .

وقد أجمع لدى منه ما يمكن أن يكون ديواناً ، ان أن ديوانه لا يزال مفقوداً أو في حكم المفقود . وسوف أفرد لشعره دراسة خاصة — اذا قدر لي ذلك — ، وسأثبت منه ههنا بعض المقطوعات التي تعد نموذجاً لاغراض شعره . . . وهى المقطوعات المتناثرة التي عثرت عليها في أصهات الكتب . وهذا احصاء تقريبي لما وجدته من شعره في الاغراض الآتية :

١ —	في المدح	=	٢٤٠	بيتاً
٢ —	في الهجاء	=	١١٣	بيتاً
٣ —	في الرثاء	=	٨٥	بيتاً
٤ —	في الوصف	=	٧٥	بيتاً
٥ —	في الغزل	=	٩٥	بيتاً
٦ —	في الفخر	=	١٦	بيتاً
٧ —	في النصائح والحكم	=	٣٠	بيتاً عدا ما ورد من شعره في الاغراض الاخرى .

المدح : استولى هذا الغرض على أكثر شعر الخوارزمي الموجود بين أيدينا . .  
 ذلك أنه كغيره من الشعراء انتجع بأدبه الامراء والوزراء والحكام لينال  
 إعطياتهم وتقديرهم فكان طبيعياً أن يكثر منه ، ومن ذلك قوله  
 في أبي نصر الميكالي ( ١ ) :

صنعت بعيني صنع ساكنها بسى	تلك الديار فريسة الاحقصاب
وزح الركاب براح الـركاب ( ٢ )	والى الامير ابن الامير تواهقت
وغدو لعاجتهم غد وغراب	لبسوا الدجى لبس الغراب لريشه
فضلات عتب فى خلال عتباب	والفجر يظرف فى الظلام كأنه
ونواله فوضى بغير حساب	طلبوا امراً أفعاله محسوبة
ولغيره أصبحن كالاللقاب	غدت المدائح وهى أسماء لله
لا أنها تأبى على الخطاب	والمكرمات كثيرة الخطاب الـ
شرى القديم مجازف الحساب	متهم الحجاب مكتئب الجدى
خطأ العدو رده بصواب	شيم أرق من الهوى وألذ ممن
لنفذن فى الايام غير نواب	وعزائم لو كن يوماً أسهما
نارية الاقدام والالهباب	مائة الهركات الا أنهما
ويتهن بين شوية وعقاب	يخطرن بين سياسة ورتاسية
وقوالب الاسماع والالباب	قد أصبحت الفاظه صور النهى
حل المومل منك ألف جناب	واذا حللت له جنابا واحدا

( ١ ) كتاب اليمينى المعروف بكتاب العتبى مخطوط ورقة ١٥٤ - ١٥٦

( ٢ ) تواهقت الركاب : مدت أعناقها فى السير وتبارت فيه أساس البلاغه مادة "وهق"

وزح الركاب : أى الركاب التى انهكها التعب

والخوارزمي يجرى في مدهه هذا لا بن نصر مجرى فحول الشعراء القدامى  
فقد بدأها بذكر الديار وتذكر سكانها . . ثم أن نسجها واختيار الفاظها  
وعنق معانيها وحسن استعاراتها يجعلنا نمتدح له بالاجادة ، فمن لا يمجبه  
تصويره لبوادر الصباح في الظلماء ، ببقايا العتب والمواخذة في ثنايا رسالة أو ،  
قصيدة عتاب ؟ وهو تصوير من خبر النفوس وعرف أسرارها . . أو تصويره لشميم  
مدوحه بافحام الخصم لخصمه حين يرده عن خطئه بالحجة . . وهو تصوير من  
واقع البيئة التي كانت تعج بالمناظرات ، والمحاورات . . والانتصار في هذه  
المعارك الكلامية لا يقل عند القوم عن الانتصار في ميادين الحرب . . والأبيات  
كلها كنايات واستعارات وتشبيهات لطيفة . .

ويقول فيه من قصيدة أخرى ( ١ ) :-

زف المنام الّو طيف خيالـه	لو أن طيفا كان من إبد الـه
لو أن هذا الدهر يشكر لم يهدع	شكر الأمير وقد عذا من آلـه .
لا ينسف الالحاح نائله ولا	سؤل أمرى ينهاه عن إسألـه
الوفر عند نواله والنيل عند	سؤاله والموت عند صيالـه

.....

تتجمع الآمال في أموالـه	تتفرق الأموال في آمالـه
-------------------------	-------------------------

.....

وله علوم لو قسمن على الورى	ما زاد عاقله على جهالـه
وغلائق لو أنهن كواكب	أضحى السها في الضوء مثل هلاله

وفصول قول هن أعذب سمعنا	من راحة الشفول من اشفاله
سمح البديهة ليس يمساك لفظه	فكأنما الفاظه من ماله
وكأنما عزماه وسيوفه	من حد هن خلقن من اقباله
متبسم فى الخطب تحسب أنه	من حسنه مثلثم بفعاله

.....

ونلاحظ أن مطلع قصيدته هذه غير لائق بالمدح إذ أن الطيف طيف المشيق (١) إلا إذا كان القوم قد تواضعوا على مثل هذه المعانى والاساليب (٢) . . . ومع ذلك فالقصيدة جيدة فى بابها قوية فى سبكها وقد مدح الخوارزمى بالصفات المحمودة التى لا تتوفر الا فى رجل حاز الفضائل كالميكالى .

وله فى المدح مقطوعات قصيرة عدت مضرب المثل كقوله (٣) :

واذا طلبت الى كريم حاجة	فلقاؤه يكفيك والتسليم
واذا رآك مسلما عرف الذى	حملته فكأنه ملزم

(١) انظر طيف الخيال ص ١٤ وما بعدها .

(٢) كقوله فى الصاحب يتشبه كما يقول صاحب كتاب مصارع العشاق ١/٩٠

يفل غدا جيش النوى عسكر اللقا	فرأيك فى سح الدموع موفققا
ولما رأيت الالف يعزم للنوى	عزمت على الاجفان أن تتفرقا
وغد حجتى فى ترك جسمى سالما	وقلبى ومن حقيهما أن يخرقا
يدى ضعفت عن أن تخرق جيبيها	وما كان قلبى حاضرا فيمزقا

وانظر البيهية ٤/٢١٠ وانظر له مثالا أوضح من هذا : أعيان الشيعة ٥/٢٦٢

(٣) الوساطه بين المتبى وخصومه ص ٣٧٧ والتبيان ١/١٩٨

أو قوله ( ٤ ) :

رأيتك إن أيسرت خيمت عندنا      لزأما وإن أعسرت زرت لما مـ  
فما أنت إلا البدر إن قل ضوءه      أغب وان زاد الضياء أقامـ

وقوله — ويعد من حسن التخلص ( ١ ) :

لم يبق في الأرض من شيء <sup>أ</sup> كتاب له  
فكم هاب انكسار الجفن ذى السقم  
أستغفر الله من قولي غلطت بـ  
أصاب شمس المعالي أمة الا مـ

ويقول من أخرى ( ٢ ) :

لفير صحك الرأي السديد      وغير فؤاده القلب الجليـ  
وفى الثوبين منه مستهام      هواك على لواظته قيوـ  
رمى بعزبه عن قوس وجد      وباع فؤاده فيمن يزيـ

ورأى بديع الزمان أنه سارق لمعناها وقد استغرق في نقدها وبيان مصادرها أكثر  
من ثلاث صفحات .

( ٤ ) زهر الآداب ٣٩٩/١ ، امرأة الجنان ٤١٦/٢ ، الوافي ١٩٣/٣ ، التمثيل  
والمحاضرة ص ٢٣٢ وأسرار البلاغة ص ١٢٤ وفيه " أراك اذا أيسرت " ويعلق  
الجرجاني على البيتين بقوله : إن المعنى لطيف وان كانت العبارة لم تساعد  
لان الاغياب أن يتخلل وقتي الحضور وقت يخلو منه . . وليس كذلك القصر  
ان أنه يطلع كل ليلة .

( ١ ) معاهد التصيي ٢٢٧/١ ، وانوار الربيع ٣٧٠/٤

( ٢ ) رسائل بديع الزمان ومقاماته " مخطوط " ورقة ١٠٢ — ١٠٤

وقوله ( ١ ) :

وكننت اذا تهديت لغزوقوم  
تبرأت الحياة اليك منهم  
وأوجبت السياسة أن يبيدوا  
وجاء اليك يعتذر الحديد  
وظلقت الجماجم كل قحف  
وأنكر صحبة العنق الوريد ( ٢ )

الهجاء :

وهو من الاغراض التي قصر فيها باع الخوارزمي ، وقد بيدو عجبيا ألا يوجد في هذا الفن تجويده في فن المديح . . . ان كنا نتوقع أن ذلك مجاله الذي يصل فيه ويجول ذلك أنه كان محاطا بالاعداء من كل جانب . . . لم يسلم من مصادقة الوزراء . . . وقد دخل السجن بسببهم مرارا . . . فكان الاخرى أن تشير هذه الحوادث شاعريته بالهجاء ليرد على اعدائه ويدافع عن نفسه غير أن ما وصلنا من شعره فيه لا يعتمد على مقطوعات قليلة أشبه بالدعابة . . . وقد يكون في ديوانه غير ما وجدنا . وهذه المقطوعات سهلة بسيطة فيها بعض الاقذاع والمجون . ولعل هذه الاهاجي المقذعة والمؤذية للذوق مستلحة في زمانه ان أننا نجدها في معظم شعر أدباء تلك الفترة ومن أهاجيه قوله في ابن عباد ( ٣ )

لا تحمدن ابن عباد وان هطلت  
كفاه بالجوذ سحا يخجل الديماس

فانها خطرات من وساوسه  
يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما ( ٤ )

وهو تعليل ذكي لتشويه كثرة نوال الصاحب بن عباد وقال فيه ( ٥ ) :

( ٦ ) شرح الواحدي ص ٥٤٥

( ٢ ) القحف : الجمجمه . . . أساس البلاغه مادة " قحف "

( ٣ ) مرآة الجنان ٢ / ٤١٧ ، وفيات الاعيان ٤ / ٤٠٢ ، معجم الادباء ٦ / ٥٦

أنوار الربيع ٢ / ١٦٠ ، نزهة الالباء ص ٢٢٦

( ٤ ) يذكر صاحب وفيات ( الاعيان أن الخوارزمي نقل هذا المعنى من قول : أبي

القاسم معاويه بن سفيان الاعمى

كفاه غزرا ولا تدممه ان زرمسا

لا تحمدن حسنا بالجود ان مطرت

ولا يجوز بفضل الحمد مغتسما

فليس يمنع ابقا على نشب

يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما ٣ / ٤

لكنها خطرات من وساوسه

( ٥ ) البيهية ٣ / ٢٨٢

صاحبنا أخواله عاليه  
وان عرفت السر من دائسه

لكنما عرفت خاليه  
لم تسأل الله سوى العافيه

ويقول في رجل اسمه "أبو سميد" (١):

أبو سميد له ثوب نفيس  
فان جاوزت كسوته اليه

ولكن تحت ذاك الثوب خريه  
"فليس وراءه عباد ان قريه"

ويقول في هجاء أهل بلد (٢):

فان أسكن ببلدة "ابن شهر"  
أصفرها وان عظمت، ولكن  
وفرسان ولكن في الحشايا  
صغار بالمطالب، والسجايا  
وليس الموت قبل الموت الا  
وليس الخلد قبل الخلد الا

فان البدر ينزل في الظلام  
لها أهلون ليسوا بالعظام  
وأجواد ولكن بالكلام  
وان كانوا كباراً بالعظام  
قبول الاكرمين ندى اللوام  
أيادي للكرام لذي الكرام.

وقال في شريف (٣):

شريف فعله فعل وضمي  
عوار في شريعتنا وفتي

دنى "النفس عند ذوى الجدود  
علمنا للنصارى، واليهود  
لتنعطف القلوب على يزيد

كان الله لم يخلق اله الا

وقد حاول الخوارزمي - في حديثه التمرش باللحم وهجاه ليشهره على مهاجائه ولكنه  
لم يجبه (٤):

الرشاه:

وهو من أهم الاغراض التي جود فيها الخوارزمي، وظهرت فيها مقدرته  
الشمرية، ولعل هذا يعود لما يتمتع به من الوفاء والحفاظ على الود، رغم ما يصفه

(١) ديوان المعاني ٢/٢٠٩، وبدائع الملح "مخطوط" ورقة ٤٢ وشفاه الفلطي ٤/٢٣٣

(٢) البيتية ٤/٢٣٢ - ٢٣٣ وبدائع الملح ورقة ٨٩، وقد انفرد بالبتين الاخيرين.

(٣) البيتية ٤/٢٣٠ - ٢٣١

(٤) انظر نفس المرجع السابق ٤/٩٦.



به البعض من عدم رعاية الاخاء والاستقرار على المودة ، وقد يصدق قولهم هذا على علاقاته بالوزراء والولاة . ولكنه لا يصدق على من تربطه به رابطة أخوية وصداقة مخلصه .

وله بعض المرائى تتجلى فيها حرارة العاطفة ، والصدق ، والمعاملة ، ان أن هذا الفرض من الموضوعات التي يصدق فيها الشاعر ، لأن واقعه اليه هو الوفاء للنيت وما يشمر به لفقده من الحزن والاسى .  
ومن مرائيه لركن الدولة ( ١ ) :

أست ترى السيف كيف انثلم      وركن الخلافة كيف انهدم ؟  
طوى الحسن بن بويه الردى      أيدرى الردى أي جيش هزم ؟

ومنها

طويل القناة قصير المعدات	نميم المداة حميد الشيم
فصيح اللسان بديع البيان	رفيع السنان سريع القلب
يكمل الرجال بأقدارها	ويرعى الهموات رعى الحرم
جواد عليهم يخيل بهم	إذا ساء خص وان سرعهم
فياد هر سحقا ولا تحتشم	فقد ذهب الرجل المحتشم
أهين جرى ملكه في الملوك	ورد به الله ملك العجم
وخط البنان على قبره	بخط البلى وبنان السقم
إذا تم أمرنا نقصه	توقع زوالا إذا قيل تم .

وتظهر مقدرة الخوارزمي في اظهار المحاسن التي يجب توفرها في الحاكم الصالح . . كما نجد ه يظهر امتنان العجم واغتباطهم بعد أن رجعوا لحكم بلادهم . . وشراه

( ١ ) نفس المرجع ٢٢٦ / ٤ وتكملة تاريخ الطبرى ٢٢٩ / ١ على اختلاف في ترتيب

يستخدم فيها أنواع البديع ، يحلى بها أبياته ، وقد أحسن في اختيار القافية التي تناسب النغم الحزين .

وقال في رثاء أبي سميد الشيبى ( ١ ) وهو من أشجى وأبلغ مرثيه ان لم تكن أشجاءها وأبلغها . . فقد نحا فيها نحا جديدا جمع فيه بين التهنئة والتمزية وهذا النحو قلما نرى له نظيرا في الأدب المربى عبر العصور فقد كان أبو سميد هجاء وأساء اليه ( ٢ ) ، ولكنه يحترمه لعلمه وفضله فلما توفى أتاه من يهنئه بموه فكانت هذه القصيدة الجيدة نتاج هذه النفس التي تتنازعها عاطفتان . . فهو في هذا الموقف أكرم من معاصره بديع الزمان الذي اظهر شماته في رثائه له .

وهذه قصيدة الخوارزمي ( ٣ )

أيدرى السيف أى فتى يبئد ؟	وأية غاية أضحى يريئد ؟
لقد صادت يد الايام طيرا	تضيق به حباله من يصيئد
وأصبح فى الصعيد أبو سميد	ألا ان التراب به سميئد
وقد كانت تضيق الأرض عنه	فلم وسعت لجثته اللحوود ؟
بلى من الثرى قلبا رهيبا	فأعدى الترب فاتسع الصميد
فلا أدرى أأضحك أم أبكى	وتهدمنى المنية أم تشيئد ؟
صديق قد فقدناه قد يئم	وشكل قد وجدناه جديئد
مصاب وهو عند الناس نعمسى	ونحين وهو عند الناس عيئد
تهنئنى الأنام به ولكسن	تمزئنى المواثن والعشويئد
وسيف قد ضربت به مزار	فمن ضرباه بى لى شهوئد
فلما أن تهلل ظلت أبكى	وعندى بعد منه دم جسيئد ( ٤ )

( ١ ) انظر ترجمته في اليتيمة ٢٤٢/٤ وقد وصفه الثعالبي بأنه صاحب الجيشين وشيخ الدولتين ( السامانية والبويهية )

( ٢ ) فقد هجاء بقوله : أبوبكر له أدب وفضل ولكن لا يدوم على الاخاء موده اذا دامت لخل فمن وقت الصباح الى المساء ( اليتيمة ٤/٤ )

وصاحب كتاب نوار الملح " ينسب اليهتين للصاحب ( بدائع الطلح ورقه ١٦ )

( ٣ ) اليتيمة ٢٢٨/٤ - ٢٢٩ ( ٤ )

ومن عجب الليالى أن خصمى  
 وأن النصف من عيني جمود  
 إذا سفحت عليه دموع عيني  
 وآثار له عندى قبـاح  
 فنصف من مدامها سخين  
 فمن هذا رأى فى الناس مثلى  
 ومن نكد المنية فقد هـر  
 فذا هنا وقال : مضمـو عدو  
 يبيد وأن عزنى لا يبيد  
 وأن النصف من قلبى جليد  
 نهاها الحجر منه والصدود  
 يجمش بينها الرأس الحديد ( ١ )  
 ونصف من مدامها بسرود  
 أريد من المنى مالا أريد  
 تخالف فيه اخوانى الشهود  
 وذا عزى وقال : مضى وديـد

.....

شهدت بأن دهرنا عشت فيميه  
 وقالوا البحر جزرثم مـد  
 بكيت عليك بالعين التى لم  
 فقد أبكيتى حيا وميتا  
 ومث عقيدا فردا مبـد  
 فما لك قد جزرت ولا تمـود  
 تزل من سوء فعلك بنى تجـود  
 فقل لى أي فعليك الرشيد ؟

.....

لقد غادرتنى فى كل حال  
 فلا يوم تموت به مجيد  
 وما أصبحت الا مثل ضرس  
 ففى تركى له داء دوى  
 فلا تتمد اقامة رسم حـق  
 وانك أنت للسيف الحديد  
 وانك أنت للدنيا جميعا  
 أذم الدهر فيك وأستزيد  
 ولا يوم تمين به حميد  
 تأكل فهو موجود فقيـد  
 وفى قلعى له ألم شـيد  
 وانك أنت للشـىء البعيد  
 وانك أنت للعلم السديـد  
 ولكن ليس للدنيا خلـود .

فانظر كيف سما خلق الخوارزمي عن أن يشمت برجل قد مات وان كان خصمه ،  
وهذه سمة الأهورار من الرجال فمهما كان المتوفى عدوا للهي فإنه من سوء النية  
وخبث الطوية أن يظهر فرحه بموته لأنه قد مات وأنتهى ، وموته ينتهى العقد  
والكراهية ، ويحل محلها الحزن والألم فلا يبقى فى نفس الخصم من صفات خصمه  
الميت سوى صفاته الجميلة ، وقد حل به ما حل .

وله فى رثاء ابن العميد ( ١ ) :

يا دهر إناك بالرجال بصير	فلطالما تجتاحهم وتبـ
يا دهر غيرى من خدعت بباطل	وابن العميد مفيب مقبـ
الآن نادتنا التجارب طلقوا	دنياكم ان السرور غـ
يا دهر ظل لمغليبك فريب سة	رجل لعمري لو علمت كبـ
رجل لو ان الكفر يحسن بعده	هجرى القضا وأنب المقـ
أشكو اليك النفس وهى كئيبة	وأذم فيك الدع وهو غزيبـ
وأقول للمعين القزير بكأوها	خطب لعمري لو عميت يسـ
قدمت بعدك ميتة مستورة	قد ساقها لى موتك المشهـ
ودفنت فى قبر الهموم وضمنى	كفنان ضيق الصدر والتفـ
ضحكت اليك الحور ضحكك كما	وأفانك خيف أو أتاك فقـ
وضفت عليك ذبول رحمة زينا	والله بر بالجواد غفـ
وسقى ضربحك مستهل عمره	شهر ، وعمر النبات منه شهـ
جود ككفاك أو كمينى أودم	أجراه سيفك فى العدى شهـ
أهوى القيامة لا لشئى غير أن	ألقاك فيها والأنا م حضـ
وأحب فيك الموت علما أننى	بعد المات الى اللقاء نصـ

وهي من مراثيه الجيدة . . واضحة المعاني . . لا تحتاج الى شرح .  
 تمبر عن نفس مـ . . عة تبكى عزيزا عليها اختزمه الموت من موقع تعلم أنها اليه صائرة ،  
 فمأطفته هنا لا شك صادقة . . ولم يضعفها سوى البيت الأخير ، فعبارة . .  
 علما أنتى . . تعبير على لا شاعرى ، وأظن أن صحتها " علما أننا " ومع ذلك  
 فكلمة " علما " غير شاعرية .

وله قصيدة فى رثاء ( أبى الحسن المحتسبى ) لا تغل جودة عن رثائه  
 فى ابن العميد يمكن مطالعتها فى يتيمة الدهر ( ١ ) :

الوصف :  
 — وقد أجاد الخوارزمى فى هذا الفرغ . فوصف لنا ما وقعت عليه غينسه  
 من مظاهر الطبيعة وان كان وصفه يميل الى التظرف والسهولة كوصفه لانواع الاكل  
 أو بعض الكائنات القريبة كالسحفاة والضفدع . . .

ويمكن أن نسجل له أنه تعدى فى هذا الفرغ ، وصف الطبيعة الصامتة  
 الى الطبيعة المتحركة ، وان كنا نعتقد فيما وصلنا من شعره النفس الطويل  
 الذى نجده عند البحترى أو ابن الرومى أو ابن خفاجة أو الصنوبرى ، فكل ما  
 هنالك لا يتمدى الا بيات أو المقطوعات

قال يصف ضفدع ( ٢ ) :

أرقنى والديك لما ينطق	والليل فى سربال دجن مطبق ( ٣ )
لم يدم كشعاه بصبغ الغلى	صوت غريق نصفه لم يغرق
غصان بالما ولما يشرق	وجا حظ المين ولما يهترق

( ١ ) انظر اليتيمة ٢٢٩/٤

( ٢ ) محاضرات الادب ٤٠٥/٢ وبدائع الملح ورقة ٨ على اختلاف فى الترتيب وعدد ٧١

( ٣ ) الدجنة : الظلمة . . أساس البلاغة مادة " دجن "

وساهر الليل ولما يمشى سق      هو الغراب فى الخطى والمنطق .  
 جلد سلحفاة ووشب عقم سق      وصوت مخنوق ونفخ أشسرق  
 يد ملج الماء د ملج الحن سق      كنجديف ملاح غد أفى زورق

وقد استقصى صفات الضفدع فشبهه صوته تارة بصوت غريق يستنجد وهو بعد لم يفارق الحياة وتارة بصوت مخنوق ، وأخرى بصوت الغراب كما شبه مشيته بمشيتته ولعله أول من أكتشف التشابه بين صوت الغراب وصوت الضفدع كما يشبه جلده بجلد السلحفاة ، وتجديفه فى الماء بتجديف الملاح فى زورقه . . ولكنه استوفى وصفه هذا فى كثير من الابيات كما ترى .

ويقول فى وصف السلحفاة ( ١ ) :

بنت تقربد لنا من بعيد      مثلما قد طوى البخارى سفره  
 رأسها رأس حية وقسراها      ظهر ترس وجلدها جلد صخرة ( ٢ )  
 مثل فهد المطاردق به المط      رفعلت طرائق الطيب ظهره ( ٣ )  
 أو كما قد قلبت جفنه شرب      نقشوها بحمرة وبصفرة .  
 يقطع الخوف رأسها فاذا ما      أمنت قر رأسها مستقصره .

وما أجمل تصويره ادخال السلحفاة رأسها حين تسمع صوتا أو ترى أحدا ، بقطع الرأس . . فصور هذه الحركة من السلحفاة تصويرا متحركا جميلا .

ويقول فى وصف قثاء مرتجزا ( ٤ ) :

يارب قثاء برود المسود      در الحشا زمرد المجرد  
 قد التوى فوق الشرى الرطب الندى      كما تلوى أسود بأسود

( ١ ) الوا فى الوفيات ٣ / ١٩٤

( ٢ ) قراها : ظهرها . الترسم يتوقى به من مخزبات السلاح

( ٣ ) الفهر : حجر يدق به . ( ٤ ) محاضرات الادباء ٢ / ٣٤٤

ذى زغب وفيه لين الا جرد      كا لخد بين الطمحي والأمرد  
 كأنه فى اللون والتأود      صوالج ركين من زهر جرد  
 يكاد للين وللتعقود      تجنيه الحافظ الفتى قبل اليد

ما\* كطمم السكر الطمى بجزدى ،

ويقول فى وصف الطيب ( ١ ) :

بخور مثل أنفاس الحبيب      وطيب قد أخل بكل طيب  
 يظل الذيل يستره ولكن      تتم عليه أزرار الجيوب  
 اذا ما شم أنف من قلب      كأن الأنف جاسوس القلوب

وما أحسن تصويره لتأثير الطيب فى النفس الآتى عن طريق حاسة الشم بجمل

الأنف جاسوسا للقلب .

ويقول فى وصف الهريسة ( ٢ ) :

هل تشطون لتتوربة خنقــــــــــــــــت      من أول الليل حتى قلبها يجف .  
 كأنها وهى فوق الجام قد غرقت      فى دهنها قمر بالشمس ملتحف  
 أو درهم فوقه الدينار منطبق      أو لوح عاج على الزياب مكتشف

وهو كما ترى من الوصف المتحرك . . . فقد شبه تغطية القدر بالخنق ،

وحركة غطاءه بخفقان القلب . .

ومن أجمل وصفه ، وصفه للحمى الذى ينحو فيه نحواً لمتبى فى قوله :

وزائرى كأن بها حياءً      فليس تزور الا فى الظلام

( ١ ) نفس المرجع السابق ٢١٢ ، حلقة الكمية ص ١٥٢ البيتة ٢٣٩/٤ مع اختلاف الترتيب

( ٢ ) محاضرات الأدباء ٣٧٩/١

( ٣ ) البيتة ٢١٧/٤

يقول الخوارزمي من قصيدة كتبها للمصاحب ( ١ ) :

ولو أبصرت في أرجان نفسي	عليها من أبي يحيى زمام ( ٢ )
ولي من " أم ملدم " لكن يوم	ضجيع لا يلذ له منمام ( ٣ )
مقبلة وليس لها ثنايا	معانقة وليس لها التزام ( ٤ )
كأن لها ضرائر من غذائني	فيفضيها شرابي والطعام
إذا ما صافحت صفحات وجهي	غدا " ألقا " وأمسى وهو " لام "
إذا لرأيت عبدك والمنايا	تصبح به " تنبه كم تنمام ؟
وما استبلاك من بمدى أسير	يرض عظامه الحق العظام
ولا ترجيع كل خلف نمش	" أمحمول على النمش الممام ( ٥ )
ولا ترديد صب وهو بياك	سقيت الفيث أيتها الخيام
ولولا فقد وجهك لم أعبس	على ضيف يقال له الحممام
فما العيش لولا أنت طيب	ولا في الموت لولا أنت ذام ( ٦ )

فقد صور الحمى با مرأة تضاجمه ليلا ولكن لا يلذ له معها منام . . وصور  
عدم شهية للأكل والشرب أو للالام التي تضويه بمدهما . . وكأنها ضرائر لثك  
المعشوقة ،

الغزل :

ما وجدت من شعر للخوارزمي في هذا الفرض لا تجعله من المحبين المثمين  
مع أن له فيه قطما جيدة . . ولا ندرى هل جرب الخوارزمي الحب واكتوى بنارة

( ١ ) البيتية ٤ / ٧ / ٢  
( ٢ ) أبي يحيى — يطلق على الموت ، وزمام عهد ملزم : أساس البلاغة مادة " ذم "

( ٣ ) أم ملدم : هي التخبير .

( ٤ ) في البلاغة : التزه : أي عانقه . أساس البلاغة مادة " لزم "

( ٥ ) التضمين للناهفة

( ٦ ) ذام : من الذم



وقال شمرة فيه عن تجرية ، أم أنه قاله مقلداً فحسب ، ولئلا يقال أنه قصر في هذا

الغرض ؟

وان كان لا يسلم من الحب أديب مرهف الحس راقى الذوق يعجبه الجمال ويستهووه  
ومن شعره فيه ( ١ ) :

وشمس ما بدت يَبْلا أرتتـــــــــــــــــــــــــا      بأن الشمس مطالعها فضــــــــــــــــــــــــول  
تزيد على السنين ضياء وحسنا      كما رقت على المتق الشمــــــــــــــــــــــــول

وليس له جديد في هذين البيتين سوى ما ذكره من أن هذه الجميلة تزداد حسنا  
مع الايام والمصروف أن المرأة كلما كبرت نقص جمالها .

ويقول من أخرى وهو وصف حسبي . . . يصور لنا فيه صورتها رائعة من الجمال

القاتن ( ٢ ) :

جل من صور من ماء مهــــــــــــــــين      صوراً تسمى قلوب العالمــــــــــــــــين  
وأرانا قضا في كئــــــــــــــــب      تخجل الاغصان في قدولــــــــــــــــين  
وشفاها كهقاق أطيقــــــــــــــــت      من يواقيت على در شــــــــــــــــين  
بأبي من جدت بالنفس لــــــــــــــــه      وهو بالطيب على ضعفــــــــــــــــين  
ذكره عندي مقيم راهــــــــــــــــن      وفؤادي عنده ثاورهــــــــــــــــين  
ناعم ، بالوهم يد من غــــــــــــــــده      غير أن القلب صخر لا يــــــــــــــــين

ومثل قوله ( ٣ ) :

جلنا رأم شقيــــــــــــــــق      وجنتاه أم عقيــــــــــــــــق  
وسيوف أم جفــــــــــــــــون      تلك أم خمر عتيــــــــــــــــق

( ١ ) اليتمية ٢٠٩ / ٤ وخمس رسائل

( ٢ ) بدائع الطبع " مخطوط " ورقه ٤٤

( ٣ ) نفس المصدر السابق ورقه ٦٨

يرد في الفم أم شفـر  
وريق أم رحيق  
رشأ كلفنى فى حبـر  
ما لا أطيـق  
فكأنى وهـواه  
دقة الخصر الدقيـق

( ١ ) وقوله

وكم ليلة لا أعلم الدهر طيبها  
مخافة أن يقص منى لها الدهر  
سهاد ولكن دونه كل رقدة  
وليل ولكن دون اشراقه الفجر  
وسكر الهوى لو كان يحكيه لذة  
من الخمر سكر ، لم يكن حرم السكر  
ولما أدارت مقلة جاهليـة  
هلاك امرئ فى ضمن ثوبى لها نذر  
ومالت كأن قد سقيت خمر خدها  
وكيف يميل الخمر من ريقه خمـر  
حسدت عليها ناظرى إذ تحله  
كما تحسد الافلاك نمل " فناخسرو ( ٢ )

وأغلب شعره فى الغزل ، من هذا القبيل الذى لا تشعرفيه بالمعاف والنصون ،  
بل نراه يهتم بالصفات الحسية للمرأة ويصورها فى صورة المتعة والجمال المحسوس ،  
وكان يصف بنات عصره اللاتي كن يحضرن مجالس اللهو والبهنا ، ولا يميل الى  
المعاف الا حين يقلد الجاهليين فى غزلهم اسمه يقول ( ٣ ) :

أفرك يوم البين منى تبسـمى  
فشيمت سهما فى نفاوى بأسهم  
رويدك عهد القلب بالصبر بمدكم  
وحقك عهد النار بالبرد فافهم  
عذيرى من ضحك غدا سبب البكا ومن جنة قد أوقمت فى جهـنم  
زعمت بأنى قد سلوت وهـذه  
على ذى ، فدوى اجربى وتجربى  
وكى وأبكى وأظلمى وتظلمى

( ١ ) البيتمة ٢١١/٤

( ٢ ) فناخسرو : هو عضد الدولة ، انظر البيتمة ٢١٦/٢

( ٣ ) المضمون به على غير أهله ص ٢٦٥ - ٢٦٩ ونوادى الطلح ورقة ٧٧

فأنك لا تروين بيتا لشاعر  
سوى بيت " من لم يظلم الناس يظلم"  
تعلمت فعل الدهر ثم سبقته  
فأنساني التمييز فعل المصمم

وواضح أنه يقلد بقصيدته هذه قصيدة امرئ القيس التي مطلعها  
أفأظم مهلا بعض هذا التذليل \* وإن كنت قد أزممت صرفن فأجملسي  
بمعنى البيت الأول مأخوذ من قول امرئ القيس :

أفرك مني أن هياك قاطس  
وأنتك مهما تأمرى القلب يفعل  
ولا يفوتنا ما في هذه القصيدة من قوة السبك والالفاظ الجزلة وسمو المعنى  
.. وهكذا نجد الخوارزمي اذا قال على طريقة القدماء من الشعراء " يجيد ويبزر  
لكثرة حفظه لأشعارهم ومطالعة لدواوينهم . كما تلاحظ عفته وخضوعه لمحبيته  
والخوارزمي يعد عفيفا في غزله اذا ما تخين بمناصره من الشعراء ، واذا ما عرفنا أن  
عصره عصر مجون ولهو وفزل شان . ومن لطائفه قوله ( ١ ) وأستلحه أبو هلال وقال  
أظنه ما سبق اليه :

وقالوا أفق من سكرة اللهو والصب  
فقد لاح صبح في دجاك عجيب  
فقلت لهم كهوا الملام وأقصروا  
فان الكرى عند الصباح يطيب

الفخر :

في حياة الخوارزمي جوانب تشبه بعض جوانب حياة المتنبى ، فرغم أن البيئة  
التي عاش فيها وهي البيئة الفارسية - تضمحل فيها شخصية الاديب أمام مدوهه  
فان الخوارزمي حاول الخروج على هذا العرف ، ففخر بنفسه وفعاله . . . وقد رأينا  
أمثلة ذلك في نشره وسنرى أمثلة من شعره في هذا الفرع . . . ولعل هذا من  
الاسباب التي جعلت كثيرا من وزراء عصره يناوئونه المداوة ، من ذلك قوله ( ٢ ) :

( ١ ) ديوان المعاني ١٥٦/٢ ، ١٥٧

( ٢ ) حماسة الظرفاء ٥٣/١

وان أبصرتمنى فوق طـرف  
تروا شيخا حرونا جاهليا  
وفى يدي المهند تعرفونى  
يلين جانب القرن الحـرون ( ١ )

ويقول ( ٢ )

زائرکم يشكو - وقد جاءكم  
أنكرنوا عنكم - على زعمه  
غلظة بوابكم الخـادم  
فياله من عجب راءكم ( ٣ )  
لأننى بين بنى آدم  
من خلقوا أشهر من آدم

ويقول من أخرى ( ٤ )

على الكف دين للأسنة واجب  
عجبت لموتو ربييت على القذى  
وللكأس طرق غيرها ومذاهـب  
وفى الارض مركوب وسيف وصاحب

النصائح والحكم :

عاش الخوارزمى عيشة قاسية وقلما ساعدته الظروف وقرت به الاحوال  
فقد قضى حياته متقلبا فى البلاد ، وقد أجبرت ظروفه المادية والمطانية أن يتكسب  
بأدبه رغم عزة نفسه ، فمرة يلقى الاكرام والمطايا ، وأخرى يهان ويلقى به فى  
السجون . . وأحب انا تصاد رأمواله . . ومرة يكون غنيا ثم لا يلبث أن يمسود  
فقيرا . . كل هذا جملة كثير التجارب خبيرا بأحوال زمانه . . يعرف خبايا  
النفوس لكثرة مخالطته لطبقات الناس وقد جرب خيرهم وشـرهم ، وذاق مر الحياة  
وحلوها . فكان لهذه التجارب فى أدبه أثر تمثل فى تلك الحكم البليغة والنصائح  
الغالية ، منها ( ٥ )

( ١ ) الحرون : الثابت فى القتال ( أساس البلاغة مادة ( حرن )

( ٢ ) مجلة الازهر مجلد ٣ ص ٣٣٨

( ٣ ) فى المصدر أنكركم عنى . . ولا يتشئ مع معنى البيت التالى

( ٤ ) بدائع الملح ورقه ٨٢

( ٥ ) كتاب الآداب (مخطوط) ورقه ٦١ تحفة الوزراء ص ١٧ ، ١٨ القيمة ٢٤٠ / ٤ التشيل

والهامة ص ١٢٤ على اختلاف بينها فى التقديم والتأخير أو النقص أو التغيير فى

بعض الفاظها

ما أصعب الدهر على من ركبه  
لا تشكر الدهر لخير سببه  
وانما أخطأ فيك مذهبه  
والصم يستشفى به من شربه  
حدثنى عنه لسان التجريسه  
فانه لم يعتمدك بالهيهه  
كالسيل اذ يسقى مكانا خربه  
وذا مفضل ، علا في المرتبه  
وأسهل الكد على من أكسبه  
ما أهون الشوكة قبل الرطبه

وما أجمل حكمه في قوله ( ١ ) :

لا تفرطن في حدة أعملتها  
أو ما ترى الصمصام والسكين ان  
فيكل ذاك الحد منك ويفشلا  
زادا على حد الصقال تفشلا  
وله ( ٢ ) :

لا تصحب الكسلان في حاجاه  
عدوى الهلبد الى الجليد سريعه  
كم صالح بفساد آخر يفسد  
والجمريوضع في الرماد فيخمد  
ونلاحظ أن الخوارزمي يطيل تعبيره عن الممنى الذي يريد حتى في شعره ،  
فهو يريد أن يقول : لا تصحب الكسلان لانه يعديك بكسله ، ولو كنت نشيطا .  
والممنى جيد ، ولكنه أطلال ولم يكن ذلك لعدم ثقة بالسامع أو القارىء ليكرر الممنى  
ويوضحه ، ولكن ليزيده قوة ورسوخا في الذهن خاصة وأن مهنته هي التعليم وحال  
المعلم مع تلاميذه الشرح والايضاح .

ويقول ( ٣ ) :

سأقضى قضاء في المروءة عادلا  
ألا خير سمار الطواك ذوو النهى  
يساره في حكمة الشمر والادب  
وخير ندامى الكأس أربعة تحب

( ١ ) الهتمة ٢٤١ / ٤  
( ٢ ) نفس المصدر ٢٤٠ / ٤ وأعيان الشيعه ٢٦١ / ٤٥ والتشيل والمحاخره ص ١٢٤  
( ٣ ) برد الاكباد ١٣٤

وليه (١)؛

بقدر ما احتل البختى قيمته  
ولليالى الى أبنائها رسول  
ما ميسم الحرالا ككرة المسون (٢)  
من التجارب فى طرق من المحن

وليه (٣)

ومتى شتمت الدهر تشتم صابرا  
تبكي ويضحك ذلك المشتوم

ويقول (٤)

لا تفترب بالحليم تغضبه  
فربما أهرق الثرى السبرد

ويقول (٥)

فندل الرجال كندل النبا  
تلا للشارولا للحطاب

ويقول (٦)

من أسخط الدرهم أرضى الله  
ومن أذل المال صان الجاهلا

وقوله (٧)

الدهر يستخدم من يخدم  
كألارض لا تطعم من فوقها  
حتى يذيق الهون من يكوم  
الا لكى تطعم من تعطعم

(١) بدائع الطح ورقة ٨٢

(٢) البختى مفرد بخت وهى الجمال الخراسانية ( القاموس المحيط مادة ( بخت )

(٣) البيهيمه ٢٣٤/٤

(٤) نفس المرجع ٢٤١/٤

(٥) المنتحل ١٣٦

(٦) أعيان الشيمه ٢٦١/٤٥

(٧) اللطائف والظرائف ص ٢٤

ويقول ( ١ ) :

عليك باظهار التجلد للمدى      ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا  
ألمت ترى الرهبان يشتم ناضرا      ويطرح في الميضا اذا ما تغيرا .

---

( ١ ) خاص الخاص ص ١٩٠ وانظر المرقصات والمطربات ص ٥٩

## الشكوى :

وهي من الأغراض التي تعطينا فكرة عن نفسية الخوارزمي وتكشف لنا عن أخلاق أهل زمانه ، وما عاناه من أوضاع مجتمعه وتقلبات عصره ،

يقول ( ١ ) :

لم لا أجانسك هري في قلبه ؟	لم لا أبادل انسانا بانسان ؟
لم لا أهاكي حبيبا في مقالته	ما اليوم أول توديعي ولا الثاني ؟
لم لا أقارن ما قد قاله حسن	وصلا بوصل وهجرانا بهجران

فهو يبحث نفسه على التقلب ، ويتساءل لماذا لا يجارى الناس في نفاقهم وبنائهم الصداقات على المنافع وكأن نفسه تعصاه أن تعمل مثل هذا .

ويقول ( ٢ ) :

كفى حزنا أن لا صديق ولا أخوا ؟	يفيد غنى الا يداخله كبر
والا التوى ، أوطن أنك دونه	وطك التي جلت فما عندها صبر
فلا نال فوق القوت ثقيل ذرة	صديق ولا أوفى على عسره الميسر
وما ذاك الا رغبة في وصاله	والا حذارا أن يعيل به الدهر

وهو هنا يشكو من ظاهرة قد تكون في المجتمعات الفارسية أظهر منها في المجتمعات العربية ، تلك هي ظاهرة الكبر ، فمتى ما أفتنى الانسان شمع بأنفه ووطن أنه أعلى من غيره ، وطك حالة لا يطبقها الخوارزمي لذلك دعا على أصدقائه وإخوانه ألا يصلهم من المال الا ما يكفي قوتهم ، ليس حسداً لهم ولكن خوفاً من أن ، يصيبهم داء الكبر فيحول بينه وبينهم .

( ١ ) تمام المتن ص ٢٥٤

( ٢ ) رسائل الخوارزمي ص ٢٩ ، ربحانة الالباء ٢ / ٣٦٦



ويقول ( ١ ) :

خبث نار العلا بعد اشتغال  
عد منا الجود الا فى الامانى  
فيا ليت الدفاتر كن قوما  
ولو أنى جعلت أمير جيوش  
لأن الناس ينهزمون منه  
وهى شكوى مصدرها بخل الاغنياء بأموالهم . . على أن ظاهرة السؤال  
فى ذلك الزمن واعتبارها أمرا لا غضاضة فيه تعد ظاهرة تكشف ما تعانيه الأمة  
أو بعض فئاتها من الضيق وقلة ما فى اليد .

ويقول ( ٢ ) :

تولى المييش وانقطع النظام  
وخلفنى الزمان على أناس  
يكاد الدهر يشتمنى صراحا  
فلولا أن أنازع حكم ريشى  
وعاش اللوم اذ عاش اللئام  
اذا حكوا الكلاب فهم كرام  
لو أن الدهر كان له كلام  
لقلت فديت موتى والسلام

وهى صرخة مرة ، وشكوى حزينة ، من الدهر وأبناء مجتمعه ، وما أكثر ما يشكو  
الخوارزمى من الدهر — ولا ندري لماذا كل هذه الشكوى ألتضيق صدره وتهرمه  
من الحياة لأوهن الأسباب أم لضياح الاخلاق فى أهل زمانه ؟ أم هى ظروفه القاسية  
التي عاشها من قهر وفقر ؟

( ١ ) نثر النظم ص ٧٣ ، وبدائع الطمح ورقة ٨٢ ولم يشهد صاحب بدائع الطمح سوى البيتين  
الاخيرين وكذلك التوضيح فى شرح المقامات ص ١٥٦ لم يشهد سوى البيتين الاخيرين

( ٢ ) نثر النظم ص ٧٣

( ٣ ) البيهية ٢٣٦/٤ ، وأعيان الشيعة ٢٦١/٤٥

المثاب :

لم يصلنا من عتابة الا النزر اليسير ، بعكس ما رأينا في نشره . . . ولكنه  
من الاغراض التي أجاد فيها وتجلت فيها شاعريته الحقة ، من ذلك قوله لأحمد  
تلاميذه :

هذا أبو بكر صقلت حسامه	فغدا به صلنا علي وأقد صا
أمسى يجهلني بما علمتسه	ويريش من ريشي لرصبي أسهما
يا مهبضا قوسا بكفى أحكمت	ومسددا رمحا بكفى قوما
أرقيت بي في سلم حتى اذا	نلت الذي تنفى كسرت السلما

ومن أرق معانيها — والظن أنها موجهة للصاحب بن عباد ( ١ ) :

ألا من صلغ الاستاذ أنسى	أنا الصمصام أغفده الحيسا
أنجدب والصباح لديك مرعى ؟	ونظما والسراب لديك صا ؟
يطرقنا الزمان وكل يوم	لنا خطب حواشيها البكيا .
وكنت وعدتنا نظرا فأبطس	وقد تتبلغ الا بل البطا
فان عز القضاء لديك يوما	فموجود لدينا الا قضا
ويرضى بالرجاء سوى قوم	وما عندي لحكمهم ارتضا
فان أخوا الرجاء على يقين	من البلوى وفي الفرج امترا
وشر المرتجين أخو مطال	يصرفني جوانبه الرججا
اذا أضحى فموعد مسسا	وان أمسى فموعد ضحا
وهذا المثب واسطة ولكن	لها طرفان مدح أو هججا
وبين النجح والتمويق حد	وقنطرة يقال لها السخا

( ١ ) نشر النظم ع ٤٠ وبعض أبياتها في معانصرات الأدباء ٢٥١ / ١

فلا تشك القضاء فليس يشكو  
 مسمى \* نفسه أنت القضاء  
 أطال الله أعمار المعالي  
 وذلك أن يطول لك البقاء  
 ولا زالت تمد اليك كف  
 بضاعتها ثناء أو دعاء  
 وان رضى الزمان بطل روحى  
 فداء \* عنك فهى لك الفداء

### الاعتذار :

حينما ترك الخوارزمى حضرة أبى نصر الميكالى وقصد طاهر بن محمد بسجستان وحصلت بينهما جفوة أخذه طاهر على أثرها وزج به فى غياهب السجن (١) كما مر معنا فشمع بالندم لترك حضرة الميكالى . . ولعله فارقه من غير اذنه أو وهو غير راض عنه . . وهذا ما توحى به هذه القصيدة الجيدة . . ونلاحظ أن شمعه الذى وجهه الى أبى نصر الميكالى ، كله قوى سواء فى المدح أو الاعتذار .

يقول الخوارزمى (٢) :

كتابى أبا نصر اليك وحالتي  
 كحال فريسي فى مخالاب ضميفم  
 أرق من الشكوى وأدجى من النوى  
 وأضعف من قلب المحب المتيم  
 غدوت أخا جوع ولست بصائم  
 ورحلت أخا عري ولست بمحرم  
 وقعت بفتح الخوف فى يد طاهر  
 وقوع سليك فى حباثل خشم (٣)  
 فيها أنا تحت الدهر أخلق من "قفا"  
 ومن أم أوفى دمنة لم تكلم  
 وما كنت فى تركيب الا كتارك  
 يقينا وراض بعده بالتوهم  
 وقاطن أرض الشرك يطالب توبة  
 وزى علة يأتى عليلا ليشفى  
 ويخرج من أرض الحطيم وزمزم  
 بها وهو جار للمسيح ابن مريم

(١) أنظر اليتيمة ٢٠٥/٤ - ٢٠٦

(٢) نفس المرجع السابق ٢٠٥/٤ - ٢٠٦

(٣) يعنى سليك بن سلكه السعدي حين أسره أنس بن مالك الخشمي

وزاوى كلام مشفأ اثر ( باقل )  
 جناب تهنيناه ليس بمجند ب  
 وما زلال قد تركنا وزوده  
 ليست ثياب الصبر حتى تمزقت  
 أظل اذا عاتبت نفسى منشدا  
 وأنشد فى ذكرى لدارك باكيا  
 ولم أر مثلى من يحارب بختة  
 ولا أحد يهوى مفاتيح جنبة  
 وقد كان رأسا للتدابير " بلعم " .  
 وقد عاش بعد الخلد فى الارض آدم  
 فياليتنى أسيت دهرى راقدا  
 لفيرك د ردي الوصال وثيب الـ  
 وأنت الذى صورت لى صورة المنى  
 وصيرت عندي أنعمس الدهر أسمدا  
 وصفرت قدر الناس عندي وطالما

ويترك قسا غائبا وابن أهتم  
 ويحمر ثخطيناه ليس بصرزم ( ١ )  
 زلا لا ويعناه بشرية علقم  
 جوانبها بين الجوى والتتدم  
 " فهلا تلاها ميم قبل التقدم " ( ٢ )  
 " ألا انعم صباحا أيها الربيع واسلم " .  
 ويشكو الى البوسى افتقاد التتم  
 ويقرع بالتطفيل باب جهنم  
 وقد صرت فى الدنيا خليفة بلعم ( ٣ )  
 فان شئت فاعذرنى فانى ابن آدم  
 فانى متى أرقد بذكرك أحلم  
 مقال ومزوج المودة فاعلم  
 وأركبتنى ظهر الزمان المذمم .  
 وكذبت عندي قول كل منجم  
 لحظت صفيرا عن حماليق معظم .

### معارضات الخوارزمي :

يقول الثعالبي " حدثنى الخوارزمي قال :

حضرت مع الشيخ أبى الحسن النعمى دعوة . . . ففنى القوالون بهذه الابيات :

- ( ١ ) رزم الماء : اذا انقطع .
- ( ٢ ) الشطر الاخير لقاثل طلحة رضى الله عنه يوم الجمل وصدرة :  
 يذكرنى حاميم والرمح شاجر .
- ( ٣ ) يعنى بلعم بن باعورا . . . لأنه كفر بالله بعد تعلمه الاسم الاعظم وجهد  
 نعم الله عليه .

قم يا غلام الى المـــــــدام	قم دواني منها بجمــــام
قم فاسقنى برق الثقبــــو	رفقد مضى برق الفمــــام
بادر الى صرف الحميــــا	سابقا صرف الحمــــام
وتغنم الفلتات مــــن	دهر يجور على الكــــرام

فاستلحها أبو الحسن وسألني عن قائلها فأخبرته أنها لأبي الفرج الوأواء<sup>١</sup>، فأقترح علي معارضتها فارتجلت أبياتا :

لما بدت روح الضيــــا	تدب في جسم الظــــلام
وفدت نجوم الليل وهــــو	تغر من حدق الانام
والديك يتلو داءــــا	هجوا لنيام على القيســــام

.....

لما رأيت الهم يطرق مــــن	أتاه بلا ســــلام
خفيف يزور فليس يــــا	كل غير لحمى أو عظــــام
والدهر قد حمل الســــلا	ح على الكرام عن اللئــــام
داويه بالراح ان الــــ	راح تزيق الكــــرام ( ١ )

وفي مناظيرته للبديع معارضة له ولكنها لا ترقى الى الشعر الجيد ( ٢ )  
وأهم معارضاته معارضة للرسامين في وصف دار الصاحب ، ومطلع قصيدة الرسامين :

نصبن لحيات القلوب حباــــلا	عشية حل الحاجبات حباــــلا
-----------------------------	----------------------------

ومنها : هو الدار أبناء الندى من حجيجها

نوازل في ساحاتها وقوافــــلا

( ١ ) انظر البيهقي ١ / ٢٩٦ - ٢٩٧

( ٢ ) انظر رسائل البديع ص ٣٤

وقصيدة الرستمى هي أجود القصائد " الداريات " كما سماها الشعالي وقد بلغ ما أورده الشعالي عليها ٤ بيتا . ( ١ )

يقول الخوارزمي في معارضته : ( ٢ )

أكل بناءً أنت بانيه مجـز	بنييت المعالي أم بنييت المنازلا ؟
فلا الانس تبني مثلهن معالما	ولا الجن تبني مثلهن معاقلا
كنائس أضحت للغمام هماما	علوا ، وأمسيت في الظلام قنادلا
رحاب كأن قد شاكلت صدر ربيها	ويبيس كأن قد نازعت الشمائلا
ويهو تباهى الارض منه سماها	بأوسع منها آخرأوأوائلا
وصحن يسير الطرف فيه ولم يكن	ليقطعه بالسير الا مراحلا
تلوح نقوش الجص في جدرانها	كما زين الوشم الدقيق الأناصلا
وما إذا أبصرت منه صفاءه	حسبت نجوم الليل ذابت سوائلا
رأيت سيوفا قد سللن على الشـ	رى وصارت لها أيدى الرياح صياقلا
وروش كعيش الساطيك نضارة	ووجهك بشرا حين تحفظ آصلا
أصائله للنور أضحت هو اجرا	هو اجره للطيب أضحت أصائللا
هي الدار أضحت مطرح العام فاغتـدى	لها ناهل الامال ريان ناهلا
إذا ما تحاها المركب لم يتطلبوا	اليها دليلا غير من كان قافلا
وأنت امرؤ أعطيت مالو سألتـه	الهيك قال الناس أسرفت ساغلا
وانى والزاميك بالشعر بعد ما	تعلمت منك ، الندى والفواضلا
كملزم رب الدار أجرة داره	ومثلك أعطى من طريقين نائلا

( ١ ) انظر اليتيمة ٢٠٩ / ٣ - ٢١١ وانظر ترجمة الرستمى ٣ / ٣٠٤

وما بعدها من اليتيمة .

( ٢ ) نفس المرجع ٤ / ٢١٧ ، ٢١٨

والقصيدة كما ترى في الوصف ولكن أخرجتها لفرض المعارضــــــــــــــــة ،  
وقد أجاد في وصف الدار وأصاب المعنى . . وفيها خيال جميــــــــــــــــل  
وألفاظ مختارة ونرى فيها تعلق الخوارزمي بالبديع حتى في شــــــــــــــــره . .  
على أنها لا تفضل قصيدة الرستمي .

خصائص شعره الفنية :

أهم ما يلاحظه الدارس لشعر الخوارزمي كثرة تضميناته من الشعر . .  
فأحيانا يضمن بيتا كاملا كقوله :

وقائع لو مرت بسمع ابن غالب      لما قال ما بين المصلى وراقم  
" أتتني ورجلى بالمدينة وقعة      لآل تميم أقعدت كل قائم "

فالبيت الأخير للفرزدق قاله حين سمعوهو بالمدينة يقتل قتيبة بن مسلم على يدي  
وكيع بن أبي الأسود ( ١ ) :

وأحيانا يضمن شطر بيت وزيادة كقوله : ( ٢ )

وتقول للخطاب غيرك ليس ذا      وقت الزيارة فارجمي بسلام

وهو من بيت جرير :

طرقك صائدة القلوب وليس ذا      وقت الزيارة فارجمي بسلام

وكثيرا ما يضمن نصف بيت وهو كثير جدا كقوله ( ٣ ) :

والتارك الترك والخدلان ينشدهم

يا بؤس للجهل ضمرارا لأقوام

فالشطر الأخير للناهضة الذبياني .

ويطول بنا الكلام لو تفحصنا كل تضميناته وقد أورد الثعالبي كثيرا منها ( ٤ )

ولكثرة ما يضمن الخوارزمي شعره أبيات غيره قال فيه القاضي أبو الحسن علي بن

عبد العزيز الجرجاني !

( ١ ) انظر اليتيمة ٢١٧/٤

( ٢ ) نفس المرجع ٢١٩/٤

( ٣ ) نفس المرجع ٢١٦/٤

( ٤ ) انظر اليتيمة ٢١٢/٤ - ٢٢٢ وقصيده في وصف دار الصاحب كلها شواهد



لو نفضت أشعاره نفضة لا نشرت تطلب أصحابها ( ١ )

وهذا يرجع الى كثرة ما يحفظه من الشعر ، والى كثرة مطالعته في دواوين الشعراء يقع في شعره البيت أو الشطر من شعر فينبغي أن يعمل فكره في استجلابه ، وانما طلبه المعنى . . ولا شك أن له حسن ذوق في ايقاع تلك التضمينات مواقعها .

ورغم كثرة اطلاعه والمامه بشتى فروع علم اللغة العربية . . فان شعره ليس شعر الطبع والقريحة . . واجادته في بعض قصائده آتية من فهمه للشعر وحفظه ولنضج نفسه الثقافي ، ولتمييزه الجيد من الردي من الاشعار ، كما سنرى ذلك في نقده .  
وأما آخر جميل شعر الخوارزمي مقبولا وجيدا هو تزيينه لها بالحكمة والمثل والتضمين والاقتناس الذي يأتي في موضعه . وللخوارزمي شعر بارد لا يدل على شاعرية وذلك حين تخونه عاطفته ويخالف الصدق الغنى ،

كقوله في الغزل ( ٣ ) :

ويا من لست أرضى قط	يا لبحر له قطره
ولا أرضى له البدر	على اشراقه غمزه
ولا أرضى له الارض	على فسحتها حجره
ولا أرضى برزق الانس	سوالجن له سفره
ولا أرضى له السم	غلاما والمنى سنخره
والا أرضى لـه الا	بنفسى أمة حمزه

( ١ ) تتمة اليتيمة ع ١٠

( ٢ ) اليتيمة ٤ / ٢٢٧ - ٢٢٨

فهو كما ترى غزل بارد وكأنه تلك الرسائل المتكلفه التي يرادف فيها الجمل  
ويرصها رصا ، ولا يهيمه منها الا أن تجيبى \* على روى واحد .

وكقوله فى الحكم ( ١ )

الملك عندى متممة الشباب	والمزل عندى فرقة الاحباب
والفقر عندى عدم الشراب	والشيب عندى كذب الخضاب
والقيح عندى عدم الآداب	والمرس عندى ليلة الكتاب

وهو يستمر على هذا النحو فى أربعة عشر بيتا يكرر " عندى " مرتين فى كل  
بيت . ورغم ما فيها من حكم وبعض قيم عصره . . . ورويته للحياة فانها لا يمكن  
أن تصدق عليها كلمة شعر ، ولو كانت موزونة ومقفاة .

وقد سجل عليه تلميذه الشعالى بعضى سقطات فى معانية كقوله من قصيدة فى الصاحب  
وقد أعل ( ٢ ) :

نموا لى نفسى المجد ساعة أخبروا بما يشتكى من سقمه ويمارس

قال الشعالى : فان فى لفظة " النصى " ما فيها من الطيرة : اذ هى ما

يقع فى المرثية لا فى الميادة " كما انقده فى قوله فى الصاحب أيضا ( ٣ )

ومهييب كأنما أذنب النسا س اليه فهم مغشون ذلا

وظريف كأن فى كل فمسل من أفاعيله عرائس تجلس

نفس

( ١ ) ، ( ٢ ) ، ( ٣ ) انظر المرجع ٢٢٢/٤

وبه بقية الامثلة

ويقول : " فان الكبرياء والمحتشمين لا يوصفون بالظرف ، اذ هو من أوصاف  
الاحداث والقيان والشبان فلو مدخ مخنثا لما زاد " ( ٢ ) .

كما أنتقد الجرجاني في قوله : " والبعض عندي كثرة الاعراب " .

ذلك أن الاعراب لا يوصف بالكثرة والقلة . ( ٢٢ )

ولكن كما يقولون : لكل جواد كبوة . . فلا يخلو شعر شاعر من هينات وعيوب . .

واذا قومنا شعر الخوارزمي وجدناه طبقتين :

جيدا وان لم يبلغ شعر الفحول .

ورد يثا أو باردا وهو أقرب الى النظم منه الى الشعر وان كان قليلا . وقد أثبت في

رسالتي من شعره ما يشهد له بالاجادة ، خاصة في الاغراض التي يتناولها وهو ،

متهيب العاطفة . . يقول عن معاناة وصدق ، كالرثاء والعتاب والاعتذار والوصف

والشكوى . . فشعره في جملة لا يقل عن مستوى شعر الكتاب المماصرين له كالبديع

والصاحب . . وغيرهم . بل يمكن أن نقول انه لا يقل عن شعر من عرف في هذه

الاقاليم في هذا القرن . اذ أن هذه الاقاليم لم تعظ بشاعر مشهور كما حظيت باقي

الاقاليم الاسلامية ولعل شعر الكتاب من المواضيع الجديرة بالدراسة

( ١ ) ويمكن أن يكون الخوارزمي قصد أن يسيىء الى صاحب بعد أن تفير

عليه فهو يعبر عما في نفسه تجاهه . ويتمنى في قرارة نفسه أن يكون

كذلك . ويمكن أن يكون قصد فعلا أن الناس من يخفون<sup>خوفه</sup> ذلا .

( ٢ ) انظر أسرار البلاغة ص ٦٦

## الفصل الرابع

### الخوارزمي والنقد

كان النقد في القرن الرابع الهجري ، قد نضج ، وتخطى مرحلة التأثر الذاتي والنظرات المسطحة العابرة ، والأحكام المجلى ، والحكم على القصيدة ببيت منها . . الى مرحلة التعميد ، والنظر المتأن الدقيق ، وفي هذا القرن ، لا بد لمن أراد مزاحمة فحول الأدياء على الشهرة والمكانة في مجالس الوزراء ، من الالمام بقواعده وقضايه . . وقد رأينا الخوارزمي يبتذل في سبيل ذلك أقصى غايته ، يترك الأهل والوطن ويتكبد مشاق السفر ليزود . . بشتى علوم الصربية ، وليحظى - لدى الولاة - بالمنزلة الرفيعة . . وقد نالها فلا بد أنه دخل حلبة النقد ، وأسهم فيه بنصيب ، خاصة وهو أستاذ أبناء الأمراء والرؤساء وأعيان البلاد . ( ١ )

وقد جمعت بعض أقواله في النقد ، ومع أنها لا تمثل النقد المنهجى الذى يعتمد على التحليل والتفسير ، فانها لا تخلو من ذوق سليم وفهم دقيق للأدب - على أننى لا يمكننى الحكم على الخوارزمي الناقد بهذه اللحظات النقدية ، فقد يكون له مساهمة في النقد تفوق ما عثرنا عليه أو لعله ألف فيه ولكن لم يصلنا ما ألفه .

ومع ذلك فان هذه الآراء واللحظات تستحق منا الوقوف عندها ، هيان قيمتها ، لأنها تكشف عن ذوق قائلها ، وذهبه الأدبى ، وفهمه للأدب . فنراه يرسم للشاعر طريق الاجادة بمطالمة دواوين فحول الشعراء ويدله على الأغراض التى أجاد فيها كل منهم واشتهر بها . ذلك أن من كانت لديه موهبة الشعر وطالع تلك الأغراض ، لا بد أن يتأثر بها ويتعلمها فيقوى شعره

( ١ ) أنظر رسائل الخوارزمي ص ٣١ و ص ٥٤ على سبيل المثال . .

وتصفو قريحته . الا أن يكون بليد الحسن عديم الموهبة . . وذلك  
هو من دعا عليه الخوارزمي بألا يشب الله قرنه .

فهو يقول : " من روى حوليات زهير واعتذارات النابغة وأما جى الحطيئة  
وداشميات الكميت ونقائض جرير وخمريات أبي نواس وتشبيهات ابن المعتز وزهديات  
أبي القاسم ومراثي أبي تمام ، ومدائح البحترى ، وروضيات الصنوبرى ولطائف  
كشاجم ، ( وقلائد المتنبي ) ولم يخرج الى الشعر فلا أشب الله قرنه " (١)  
بل أنذر اليه كيف يصور . . عظيمة الشعراء ورفعة مكانتهم ، وكيف أنه يغفر لهم  
مالا يغفر لغيرهم . وفيه إيحاء للولاة والحكام بأن يكرموهم ويحلوهم ان أرادوا . .  
السمعة الطيبة والذكر الحسن .

" وما ظنك بقوم الاقتصاد محمود الا منهم ، والكذب مذموم الا فيهم ، اذا نسا  
ثلبوا ، واذا مدحوا سلبوا ، واذا رضوا رفعوا الوضيع ، واذا غضبوا وضعوا الرفيع  
اذا أقروا على أنفسهم بالكبائر لم يلزمهم حد ولم تمتد اليهم بالمعقوبة يمد ،  
غنيهم لا يصادر ، وفقيرهم لا يحتقر ، وشيخهم يوقر وهدثهم لا يستصغر ، وسهامهم  
تنفذ في الأعراض اذا نبت السهام عن الأعراض ، وتصل الى البعيد كما تصل الى  
القريب ، شهادتهم مقبولة وان لم ينطق بها سجل ولم يشهد بها عدل ،  
وسرقتهم مغمورة وان تجاوزت ربع دينار ولو بلغت ألف قنطار ، ان باعوا المشوش  
لم يرد عليهم وان صارفوا الصديق لم يستوحش منهم . بل ما ظنك بقوم هـم  
صيافة أخلاق الرجال ، وسعاسة النقص والكمال ، بل ما ظنك بقوم اسمهم ناطق

(١) أنظر ثمار القلوب ص ٢١٦ ومواسم الأثبات ٩/١ ، وأنوار الربيع ٢/٢٨٢ ،  
ومقدمة في صناعة النظم ص ٣٤ - ٣٩ وفنون الشعر في مجتمع الهندانيين  
ص ٤٩١ ولم يورد ( قلائد المتنبي ) سوى ثمار القلوب .

بالفضل ، واسم صناعتهم مشتق من المقل . بل ما ظنك بقوم هم أمراء الكلام ،  
يقصرون طويلة ، ويخففون ثقيلة ( يقصرون مديده ، ولم لا أقول : ما ظنك  
بقوم يتبعهم الخاوون ، وفي كل واد يهيمون ، ويقولون ما لا يفعلون ) ( ١ )

وما أحسن تشبيهه موهبة الشعر بالسيل الزاخر الذي لا يمكن إيقافه  
فيؤلا بد وأجد له منفذا . . وكذا الموهبة الشعرية لا يستطيع صاحبها إيقافها  
أو كتمها . . فالشعر يفيض عن الشاعر بالقوة وفيه تحذير ضمنى لولاة ووزراء عصره  
من أسنة الشعراء .

فهو يقول : " والشعر مع الجود حيث كان ، هرتاد المعروف والاحسان  
وانما هو مال سارب . بل سيل راعب ، اذا سد عليه طريقه خرقة في الأرض خرقتا  
وجعل لنفسه طريقا . بل طريقا ، وما أشبه من أكره الألسنة على مدحه الا بمن  
أكره القلوب على محبته " . ( ٢ )

وهو يدرك تأثير البيئة الثقافية على أسلوب الشاعر ونتاجه ، يقول عن . .  
الشيبى : " كان الشيبى في أيام شبابه بخوارزم يقول شعرا جاسيا كاشمصار  
المؤدبين ، فلما عاشر الناس ولقي الأفاضل لطف شعره . . " ( ٣ ) وأخذ  
على أبي تمام سوء المطلاع ان يقول : " ما أضيقت خاطر أبا تمام  
حيث قال : " قدك اتشد أفرطت في الضلواء " حتى كأنه لم يقع على  
أعلى من هذا الابتداء . . " ( ٤ )

( ١ ) أنظر رسائل الخوارزمي ص ٨ وقد انفردت بالجملة الأخيرة ( بين القوسين )

ومطالع البدور ٢١٦/١ - ٢١٧ ، واللطائف والظرائف ص ٢٤ وأنوار الربيع

٣٨٢/٢ ، وروضات الجنان ٣٢٣ - ٣٢٣/٣٠ .

( ٢ ) رسائل الخوارزمي ص ٧ والسيل الرابع : الذي يربع بكثرتة وسمته مجاز .

( ٣ ) انظر اليتيمة ٢٤٢/٤ . . والجاسي اليابس الغشبن .

( ٤ ) رسائل الخوارزمي ص ٢٩ .

وعيب على المتنبي قوله . . . في تعزية سيف الدولوة

عن أخته :

يحملن حين تحيّا حسن مسميها \* وليس يعلم الا الله ما الشنّب

ان يقول : " لوعزاني انسان عن حرمة لى بمثل هذا ، لألحقته بها ،  
وضربت عنقه على قبرها " . ( ١ )

كما اعترض على قوله :

سقى الله أيام الصبا ما يسررها \* <sup>فعل</sup> وفعل البابلى المحقق

فقال : " وكأنه قال : سقى الله أيام الصبا خمرا . . . والخمرانط فرحها  
ساعة وطيبها مجاز لا حقيقة له ، مع بشاعة طعمها أولا ، وثقل خمرها  
ثانيها " . ( ٢ )

ويعيب على المتنبي حتى خلقه والتناقض بين قوله وفعله . . . كما يعيب

عليه أنه يهدى كرائم شعره لمن لا يستحقه . . . ويذم من مدحه .

كما ينبغى عليه تكالبه على المال وعدم احترام نفسه وأدبه فهو يقبول

فيه : " ونظرت الى أبي الطيب والى تناقض حكمته وتفاوت طرفى فعلته هيئت

قال في سيف الدولة :

لا تطلبن كريمة بمد رؤيتي \* ان الكرام بأسخام يدا ختموا

ثم قال في كافور الأخشيدى :

( ١ ) نفس المرجع ص ٥٠ واليتيمة ١٨٣/١ - ١٨٤ ، والصبح العنبي ص ٢٣٠ والمهذب

من أخبار ابي الطيب مخطوط ورقة ٥٨ .

( ٢ ) رسائل الخوارزمي ص ٤٦ ، ٤٧ .

قواصد كافور توارك غـــــــيره \* ومن قصد البحر استقل المســـــــــواقيا

فلقد باع من الوفاء علقا خطيرا واعتاض من الطمع ثمنا يسيرا ، وحال ضباب  
الحرص والرجاء بينه وبين الصهد والوفاء ، وكان . . . يخلع خلعته من نظمه تساوى  
بدره على عرض من لا يساوى بحره . . . لورأى الطمع فى جهر فأرة لدخله ،  
ولوأتاه الدرهم من است كلب لما غسله . فلا جرم أن الناس كما استحسنوا  
قوله استقبحو فمله . وكما أعجبوا بشعره تعجبوا من غدره . . . يمدح ثم يهجو  
- وشهد ثم يجرح شهادته . . . وكم من عرض كساه ثم سلبه ؟

وكم من صحفة أكل منها ثم بصق فيها ، ولكن فى قميص أبى بكر رجلا اذا . . .  
أعطى لم يرتجع . . . واذا مدح لم يطلأ على عقب مديحه بالذم ، واذا طيب فكيسه  
بالمدح لكريم لم يلطخهما بمدح للثيم<sup>(١)</sup> . . . وقد عاقب الله أبا بكر على قوله  
هذا فى المتنبي فلقى من أمراء ووزراء عصره مالقى المتنبي . . . ولكنه فى الحقيقة  
بقي ملتزما بخلقه هذا فلم يهجو من مدحه سوى ذينك البيتين اللذين قالهما فى  
ابن عباس ، ان صحت .

ولم يمدح الا خطيرا . وهذا ما يدل عليه أدبه الموجود بين أيدينا .  
وهو يداعب عربن أبى ربيعة المخزومى فى قوله :

يا أهل بابل ما نفست عليكم \* من عيشكم الا ثلاث خصــــــــــــــــال  
ما الفرات وطيب ظل بــــــــــــــــارد \* وسماع محسنين لابن هــــــــــــــــلال  
فيقول له : " هلا حسد أهل العراق على المنصرفين والوافدين أو على الرطــــــــــــــــب  
السابرى والتسين الوزيرى والعنــــــــــــــــب الرازقى . . .

وهلا حسد هم على أن الرأى كوفى والاعتزال بصرى !! والخط أنبارى والحساب  
سوادى والتشيع عراقى . . . وما الذى خالفوا به الى أن حسد هم على ظاهــــــــر مشترك بين



سائر البلدان أو على قنيتين كسائر القيان<sup>(١)</sup> . على أنها نظرة مادية منسوخة  
 الخوارزمي بل نظرة عالم لا يهتم ما يشمر به المشاق ، فالمخزومي عبر عن  
 عاطفته ووفى المعنى حقه وما يهيمه ما ذكره الخوارزمي . . . ولكن يلفظ هذا روح . .  
 الدعاية التي تظهر من كلام الخوارزمي .

ويقول في بيت أبي العلاء السروي في تقبيح النرجس :

كريمة ركبت عليهم \_\_\_\_\_ \* صفرة بيض على رفاق \_\_\_\_\_  
 " أراد أبو العلاء أن يهجو فمدح وقصد أن يقبح فحسّن ، ولو نحا نحو وصفه  
 ما دحا لما زاد " (٢)

وكان إذا أنشد قول الصاحب :

أما ترى كانون ينثـر روره \* وكأنما الدنيا سبيكة فضة

قال : هذه الثلجيات هيال على قول الصنوري :

ذهب كثوسك يا غـلا \* م فانه يوم مفضـل \_\_\_\_\_ (٣)

وهذا معناه أن الصاحب سرق المعنى من الصنوري . . وهو دليل على  
 جودة حفظ الخوارزمي وتمييزه بين الجيد والردى<sup>٤</sup> من القول في المعنى الواحد .  
 ولذلك امتدح شعر أبي طالب الرقي مع قلته لا جادته فيه ، فالجودة عنده هي  
 المقياس ، ان قال فيه : " انه أحد العقليين المحسنين الذين يطبقون الفصل  
 في أغراضهم وينظمون الدر الفصل في معانيهم وألفاظهم " (٤) .

(١) أنظر رسائل الخوارزمي ص ٢٩ - ٣٠ .

(٢) تحسين القبيح مخطوط ورقة ٣١٠ .

(٣) اليتيمة ٢٦٥/٣ .

(٤) نفس المصدر ٢٩٨/١ .

وهو لهذا السبب عاب شعر البديهي مع كثرته ان يقول فيه :

" انه كان لا يرجع من البديهة التي انتسب اليها وتلقب بها الا الى لفظة الدعوى  
دون حقيقة المعنى . . قال شعرا كثيرا لعدة في زمان طويل المدة فلم يستلح له  
الا هذا البيت :

أتمنى على الزمان محالا \* أن ترى مقلتي طلمة ~~حمر~~ (١)

ويدرك أثر الدربة والممارسة في جودة الشعر وقوته ، فيقول في الواو<sup>١</sup> الدمشقي :  
" كان الواو<sup>٢</sup> مفاديا في دار البطيخ بدمشق ينادى على الفواكه ، وما زال يشمر  
حتى جاد شعره ، وسار كلامه ووقع فيه طيروق ويشوق ويفوق حتى يعلو العيوق<sup>(٢)</sup>

وكان من شدة اعجابه وفهمه للشعر الجيد ، أن يحسد قائله ويتمنى  
لو أنه له ، بإسمعه يقول : " أنشدني الصاحب نتفة له منها هذا البيت  
لئن هو لم يكف عقارب صدغه \* فقولا له يسمح بترياق ريقه  
فاستحمته جدا حتى حسمت من حسدى له عليه ، وودت لو أنه لى بألف بيت من  
شعري " (٣) . . واذ كان قول الخوارزمي هذا ليس فيه مبالغة ومجاملة للصاحب  
فما قيمة شعره بمد حكمه هذا ؟

ويقول عنه الثعالبي : " كان الأستاذ الطبرى يطرب على قول السمرى :

ومن ورا<sup>٣</sup> سجوف الرقم شمس ضحى \* تجول ففجفح ليل مظلم داجسى  
مقدودة خرطت أيدي الشباب لها \* حقين دون مجال العقد من عجاج<sup>(٤)</sup>

(١) نفس المصدر ٣/٣٤٣ .

(٢) نفس المصدر ١/٢٨٨ وأنظر " الأمير سيف الدولة الحمداني ص ٢٩٦ .

(٣) أنظر اليتيمة ٣/٢٧٩ .

(٤) أنوار الربيع ٤/٩٥ ، وخمس رسائل ص ١١١ .

ويبلغ به التأثر في بعض الأحيان ، أن يستسلم للبكاء فهو يقول :  
 " ربما أريد البكاء في بعض مواطنه فيمتنع علي ، فما أنا إلا أن أنشد أبيات  
 أبي الطمحان القيني " فيما بيني وبين نفسي حتى ينحل عقد الدمع .

ألا علانى قبل صدح النوائج \* وقبل ارتقا النفس فوق الجوانج  
 وقبل غد يالها نفسي على غد \* إذا راح أصحابي ولست برائج  
 إذا راح أصحابي تفيض دموعهم \* وفودرت في لحد علي صفائح  
 يقولون هل أصلحت لأخيكم ؟ \* وما اللحد في الأرض الفضا بمالج (١)

وله آراء في بعض أبيات شعراء عصره .. هي أقرب إلى طريقة القدماء من النقاد  
 العرب .. ولكنها تدلنا على ذوقه ومشاربه ، وخص مظهر عصره .

فهو يقول : " لخلي أحفظ في هجاء الممنين أكثر من مائتي بيت ليس  
 فيها أبداع وأوجز من قوله : " يعني منصور الفقيه المصري " .

وممن يارد النجمة مختل اليمين \* ما رأه أحد في دار قوم مرتين (٢)  
 ويقول : " غرر البحتری ووسائط قلائده وآيات قصائده أكثر من أن تحصى ، وعندى  
 أن أفصح أبياته وأبلغها وأجمعها للكثير من المعاني في القليل من الألفاظ ، قوله  
 فيمن يرضى بعد السخط ، وفي نفسه بقية من العتب :

تبليج عن بعض الرضى وانطوى على \* بقية عتب شارفت أن تصرم (٣)

أويقول : " عجبت لمن لا يرقص إذا سمع بيتي البحتری :

(١) من غاب عنه المطرب : " مخطوط " ورقة ٣٨ ، وبلغ الأرب ١٢١/٣ وقد انشأ  
 بالبيت الأخير .

(٢) أنظر الاعجاز والايجاز ( مخطوط ) ورقة ٦٨ - ٦٩ .

(٣) نفس المصدر ورقة ٦٢ .

يذكرنيك والذكري عنـا \* مشابه فيك طيبة الشـكول  
 نسيم الروض في ربح الشـطال \* وصبو المزن في راح الشـمول  
 فهما يطربان غاية الاطـراب \* وهذا كران فدر الشباب وقد را الاـعباب<sup>(١)</sup>

ويقول : " أمير الشعراء المصريين أبو الطيب وأمير شعره قصيدته التي أولها :

أزورهم وسواد الليل يشفع لى \* وأنثنى وياض الصبح يفري بى

وأغزل بيت للمصريين قوله :

قد كنت أشفق من دمعي على بصرى \* فالهيم كل عزيز بمدكم هانـا<sup>(٢)</sup>

ويقول : " أغزل المصريين السرى في قوله :

قسمت قلبي بين الهم والكمد \* ومقلتي بين فيض الدمع والسهد

ورحت في الحسن أشكالا مقسمة \* بين الهلال وبين الفصن والمقد

أريتني مطرا ينهل ساكبه \* من الجفون وبقا لاح في بـرد

ووجنة ليس يروى ماؤها ظمـثى \* بخلا وقد لذعت نيرانها كبدى

وكيف أبقى على ماء السنين وما \* أبقى الفرام على صبرى ولا جلدى<sup>(٣)</sup>

ويقول : " من أراد أن يسمع ما يقطر منه الظرف فليشـد قول محمد بن محمد

اليزهـدى في تحسين الفراق :

ليس عندي شـحط النوى بمظـم \* فيه غم وفيه كشف غمـوم

من يكن يكره الفراق فانـسى \* أشتهيه لموضع التسـليم

( ٤ )

ان فيه اعتناقا لـوداع \* ورجا اعتناق لقـدم

( ١ ) من غاب عنه المطرب " مخطوط " ورقة ٨ .

( ٢ ) خمس رسائل ص ٧٤ .

( ٣ ) من غاب عنه المطرب " مخطوط " ورقة ٢٦ - ٢٧ .

( ٤ ) تحسين القبيح " مخطوط " ورقة ١١٣ - ١١٤ .

ويقول الثعالبي : " كان أبو بكر الخوارزمي أنشدني لهما يسيرة من شعر أبي  
محمد ( الخازن ) كقوله في وصف غبار الركب - وذكر أنه لم يسمع في معناه أطلع  
منه وأجمع لأقسام الحسن والظرف :  
أن هذا الغبار ألبس عطفى سوادا ودينى التوحيد

وكما عارضني ثوب مشيب وردا<sup>(١)</sup> الشباب فض جديد

ويقول الخوارزمي : " أحسن ما قيل في مدح النساء قول الشاعر :

ونحن بنو الدنيا وهن بناتهن \* وعيش بنى الدنيا لقا بناتهن  
وأبلغ ما قيل في ذمهن :

ان النساء شياطين خلقن لنا \* فكلنا يتقى شر الشياطين<sup>(٢)</sup>  
ويقول : " لم يسمع في الاستهانة بالحبس والتجسد على عقوبة السلطان أحسن . .  
وأكذب من قول بعض الأعراب :

وما السجن الا ظل بيت سكنته \* وما السوط الا جلدة وافقت جلدا<sup>(٣)</sup>  
ومما يدل على فهم الخوارزمي لعلم النقد واشتغاله به ، كثرة ما رواه عن غيره من  
العلماء أمثال : محمد بن يزيد النهوي والحسن بن علي المهدي والمبرد ، ومحمد  
ابن اسحاق البقوي ، ومحمد بن رستم ، وأبو الحسن الأسدي ومحمد بن السخي ،  
وأبي الحسن الأنصاري ، وأبي أحمد محمد بن موسى الجريدي ، ومحمد بن أحمد  
أبو العينا . . وقد اعتمد المرزباني ( ت ٣٨٤ ) في كتابه الموشح كثيرا على هذه  
الروايات في ما أخذه العلماء على الشمرا<sup>(٤)</sup> وأن كان نقد المرزباني في موشحه  
يعد من النقد اللغوي .

( ١ ) البيتة ٣ / ٣٢٩ .

( ٢ ) شمار القلوب ص ٢٧٠ .

( ٣ ) تحسين القبيح " مخطوط " ورقة ١١٠ .

( ٤ ) أنظر الصفحات ٢٠ ، ٣٧ ، ٥٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٨ ، ١٤٢ ، ١٦٤ .

١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٦٨ ، ٣٠٥ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ .

٣٣٥ . وهو يسميه بمحمد بن العباس ( أبو بكر ) فقط .

## الفصل الخامس

( مكانته وموازنته بأدباء عصره )

احتل الخوارزمي في القرن الرابع الهجري مكانة عالياً بين الأدباء ، وخاصة في شرق الدولة الإسلامية ، ولم يكن عصره عصر ركود في الأدب أو قلة في الأدباء حتى يقال : إنما احتل هذا المركز لقلّة المنافسين ، وعدم وجود الفحول الكبار بل كانت الفترة التي عاشها الخوارزمي من أزهى عصور الأدب العربي . . . سوا من حيث التأليف والانتاج ، أو من حيث ظهور عدد كبير من أعلام الأدب نشره وشهره .

هذا ما يشهد به له معاصروه ومن بعدهم ، كالشعالي<sup>(١)</sup> ، والصفدي<sup>(٢)</sup> وابن الصاد<sup>(٣)</sup> وغيرهم . . . كما سنرى .

وما بين أيدينا من نتاجه - وهو ديوان رسائله وما جمعته من شعره ، وكتاب الأمثال - لا يؤمله لكل هذا الاطراء الذي سجله له المؤرخون وكتاب التراجم ، فرسالته في جملة رسائله - لا تمد وأن تكون رسائل اخوانية في أغراض شخصية تدلّغى عليها الصنعة البديعية ، وشعره الموجود بين أيدينا - رغم اجادته في بعض قصائده - لا يرقى الى مستوى شعر الفحول من الشعراء ، وكتاب الأمثال ليس له فيه سوى مقدمته الرائعة التي مرت معنا - والباقي إنما هو جمع وتنسيق ، ولكنه يدل على سعة اطلاع وقوة حافظته . . . وربما يكون له إنتاج غير ما وصل اليه ، أو أن هؤلاء الذين أشادوا بأدبه ومنزلته قالوا ذلك بناء على مقاييس عصرهم حيث كانت البراعة والاجادة في الافتتان في المحسنات البديعية ، واستخدام لغة الشعر ، وفيما له في تلك الرسائل الاخوانية

( ١ ) انظر البيهقي ١٩٤/٤ ( ٢ ) انظر وفيات الأعيان ٤٠١/٤

( ٣ ) انظر شذرات الذهب ١٠٥/٣ ( ٤ ) انظر مقدمة ابن خلدون ص ٥٠٢

والصهل الى الأسلوب الفكه السهل المحلى ارضاء للذوق العام الذى يغلب عليه الطابع  
الفارسى<sup>(١)</sup> فى تلك الأقاليم . . . بالاضافة الى أن الأدب أصبح حرفه يرتزق منها الأدبيون  
وندر من شهد عن هذا النهج .

أقول لعل الخوارزمى انما أشتهر من أجل هذه الاعتبارات التى تسايير  
أذواق وميول عصره . . . على أنه قد أدرك أن هذا ليس هو الأدب الجاد الرفيع . . .  
ولكنه أراد أن يشيخ وينفق أدبه ، ولن ينفق الا اذا جارى هذا الاتجاه . . . فلما  
أصبح هذا الأسلوب مسلما به ، يرضى أذواق الناس . . . حكموا له بالاجادة والتقدم  
لأنه أراضهم . . . وهذا ما أشار اليه الخوارزمى فى قوله : " ونحن نتعذر اليك من  
الحاجة الى جمع هذا الكتاب <sup>عليه</sup> لأجل أهل الزمان ، وخدم السلطان من الميل  
الى الأدب الرطب لسهولته ، والنفور من الأدب اليابس لوعورته . . . . . وانما  
الأدب لسان ، واللسان آلة ، والآلة تنفق بطلب الطالب لها ، ورغبته فيها ، كما  
تكسد برغبته عنها ، وانزوائه منها ، فالمهمل اذا احتيج اليه مستعمل والمستعمل  
اذا استغنى عنه مهمل . . . . . والسلطان متصرف على حكم حاشيته ويطانته ، وناظر  
بأعين كفايته وكتابه ، وجلبهم بل كلهم مائل عن موارد الجد الى حلاوة الهزل ، يستبشع  
الاعراب ويلعن الأعراب<sup>(٢)</sup> ولم ينل كل هذه المكانة بما ألفه وهنّب - كما سبق  
أن ذكرت . ولكنه نالها - فيما يبدو - ببلاغته وبيانه وفصاحته وقوة حفظه وتبحره  
فى علوم العربية . . . وما يلقى من محاضرات ويعطى من دروس . وتلك المحاضرات  
لم تجمع وتدون . وصهنة التدريس ، وحضور مجالس الوزراء والولاة ، واشتغاله بالقائه  
المحاضرات هى التى شغلته عن التأليف ، واستنفدت منه طاقته . . . ولواتجه  
للتأليف . كما فعل تلميذه الثعالبي - لكان لنا منه ذخيرة طيبة بالقياس الى ما أورده  
كتاب الأمثال . . . لسعة اطلاعه وتضلعه فى اللغة وآدابها . . . ولما اكتسبه من رحلاته  
المتعددة قولاً حاطته بالتراث العربى القديم ، ولمصاحبة كبار العلماء والأدباء فى عه

(١) انظر المصدر السابق ص ٥٠٢

(٢) مقدمة كتاب الأمثال ورقة ٣

فمن ترجم له — اذا — لم يحكم له بما ألقه فقط ، وإنما حكم له بما هو عليه من الفضل والتقدم في صناعة الرسائل ، وما يتعلّق به من أدب ، ومعرفة ظهرت لأبناء عصره من خلال تدريسه ومحاضراته ، ومناقشاته .

يقول فيه تلميذه الشعالي : " باقعة الدهر وبحر الأدب وعيلم النثر والنظم ، عالم الفضل والظرف ، وكان يجمع بين الفصاحة المعجبة ، والبلاغة المفيدة ، ويحاضر بأخبار العرب وأيامها ودواوينها ، ويدرس كتب اللغة والنحو والشعر ، ويتكلم بكل نادرة ، ويأتى بكل فقرة ودرة ، ويبلغ من محاسن الأدب كل مبلغ ، ويغلب على كل مجلس بحسن مشاهدته وملاحة عبارته ، ونفحة نغمته ، وبراعة جده وهزله " ( ١ ) .

ويقول عنه ابن خلكان : " أحد الشعراء المجيد بين الكبار المشاهير ، كان اماً في اللغة والأنساب وكان مشاراً إليه في عصره " ( ٢ )  
 ويقول عنه الحاكم صاحب كتاب " تاريخ نيسابور " : " اجتمعت معه نيسابور وبخارى ثم جاءنا الى ( نساء ) ولما اجتمع معي الا ذكرني بالأساس والكنى والأنساب حتى يحيرني بهذه الأنواع وكان واحد عصره في حفظ اللغة والشعر وكان قريضه يقصر عن شعره " ( ٣ ) .

ويقول عنه صاحب كتاب " احكام صنعة الكلام " : " ان أبا بكر من أفراد الدهر وأسماء النظم والنثر . . . وسأثبت له في هذا الكتاب ما يشهد بأنه من علية العلماء والكتاب " ( ٤ )  
 ويقول عنه معاصره التوحيدى : " كان الخوارزمي من أفصح الناس ما رأيت في المعجم مثله ، وكان الظاهر أن صاحبنا يعطيه لأدبه ويجيزه لشعره ويصطفيه لفضله " ( ٥ )  
 ومن آراء المحدثين فيه : — يقول زكي مبارك : " شخصية عظيمة من الشخصيات التي نهضت بالأدب العربي وشغلت الناس هداة أجيال " ( ٦ ) .

( ١ ) اليتيمة ٤ / ١٩٤ ، وانظر أعيان الشيعة ٤٥ / ٢٥٨ ، ٢٥٩ نقلًا عن شرح تاريخ العتبي لمحمود بن عمر النيسابوري .

( ٢ ) وفيات الأعيان ٤ / ٤٠١ ، وأنظر روضات الحنات ٢ / ٢٤ ، وشذرات الذهب ٣ / ١٠٥ وطبقات النخاعة ٥ / ١٣٥ ، اللباب ص ١٧١ ورسالة الجنان ٢ / ٤١٦ .

( ٣ ) نقلًا عن الأنساب للسمعاني ٥ / ٢١٣ . صاحب الزبير ص ٧٧

( ٤ ) احكام صنعة الكلام ص ١٢٤ ( ٥ ) ~~الذخيرة~~ ٢ / ٢٥١

( ٦ ) ~~طبقات النخاعة~~



ويقول محمد كرد على : " كان بما أتقن من علوم الآداب آية في فنه ، ومع أنه جرى طلقاً مع عاطفته ، فقد كانت رسائله مما يتعلم منه وقليل في حملة الأقلام ممن جود تجويده " (١) .

ويقول فيه أحمد أمين " رحل كثيراً الى الأقطار ، وعدّ شيخ الأدباء واعترفت له الأقطار المختلفة بالفضل والبلاغة " . (٢)

وفيه يقول آدم مترز : " كان أبو بكر الخوارزمي أشهر كتاب الرسائل الاخوانية وقد ظل زماناً طويلاً أكبر كتاب العرب " . (٣)

ويقول شوقي ضيف : " كان الخوارزمي من كبار الأدباء في عصره وكان أستاذاً كبيراً اشتهر بالبلاغة والبيان " . (٤)

ويقول عباس طه فيه : " الأستاذ الكبير والعلامة الخطير . . . ظهير الأدب وظهره (٥) من علق ذكره بضاط الجوزاء . . . الشاعر الذي لا يطاول والناثر الذي لا يبارى ولا يجارى " .

ويقول زكي مبارك عن نبوغه الأديبي : " ان له بلاغه خاصة ترضى له التفرد والاستقلال والنسوغ الأديبي هو ذلك . . . . فليس يطلب من الكاتب أو الشاعر أن يفوق جميع معاصريه ليوصف بالنبوغ ، ولكن يكفيه أن يكون ينبوعاً مستقلاً يشعر الناس بوجوده الخاص ، ويحسون فقده ان حجب عنهم فيضه النسيير " . (٦)

هذا مجمل لأراء الكتاب قدماً ومحدثين - في مكانة الخوارزمي وهي كما رأينا تجعله من الطبقة الأولى ، وتشهد له بالبراعة والتقدم ولكن الشيء الذي لم يتعرض له هو لاء الكتاب والذي يهمنا أكثر هو موازنته بغيره من أدباء عصره . . فلم يكـد معاصروه من النقاد والأدباء لموازنوا بين كتاب ذلك العصر أو يقسموهم الى طبقات ليتضح الفاضل من المفضول بل كان اهتمامهم بالشعر أكثر من اهتمامهم بالنثر . . ولعل

(١) مجلة المجمع العلمي بدمشق م ٢٣ ص ٣٤٥ (٢) ظهير الاسلام ٩٧/٢

(٣) الحضارة الاسلامية ٤٥١/١ (٤) الفن ومذاهبه في النثر

(٥) مجلة الأزهر جزء ٣٠ السنة الرابعة والثلاثون أكتوبر ١٩٦٢ م

(٦) النشر الفني ١٥٩/٢ .

لنقاد العصور السابقة لمصر الخوارزمي الحق في الاهتمام بالشعر أكثر من اهتمامهم بالنثر ، لأن الشعر في تلك العصور مقدم على النثر وله في نفوس القوم المكانة الأولى أما في القرن الرابع فقد توازنا في المنزلة والمكانة بل لقد فضلوا النثر على الشعر ، خاصة في المشرق وجعلوا منزلة الأدباء فوق منزلة الشعراء لأنهم أدركوا الدور الذي يلعبه الكتاب في الساحة الأدبية والسياسية والاجتماعية وهذا ما يعرب عنه الثعالبي أحد نقاد تلك الفترة بقوله :

” ولم تزل طبقة الكتاب مرتفعة على طبقات الشعراء فان الكتاب - وهم السنة الملوك - انما يتراسلون في جباية خراج أو سدّ ثغرة أو عمارة بلاد أو اصلاح فساد أو تحريض على جهاد أو احتجاج على فئة أو دعاة الى ألفة ، أو نهبي عن فرقة أو تهئية بحموية ، أو تعزية في رزية ، أو ما شا كل ذلك من جلائل الخطوب ، ومعظم الشئون التي يحتاجون فيها الى أن يكونوا ذوى آداب كثيرة ومعارف مغنية وقد وسعتهم خدمة الملوك شرفها ، ووفّتهم منازل رياستها ، وأخذواهم عالية بحسب علو الجحظ ما يفيضون فيه ويذهبون اليه .

والشعراء انما أغراضهم التي يرمون نحوها وغاياتهم التي يجرون اليها ، وصف الديار والآثار ، وذكر الأوطان والحنين الى الأهواء .

... ومصادرة الكتاب ليست من أفعال ذوى الألباب ، وان مجاراتهم <sup>(١)</sup> نداسة ،

ومسالتهم سلامة ، ومصادقتهم فائدة . . . وما ظنك بقوم يملكون أزمة المنى والمنايا <sup>(٢)</sup>

ومن الملاحظ أن الثعالبي خلط بين أغراض الشعر وأغراض النثر فقد نزع بعض

أغراض الشعر وأعطاهما للنثر وهو ما كان عليه أدباء ذلك العصر حيث استخدما

أغراض الشعر وخياله ولغته في النثر الفنى . .

(١) كذا بالأصل ولعل صحتها ” مجاراتهم ” .

(٢) نشر النظم ص ٣ - ٤ .

ونعود فنقول : إنه بالرغم من حكم النقاد للكتاب على الشمره ، فانهم لم ينالوا منهم العناية التي نالها الشمره من دراسة وافية لنثرهم أو موازنتهم ببعضهم . . . ولو فعلوا لقد موا للأدب خدمات جليلة ولأفاد ونا فائدة عظيمة ، لأنهم أعرف بهم لصاصرتهم إياهم ، وليسبب آخر منهم هو أن انتاجهم كان بين أيديهم كاملاً . . . بعكس من يتعرض لموازنتهم في الوقت الراهن . . . فلم يصلنا انتاجهم كاملاً ، وبعضهم لم يبق لنا من انتاجه سوى شواهد فقط كابن العميد .  
( ١ )

ومن يتصدى للموازنة بين أدبين أو أكثر فأهم ما يطبق للحكم عليهم هو انتاجهم الأدبي .

وإذا رجعنا إلى ترجمة أولئك الأدباء في كتب معاصريهم ، لنوازن بينهم منها ، لا نجد ما يدلنا على هذا الغرض . . . فالتعالى إذا ترجم لأحدهم كال له من المدح والاطراء ما يظن معه أنه يفضله على غيره ، فإذا انتقل إلى ترجمة آخر ، أعطاه نفس الصفات أو زاده عليها . . . فقد مرت بنا ترجمته للغوارزى . . . التي توهمنا بأنه يقدمه على غيره من أدباء عصره .

ولكننا حين نقرأ ترجمته لكتاب آخر يتغير رأينا فيما ظنناه أو نحترق فبين هو أفضل من الآخر عنده . فهو يقول في بديع الزمان الهمداني مشحلاً :

” . . . معجزة هذان ، ونادرة الفلك ، وبكر عطار ، وفرد الدهر ، وغرة العصر ، ومن لم يلق نظيره في ذكاء القريحة ، وسرعة الخاطر ، وشرف الطبع وشفاء الذهن وقوة النفس ، ومن لم يدرك قرينه في ظرف النثر وملحه وحرر النظم ونكته ” .  
( ٢ )

ويقول في الصاحب : ” ليست تحضرنى عبارة أرضاها للانصاح عن علو محله فى

العلم والأدب . . . . . بلغ من البلاغة ما يعد في السحر ، ويكاد يدخل في حـد الإعجاز ، وسار كلامه مسير الشمس ونظم نا يحيى الشرق والغرب " . ( ١ )

ويقول عن القاضي الجرجاني علي بن عبدالمزيز : " حسنة جرجان وفرد الزمان وانسان هدفة العلم ودره تاج الأدب وفارس عسكر الشعر ، يجمع خط ابن مقله الى نشر الجاحظ ونظم البحترى ، وينظم عقد الاتقان والاحسان في كل ما يتماطاه " ( ٢ ) . . . . . وكان الثعالبي ألهاء اصطلياد السجع عن تحرر الصفات التي تميز كل كاتب عن الآخر ، أو لعله لم يقصد أن يوازن بينهم . . . . . وانما أراد بيان فضل كل منهم . . . . . وهم لا شك أهل فضل ومنزلة لا تنكرو . فأضفى على كل منهم من هذه الصفات التي تصدق على الكل .

وكما لم يوازن النقاد والمؤرخون القدامى بين أولئك الكتاب فعمل نفس الشيء كتابنا المعاصرون الذين تجنبوا الغوض في هذا المضمار . . . . . قلم أجد منهم من حاول مثل هذه المحاولة . . . . . مع قيمتها . . . . . وحتى زكي مبارك حين درس النثر الفنى في القرن الرابع الهجرى دراسة وافية ، لم يشأ أن يطرق هذا الموضوع مع أنه خبير من كتب عن النثر في هذه الفترة . . . . . وأكثفى بأن قال في مجال الموازنة : " الكتاب صاحب الشخصية فيما نريد هو الكاتب الذى يمتاز أسلوبه ، وتفكره بخصائص ومميزات لا يمثلها كاتب سواه ، وكذلك كان الخوارزمى . فهو في نثره عقل قوى يمتاز عن المقول التي سبقت أو عاصرت ، وليس معنى ذلك أنه يفوقها جميعا ، فهو دون ابن الحميد في سمو الغرض ، ودون بديع الزمان في حلاوة التعبير ودون التوهيدى في وفرة الحصول " . ( ٣ )

وليس معنى انتقادى للمؤرخين والكتاب قداما ومعاصرين في عدم التصريح

( ٢ ) نفس المرجع ٣ / ٤

( ١ ) نفس المرجع ٣ / ١٩٢ - ١٩٣

( ٣ ) النثر الفنى ٢ / ٣١٦ .

لهذه الدراسة أنتى سوف أتى بما لم تستطعه الأوائل ، فانى أدرك صعوبة هذه الدراسة وتشعبها وما تحتاجه من جهد كثير ودربة ودراية بأدب المصر وأدبائه ، ولكنى أردت أن أبين أهمية هذه الدراسة وما تستحقه من عناية الدارسين وهى محاولة رائدة وجيدة لمن أراد افرادها ببحث خاص اذ هى تصلح أن تكون رسالة بذاتها وهى تختلف عن موازنة الشعراء لوجود مفاييس للشعر يمكن موازنة الشعراء على أساسها .

وسوف أقصر القول فى موازنة الخوارزمى بغيره من أدباء عصره على ثلاثة من أعلام هذا العصر — : ابن العميد والصاحب ويدع الزمان وما سوف أصدره من أحكام انما هى انطباع شخصى لقراءتى لبعض انتاج هؤلاء الأعلام ، وسوف أوازن بين هؤلاء من حيث . . . وفرة المحصول ، والجودة الفنية ، ومن حيث المكانة الأدبية التى حققها كل منهم —

الخوارزمى وابن العميد :

لا نعرف من انتاج ابن العميد الا ديوان رسائله الذى يذكر بروكلمان أنه مخطوط فى بوهار — ٤١٢ ، وفى (أمروزيانا) ١٢٥ — وفى مكتبة سيلان (١)

ولذلك فالخوارزمى يتقدمه من هذه الناحية ناحية الكم ، اذ أن له ديوان رسائله وه ديوان شعر وكتابا فى الأمثال . . . بالاضافة الى الكتب التى نسبت اليه والكتب التى لا تزال مخطوطة ، ورجحنا أنها له والتى ذكرت له ولم نعرض عليها .

وأما من حيث الجودة الفنية والقيمة الأدبية والعلمية فيمكننا من خلال ما وجدنا لابن العميد من رسائل وقصائد متفرقة — أن نقول : ان نشره كان قويا محكما وقد تماثل فيه فن التصنيع لأنه احتكم الى السجع والبدع . . . وهو يهتم فى كتابته بالأمر الوجدانية والمقلية ولم يجعل اهتمامه منصبا الى الضمة البدعية وهذا ولعل رسائله اليونانية

أقوى من رسائله الاخوانية فقد روى عن أحد الخارجين - وقد وجه اليه ابن العميد رسالة تهديد - أنه قال : " لقد ناب كتابه عن الكتاب في عرك أدبي واستصلاحى وردى الى طاعة صاحبه (١) - وكان يدعى الجاحظ الأخير (٢) .

وكان يقال : بدئت الكتابة بمبد العميد وختمت بابن العميد .

ويصف زكى مبارك نشر ابن العميد بأنه ليس زعزعا براقا ولا ثروة لفوية يكثر بها الكتاب (٣) . . ويقول عنه آدم متر : " انه كان من الكتاب الذين يتكون السجع ويتجنبونه " (٤) .

ولكن طابين أيد بنا من نشره ليس كما قالوا فهو يلتزم الأسلوب المسجوع المحلى بأفانين البديع . . ولذلك عدّ مؤسس مدرسة التصنيع (٥) - التى تخرج فيها المصاحب والهورزى والبديع وغيرهم .

على أن اتفان ابن العميد هذا الأسلوب فى كتابته قد يعد عليه لا له . . فبالرغم من أنه بدأ على يديه خفيفا الى حد ما فانه انحدر - فيما بعد - بالنشر المرين الى مهاوى الاسفاف ولم ينك عنه الا مع بداية النهضة الحديثة . .

فنشر ابن العميد اذا مسجوع ولى بأنواع البديع . . غير أن أسلوبه كان محكما قويا . . وأغراضه سامية رفيعة بسبب مركزه الذى كان يحتله ، ليس فى كتابته نل ولا خضوع ولا اسفاف . . لأنه فى الموضع الذى يذل له الناس ولا يذل لهم . وهذا هو الفرق بينه وبين الهوارزى . . الذى جعل نشره فى خدمة مصالحه الخاصة . .

(٢) نفس المرجع ١٥٨/٣

(١) اليتيمة ١٦٩/٣

(٣) انظر النشر الفنى ٢٤٥/٢ - ٢٤٦ (٤) انظر الحضارة الاسلامية ٤٤٦/١ نقلا

عن مقدمة الخطب لابن نبات ص ١٦

(٥) انظر النشر الفنى ٢٤٥/٢ والفن ومذاهبه فى النشر المرين ص ٢٠٩

ونجد في رسائله كثيرا من التضمينات الشعرية والأمثال .  
غير أن الخوارزمي أكثر تضمينا منه لأطياب الشعر ومختار الأمثال والحكم ، وكان ابن  
المعدي واسع الثقافة في النحو والصرف والاشتقاق واللغة والفريغ وتأويل القرآن  
واختلاف فقهاء الأمصار وقد يشاركه الخوارزمي في هذه العلوم أويزيد عليه ولكنه  
يمتاز عن الخوارزمي باتقانه للهندسة وعلم المنطق والألأهيات والرياضيات . (١)  
فلم يعرف عن الخوارزمي أنه يجيدها ، غير أن سمة ثقافة ابن المعدي هذه لم تنتج  
لنا ما يدل عليها من المؤلفات . .

وقد أسهم كل من ابن المعدي والخوارزمي في النهوض بالأدب . . أما  
الخوارزمي فهتدرسه ومحاضراته ومؤلفاته كما سربنا

وأما ابن المعدي فجأه ومنصبه وإكرامه لأهله بالاضافة الى أنه كان يعرته  
أما من أئمة الأدب في عصره — ولعل الخوارزمي أصدق نفسا في شاعريته  
النثرية على أنه دونه في فحولة اللفظ . (٢)

وشعر الخوارزمي في جملة ي فوق شعر ابن المعدي وان كان ما أثر من  
شعره محصور في الاخوانيات والمفاكيات . (٣)

وقد رأينا المكانة التي كان يحتلها الخوارزمي بين معاصريه وهي مكانة اكتسبها  
بصلته وأدبه . .

ولا بن المعدي والصاحب مكانة ان لا تواز مكانة الخوارزمي فهي تفوقها .

(١) انظر النثر الفنى ٢٣٥/٢ واليتيمة ١٥٨/٣

(٢) انظر المرشد الى فهم أشعار العرب ٣/٣ - ٨٠٣ - ٨٠٤

(٣) انظر اليتيمة ١٧٠/٣ فما بعدها .

غير أن شهرة هذين الوزيرين في الأدب كانت مرتبطة - إلى حد ما - بشهرتهما في السياسة وبما كانا يتمتعان به من مكانة اجتماعية عالية ، بفضل ما حولهما أيما البيهيون ، وبفضل ما بذلا من عطاء أرضوا به الخاصة والعامة ، ولهذا فسان في كثير من أقوال من ترجموا لهما شيئا من المبالغة والمجاولة التي استدعاها ما كان عليه من الثروة والمنصب .

والشعالي يلقب الخوارزمي في بعض كتبه بالوزير حيث يقول عنه : " وكتب الوزير أبو بكر الخوارزمي (١) ومع أن لمباراة الشعالي مدلولها . . . إلا أن هذا الجانب من حياة الخوارزمي يمدد من الجوانب التي نجهلها عنه حتى الآن .

#### الخوارزمي والصاحب :

أما الصاحب فيفوق الخوارزمي في الانتاج . . فقد بلغت مؤلفاته ورسائله أربعة عشر مؤلفا ورسالة في شتى العلوم . . وان كان نصيب الأدب منها قليلا . فمنها ديوان رسائله وديوان شعره ، والكشف عن مساوئ شعر المتنبى . . . (٢)

ولكن الخوارزمي يفوقه في الناحية الفنية والعودة الأدبية . فقد كان تكلف الصاحب واستغافه أحيانا أشد مما وصل إليه الخوارزمي بالرغم مما كان يتمتع به من شهرة ومكانة فأدبه أقل من شهرته .

فقد أغرم بالسجع غراما استهلك معانيه وهوى بنثره في الفموض والتعقيد إلى حد الافراط ، وفق ذلك تروى له حكايات وتكتب (٣)

(١) تحفة الوزراء (مخطوط) ورقة ١٧

(٢) انظر "الصاحب ابن عباد حياته وأدبه" ص ٢١٤ وما بعدها .

(٣) انظر نفس المرجع ص ٢٦٣ وما بعدها . والحضارة الاسلامية لآدم متز ١/٤٤٦ ، ٤٧٤



ولعله الأستاذ الثاني في مدرسة ابن العميد لأن كتاب عصره أخذوا يقلدونه متأثرين بجاهه ومنصبه وغناه - والناس على دين ملوكهم - ولا يستطيع أن أحط من قيمة أدب الملاحب لالتزامه بالسجع ، فلم يكن وحده في هذا الشأن ، ولكن افراطه فيه أغرّه في رأيي - عن منزلة ابن العميد وحتى عن منزلة الخوارزمي وديع الزمان .

أما من حيث المكانة . . فقد كان الصاحب من أشهر الشخصيات في القرن الرابع رفع بجاهه ونفوذه طوائف كثيرة من المتأدبين . وكان واسع الثقافة كما تصفه المراجع القديمه .

غير أن مكانته الأدبية مرتبطة بشهرته وجاهه وغناه ومنصبه . كما كان الحال مع ابن العميد .

الخوارزمي وديع الزمان الهمداني :

وهنا يمكن أن تكون الموازنة أقرب للواقع حيث كان الأدبيان يعيدان عن المناصب ولم يكونا يوزعان الأعطيات والأموال على الناس ليكسبا رضاهم .

فما كسباه من شهرة ، ومكانة ، وذكر ، إنما هو بفضل اجادتهما لفنون الأدب وعلوم الصريفة .

فمن حيث الانتاج فهم على السواء - حسب ما وصلنا من انتاجهم - فقد عرفنا كتب الخوارزمي ، وللدبيع ، ديوان شمر ، وديوان رسائل ، وكتاب في المقامات .

وأما من حيث الاجادة والاسهام في خدمة الأدب فلكل فضائله ، فديع الزمان أخف روحا وأسهل أسلوبا في نثره من الخوارزمي ، ولكنه يمد أكثر التزاما للسجع والصنعة اليدوية . . حتى وصف أحد المماصرين نثره بأنه أقرب

(١) للتكلف والتصنيع من نشر الخوارزمي وأنه من أهم من رشحواً لمذهب التصنيع وظهوره  
 وعد آخر رسائله أكثر التسواء وتكلفاً من رسائل الخوارزمي (٢) ومع ذلك فإنا نجد له  
 ذوقاً في انتقاء الألفاظ الموسيقية المذبة، الحلوة الوقع على الأذن . . . يمسرف  
 متى تمل السجعة فيغيرها ، فيخفف بذلك من ثقل الصنعة . . . كما أن له غيـال  
 مبدع يولد الصور في غفة ورشاقة . . . ومقاماته أكبر شاهد على ذلك .

وبينما نرى الخوارزمي يعتمد في رسائله على الطباق والسجع بين الميـارات  
 كقوله : " وقد كنت أعيب من الشعراء من مدح انسانا ثم هجاه . . . حتى بليت  
 الآن بهجاه الدهر وطالما صالحته . . . قد تصرفت للشيخ عوارف حيرتني بسين  
 طيها ونشرها ، ورجحت بين تركها وذكرها . . .

فقد أسكت الشيخ لسانى من حيث انطقه ، وحصر بنانى من حيث أطلقه ، حتى  
 لقد حسدنى عليه الأقارب ، وتصرف اللى فيه الأجانب ، وها بنى ورجانى منذ عرفته  
 الحاضر والفائب " . . . نرى البديع يعتمد على الجناس ، كقوله : " فما ترك لى  
 قضة الا فضها ، ولا زها الا ذهب به ، ولا علقا الا علقه ولا عقارا الا عقره " . (٤)  
 والسجع بين الكلمات والألفاظ كقوله : " وأليفه رغيغه ، وأنيسه كيسه ، وأمنيته يمينه  
 ودنانيره سميره " . وهو كما ترى جناس غير كامل . . . كما يميل الى الاغراب فى مثل  
 قوله : " ويمسرف غيره من نفسه ، ويعلم أنها حب وراء القلب ، وقلب وراء الحب ،  
 وحب وراء المظم ، وعظم وراء اللحم ، ولحم وراء الجلد ، وجلد وراء البرد ، ويرد  
 وراء الهمد " . . . فى حين نجد الخوارزمي يميل الى الوضوح فى كل رسائله . . .  
 ولكن البديع يفضل الخوارزمي بجهوده فى بروز فن المقامات ، واتجاهه نحو الحكاية  
 والقصبة . وهذا ما رفعه على أدباء عصره وليس على الخوارزمي وهنده .

(١) انظر الفن ومذاهبه فى النثر العربى ص ٢٤٢ (٢) انظر الـضارقالا سلامية لاد ممتزا  
 (٣) رسائل الخوارزمي ص ٧٢ ، ٧٣ (٤) رسائل بديع الزمان ص ٤٩  
 (٥) بديع الزمان رائد القصة ص ١٧٠ (٦) رسائل بديع الزمان ص ١٧٧

أما شعره فأقل جمودة من شعر الخوارزمي بالرغم من تطرفه فيه وخفة روحه . .  
فيكاد شعره أن يتجزد من الماطفة الشعرية الحارة . كقوله في رثاء صاحب له :  
(١)

لئن أحرزك الداعى	لقد أحرزنى الناعى
وان متّ بجمججاع	لقد بتنا بأوجاع
وقد ينقسم الصوت	الى عدة أنواع
أرب القصر والمنظ	رما بالك بالقاع
أيا من دونه الصوت	بنفسى وأشياعى

.....

سأبكيك عن الدنيا	وعن سبعة أسباع
وعن سائر أبيات	وعن نادر اسجاع
ولما بكر الناعى	وصمتان الداعى
لظننا وتناوحننا	بألحان وايقاع

وفي شعره فوط تكلف في الألفاظ والمعانى . . وأحيانا يحاول أن يهبط  
مقدرته ومعرفته لعلم اللسان ، فيكتب مثلا قصيدة مصرية من الواو ، وهو ما عجز  
عنه صاحب بن عباد .  
(٢)

أما شعر الخوارزمي وقد مرت بنا أمثله ، فلا ينزل الى هذا المستوى ولا شك  
أن مساهمة الهديج في خدمة الأدب تفوق ما أسهم به الخوارزمي ، ويكفيه من ذلك  
أن فن المقامات نضج على يديه ، وأنه يعدّ المؤسس الأول لهذا الفن .

كما أنه رسم للكتاب طريق القصة ، بما أبدعه في مقاماته ، وان كان لطول حياة  
الخوارزمي وانقطاعه للتعليم ، والدرس ، والمحاضرة ، خلال تلك الحياة الطويلة

(١) بديع الزمان الهمداني راعد القصة ص ٣٣٠ - ٣٣١ . نقلا عن ديوان بديع

الزمان ص ٥١ - ٥٣ .

(٢) انظر الحضارة الاسلامية لآدم فنرا ١/٤٦١ .

فضل على أهل زمانه ولها أثرها في النهوض بالأدب ، واستفاد منها طلاب العلم والأدب في بلاده .

وقد تساوى في المكانة والشهرة ، وان كانت شهرة البديع ومكانته انما قامت على أنقاض شهرة ومكانة الخوارزمي — كما رأينا — في نتيجة مناظرته له .

## الخاتمة

أبو بكر الخوارزمي هو الأديب المشهور والشاعر المعروف ، محمد بن . .  
 المباس أصله فارسي من طبرستان . . ولد بخوارزم سنة ٣٢٣ هـ خلافا لمن ذهب  
 الى أنه لا تعرف سنة ولادته ، وتوفي سنة ٣٨٣ هـ كما أثبت خلافا لمن رأى أنها  
 سنة ٣٩٣ هـ .

وقد نشأ الخوارزمي في عصر عرف في التاريخ ( بعصر الديوليات ) وذلك  
 أن الخلافة في القرن الرابع الهجري تجزأت الى عدة ديوليات مستقلة ، أو شبه  
 مستقلة عن الخلافة العباسية ، وكان لهذا أثره على مسار الأدب وازدهاره ،  
 وتمدد بيئاته . . كما كان له أثره على حياة الناس الاقتصادية والاجتماعية ، حيث  
 جرت الحروب التي قامت بين تلك الديوليات على البلاد المجاعة والدمار في بعض  
 الفترات وتولى حكمها - في الأقاليم الشرقية - ولاة وحكام أعاجم ، مما أضعف  
 الروح العربي وجعل السيطرة فيها للروح والذوق الفارسيين ، فقد وجه أولئك  
 الحكام ووزراؤهم - رغم رعايتهم للأدب - الأدباء الوجهة التي تخدم مصالحهم ،  
 وترضى رغباتهم ، من الإغراق في المدح ، والاهتمام بالشكليات ، وقصد . . .  
 التسلية والهزل ، على حساب الجد في الفكر والقول ، وكان لتمدد البيئات  
 الثقافية الناتج عن تجزؤ الخلافة العباسية الى ديوليات أثره في ازدهار  
 الأدب ورواجه ، وفي نشاط حركة التأليف . . ذلك أن أولئك الحكام والأمراء  
 المتناهرين ، شمل تنافسهم النواحي الأدبية والعلمية ، فاستكثروا من . .  
 الأدباء وأجزلوا لهم العطايا ، وشجعوهم على التأليف باسمهم ، كما اعتنوا بالكتب  
 وأنشأوا لها المكتبات الكبيرة .

وقد طوف الخوارزمي في الأفاق فرحل الى الشام والصراق وفارس ، علما

ان الأقاليم الفارسية كانت تنقسم الى عدة مراكز ثقافية حسب تمدد الدولات بها  
فمنهاك حضرة صاحب ، وحضرة عضد الدولة ، وحضرة البلصى ، وحضرة أبى  
نصر الميكالى ، وحضرة طاهر بن محمد وغيرها .

ولكن حضرتى سيف الدولة بحلب ، والصاحب باصفهان ، استقطبت جيل  
أدباء تلك الفترة غير أن الفرق واضح بين أدب بيئة الشام وما جاورها ،  
وبين بيئة فارس . فرغم أن حضرة صاحب كانت توازى حضرة سيف الدولة من  
حيث عدد مراتديها ، بل ان كثيرا من كانوا فى بلاط سيف الدولة ، انتقلوا  
اليها بعد موته ، فان نتاج البيئات الفارسية من الآداب لم يبلغ ما بلغته  
الآداب الشامية وخاصة فى الشعر ، وكان سبب ذلك هو غلبة الروح الفارسية  
على تلك الآداب . . خاصة وأن جيل سكان تلك الأقاليم هم من الأعاجم ، وان حكاهم  
غير عرب . مما دعا الأدباء الى مراعاة تقاليد تلك البلاد ، وتلبية رغبات  
أولئك الحكام من اشباع رغبة المدح فى نفوسهم ، وقصر أدبهم على الاشادة . . .  
بماثرهم ، أو صرفه للتسلية ، وكان العصر عصر مناظرات ، تلك الظاهرة التى  
تمتد جذورها الى العصر الجاهلى ، فيما عرف عند العرب من المفاخرات  
والمناظرات ، مروراً بالعصر الاسلامى الذى وجدت فيه هذه الظاهرة مجالا واسعا ،  
خاصة بعد ظهور المذاهب الجديدة والأحزاب السياسية كالخوارج والأموهيين  
ثم تفشت هذه المناظرات فى العصر العباسى وشملت شتى فروع المعرفة ، واتخذها  
المعتزلة منهاجاً للدفاع عن مذاهبهم ، وأقاموا لها قواعد وأصولا ، تمثلت فى ظهور  
علم جديد هو " علم الكلام " .

وكانت مجالس الخلفاء والوزراء ، الميدان الفسيح الذى كان يتبارى فيه  
المتناظرون فى كل فن . . فالمنطقى الفيلسوف يناظر النحوى ، وحللى اثبات قيمة

علمه الذي اهتم فيه وحاجة الناس اليه ، وفضله على غيره . . واللفوى  
 يناظر عالما آخر في نفس اختصاصه ليظهر قدرته وعلمه على مناظره ، مثل ما كان  
 بين المبرد وشعلب ، واشترك الأديبا والنقاد في هذا المعترك . فكان ما كان  
 بين الحاتمي والمتنبي ، ثم كانت تلك المناظرة الشرسة التي شادت بين  
 الخوارزمي وديع الزمان الهمداني .

أما حياة الخوارزمي الحامة ، فلم يكن فيما أوردته كتب التراجم من تفاصيل  
 عن حياته ما يعطى الصورة الكاملة عن كل جوانبها . فأكثرها يكتفى بذكر تاريخ  
 ولادته ووفاته ، وان تحدى ذلك فإلى اشارة عابرة ضمن عبارات موجزة يغلب  
 عليها الاطراء . . وعمل نفس الشيء\* من ترجموا له من المعاصرين . . ولكن  
 بمعارف حديثة . . حتى أن بعضهم تشكك في تاريخ ولادته ، وأكثرهم يمتدد  
 بين جعل وفاته سنة ٣٨٣ هـ وبين سنة ٣٩٣ هـ .

ولقد تلقى ثقافته اللغوية عن ابن خالويه اللغوي المشهور وهو بحسب  
 كما تلقى الحديث وعلومه عن أبي علي اسماعيل بن محمد الصفار في بغداد . وبقى  
 ثقافته ذاتية . اعتمد فيها على قراءة كتب التراث ، ولذلك كانت مستمدة من  
 التراث القديم . . ثم أنه استفاد من ارتياده لمجالس العلماء والأديبا في عصره ،  
 سواء في حلب أو بغداد أو غيرها من بقية المراكز الكثيرة في فارس .

وكان يتمتع بحافظة قوية جعلته يستوعب تلك الثقافات وتمثلها ويودعها  
 أدبه . فرسائله مليئة بالحكم والأمثال البليغة ، والأبيات المختارة ، والمعارف  
 المتنوعة ، ولقد أسهم في الأدب نشره وشعره ، وترك لنا ديوانين فيهما ، وكتابا  
 في الأمثال ، كما شارك في علم الأنساب ، واللفظة والنقد ، مما جعله من أكبر  
 علماء تلك البلاد التي تهاافت عليه أهلها ، لطلب العلم ، والتعلم عليه ،

وخاصة أولاد الأُمراء والقواد ووجوه القوم . . ولهذا فقد كثر تلاميذه وبلغوا  
أعلا المراكز في تلك الدويلات ، يدل على ذلك كثرة رسائله إليهم . . ولعل أهم  
العوامل التي أسهمت في ثقافة الخوارزمي تلك الرحلات التي قام بها في حياته .

فقد انتجع بلاط سيف الدولة ، وهو غرض الشباب ، بعد أن آتس من  
نفسه الصحافة والرشد ، فاجتمع هناك بأعلام الأُدب واللغة والشعر والنقد  
وشتى فروع العربية ولكننا لم نجد له مشاركة مع أولئك الفحول ولعله أدلى  
بداوه معهم فضع ما قال في خضم انتاج أولئك الجهادية العظام .

ومر ببغداد وأقام بها واستفاد من علماءها . ولما اشتد عوده ، واستوت  
ثقافته عاد الى فارس ، وهو يشمر أنه أديب عصره على الاطلاق ، وظن أن السولة  
سوف يفرشون طريقه خزا وحريرا ، ولكنه شعر بالخيبة حينما وجد هم لا يقدر  
الأُدب الا بقدر ما يبلغ في مدحهم ، وتلقهم ، ومجايلتهم ، وهذا يخامر  
مارآه من حكام حلب أولئك الذين يعطون على قدر الاجادة ، وهمومون من يصدق  
في مدحهم ، ويميزون جيد القول من رديئه .

فكان أول اتصال له بأبي علي البلعمي الذي لم يعرف قدره ولم يحقق له  
آماله . فقارقه مغاضبا ، وحاول البلعمي استعطافه ، ولكنه أبى أن يعود اليه  
فيرا أن أبا نصر الميكالي عوضه عما فاته لدى البلعمي ، فلقد أكرم مشواه وتمرفا في  
حضرتة بوجوه نيسابور وصاحبهم ، فطاب عيشه ، ولعل أبا نصر هو الوحيد  
الذي لم يشب كرمه للخوارزمي بالاهانة ، فقد بقي الخوارزمي يثنى عليه ويقسول  
فيه أجود شمره . .

ولكن حبه في الترحال دفعه الى حضرة طاهر بن محمد بسجستان حيث . .  
أودعه السجن ، وبعد خلاصه منه عاد ثانية الى نيسابور بقي بها حتى جذبتة



حضرة الصاحب بن عباد ، وهناك طاب عيشه بما أغدقه عليه الصاحب من عطايا جزيلة لا يعطياها الا الملوك ، وكان من فضله عليه أن أوصله بمعضد الدولة بشيراز الذي أجرى له راتبا يصله الى نيسابور كل عام .

وهكذا وصل الخوارزمي الى أكبر شخصيتين عرفتا في ذلك الجزء من العالم الاسلامي ، فنال إعطياتهما ، وقد ماه على غيره من الأتباع . وقد كافأهما بقصائد ورسائل حبرهما في مدحهما ، وخاصة في الصاحب ، أشادت بذكوره ونوهت بكرمه . . ثم سعى به الى الوزير المتبى فأمر بسجنه وأخذ طاله ، الا أنه استطاع أن يتخلص من السجن بحيلة ، وأتفق أن قتل العتبي وجاء بعده المزنى وكان أشد الناس حبا له فزاد في إكرامه ورد ما أخذ من أمواله .  
ويذكر المؤرخون أن جفوة حصلت بين الخوارزمي والصاحب ولم يذكروا سببها . . مع أننا لم نجد ما يثبت هذه الجفوة عند تلميذه الشعالبي ولا في أدب . . .

الخوارزمي نفسه سوى نديك البيتين الذين تناقلها الناس في هجاء الصاحب ، وعلى كل فقد بقي الخوارزمي بخير حال ، يحاضرهم على ، ويدرس ، ويؤلف ، حتى بلي في آخر أيامه ببديع الزمان الذي تحرش به ثم الجأه الى مفاظرتة ، وقد مات الخوارزمي اثر هذه المناظرة قهرا وكدا ، كما يذكروا المؤرخون .

وقد بلغت مؤلفات الخوارزمي أحد عشر كتابا ، ثلاثة منها نسبت له

خطأ هي :

- ( ١ ) رسم المعمور من البلاد .
- ( ٢ ) ومفيد العلوم ومبيد الهموم .
- ( ٣ ) والمكارم والمفاخر .

أما الاوّل فهو في علم الجغرافيا وقد نشر باسم مؤلفه الحقيقي / محمد بن

موسى بن شاكر الخوارزمي .

وأما الثاني . . فلأن مؤلفه يشتم الشيعة والروافض ، والخوارزمي يحتسب  
برافضيته ويتحصب للشيعة<sup>(١)</sup> ثم أن هذا الكتاب قد ثبتت نسبته لجمال الدين  
محمد بن أحمد القزويني وهو مخطوط باسم مؤلفه في المتحف البريطاني .

وأما الثالث فلأن مؤلفه يبحث فيه الحنفية على السخاء والكرم وقد عرفنا أن . .  
الخوارزمي شيعي ، ثم أن ناشره لا يملك نسبته للخوارزمي سوى أسلوبه ، وقد  
اتضح لي أن أسلوبه ليس أسلوب الخوارزمي .

ومنها ما ذكره بروكلمان من وجود كتاب في المقامات مخطوط بتركيا للخوارزمي  
مع أن تلك المقامات هي مقامات بديع الزمان المشهورة .  
ومنها " كتاب الأمثال " المنسوب للشمالي وقد ثبت لدى أنه للخوارزمي  
بأدلة قاطعة لحل أهمها أن ناسخ الكتاب نفسه نسبة للخوارزمي كما وردت نسبته  
له في كتب المؤرخين ومنهم الميداني والبيهقي والخفاجي .

وله ديوان شعر بالفارسية لا يزال مخطوطا في المغرب العربي مع أنه لم يسرد  
في كتب من ترجموا له . وله كتابان لا يزالان مفقودين . . هما شرح ديوان المتنبي  
وكتاب الأنساب .

وقد أسهم الخوارزمي في ميداني الشعر والنثر فهو من الشعراء الكتاب  
أو من الكتاب الشعراء . وقد ذهب أكثر المعاصرين أنه في النثر أقوى منه في  
الشعر ، في حين وجدنا أن القدامى يقدرون صفة الشاعرية لديه على صفة الكتابة .  
وله قصائد شعرية تثبت أنه في الشعر أقوى منه في النثر وعلى الأقل تجعله  
فيهما على السواء . وقد أسهم الخوارزمي برسائله الأخوانية المعروفة في رقي ذلك

( ١ ) يقول الخوارزمي :

فها أنارا فضي عن تـــــــراث \* وفيرى رافضي عن كلالـــــــه  
أعيان الشيعة ٤٥ / ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

الفن الذى بالغ فيه كتاب المصراع الرابع ما جعل تلك الرسائل تشكل جنسًا أدبيا له خصائصه وطابعه كما كان للمقامات خصائصها وطابعها .

كما اشتهر في الهجاء النثرى ذلك الهجاء العايب الذى نحا فيه كتاب القرن الرابع نحو الجاحظ فى رسالته التريب والتدوير ومنه رسالته التى وجهها الى البديهي - بصفتها به وبتميمكم - وقد اتخذ كتاب القرن الرابع أغراض الشعر وطوعوها للنثر الفنى بل لقد طوعوا له حتى الأغراض العلمية كما فعل الخوارزمي حين كتب فى الأمراض وعلاجها . وكانت أهم خصائص رسائل الخوارزمي تلك :

الكلف بالسجع وفيه من أنواع الصنعة البديعية كما كان يبنينا على الاستمارة والتشبيه والكناية ويضمنها الحكم والأمثال والأشعار المختارة والاشارات التاريخية والعلمية كما كان يعمد الى الأشعار الجيدة فيحلبها ويستعمل معناها ، فرسائل الخوارزمي شعر فى ألفاظه وخياله ، ولا ينقصها عنه الا الوزن ، كما أنه يكثر من الترادف والتكرار والمبالغة والتفهيل . .

ولكنه يميل الى الترسل والا اهتمام بالمعنى حين يكتب فى المواضيع الجادة كما رأينا فى مقدمة كتابه الأمثال . وقد حدثت فى نهاية حياة الخوارزمي تلك المناظرة المشهورة بينه وبين بديع الزمان أدت الى كسوف شمس وهتزاز سمعته الأدبية فى نفوس الناس . وذلك أن البديع أخذ يتحوش به حتى أجه السى مناظرته .

وقد أعانه عليه وجوه القوم الذين كانوا مستوحشين منه لتمززه وتقديم السوزاء والولاء له عليهم . . وقد تحامل بديع الزمان على الخوارزمي فيما كتبه من تلك المناظرة التى لم تبحث فى صميم الأدب ولا فى قضاياها الأساسية .

فأظهره عيبا جاهلا . . لا يفهم في اللفظة ولا في الشعر ولا في النثر  
 في حين يظهر نفسه فيها في صورة المبقرى الذى لا يعجزه شئ . . ولمعل  
 ذلك أكبر مطعن في تلك المظاهرة .

أما شعر الخوارزمى فهو على قلته وتناثره في كتب التراث من أجود ما عرف من  
 شعر في تلك البيئات الفارسية في تلك الفترة فله قصائد في الرثاء والوصف والمدح  
 تثبت مقدرة الشاعر وتروى على من رأى أنه في النثر أقوى منه في الشعر .

وقد أثرت سمة ثقافته وكثرة محفوظه من الشعر القديم واطلاعه على دواوين  
 الشعراء الفحول في تضمين شعره من شعر غيره حتى قال فيه أحد هــمـمـ  
 لو نفضت أشعاره نفضة لا انتشرت تطلب أصحابها  
 وقد أسهم الخوارزمى في علم النقد وله أقوال فيه ان لم تجعله من كبار النقاد  
 فهي تبين لنا مدى فهمه للأدب وذاوقه الفنى . ولهذا كله فقد احتل الخوارزمى  
 مكانة عالية بين أدباء عصره وذلك ما شهد به من ترجم له من القدماء أو المحدثين  
 الذين جعلوه من الأديباء المشاهير الكبار . . ولم يكن احتلاله لهذه المكانة وهذه  
 الشهرة بسبب ما وصلنا من إنتاجه المتمثل في ديوان رسائله ومقطوعاته الشعرية  
 المتناثرة في كتب التراث وكتابه في الأمثال فحسب ، ولكنه نالها بما كان عليه  
 من الفضل والعلم ، وما كان يلقي من دروس ، ومحاضرات ، وما كان يملئ ويؤلف  
 في شتى فروع العلم ، مما لم يصلنا .

ومع أن هذا العصر هو عصر فلبية النثر على الشعر وتقدم الكتاب على الشعراء  
 فان نقاد ذلك العصر وما بعده لم يحاولوا أن يوازنوا بين أولئك الكتاب أو بين  
 أدبيهم . وكانت دراسة جيدة ومفيدة لو تمت .  
 فلو وازنا الخوارزمى بابن الحميد والصاحب هديع الزمان مثلا ، من حيث وفرة  
 المحصول ، والجودة الفنية والاسهام في خدمة الأدب وأخيرا في المكانة التي حققها  
 كل منهم لوجدنا أن الخوارزمى يفوق ابن الحميد انتاجا وان قل عنه في الجودة الفنية ،  
 كما أنه يفوق الصاحب في الجودة الفنية ويقل عنه انتاجا . ويتساوى مع هديع في الانتاج  
 ولكن هديع يسبقه بأبداعه وحسن أسلوبه .

## المقترحات :

والامانة العلمية تلزمى أن أذكر بعض المواضيع التي تطرقت إليها في بحثي

هذا وأرى أنها لا زالت تستحق من يفرد لها بحثا شاملا مستقلا :

١ - كتبة أسبوع التتبع من منتسبون السنين

خوارزم لا زالة الخلط الذي وقع فيه المؤرخون من نسبة كتب بعضهم إلى

البعض الآخر .

٢ - وكظاهرة المناظرات منذ عرفها العرب في صورة المناقرات والمفاخرات حتى

شملت كل فروع العلم والأدب وهي لعمري دراسة مفيدة وطريفة .

٣ - وجمع وتحقيق شعر الخوارزمي وتعري الحقيقة عما ذكر من وجود مخطوطة له .

٤ - وظاهرة ذلك الهجاء العايب الذي بدأه الجاهظ برسالة التريبيع

والتدوير وأبو المطهر في حكايته عن أبي القاسم البغدادي والخوارزمي في

رسالته إلى البديهي وأخيرا ابن زيدون في رسالته الهزلية لمقارنة تلك

الرسائل ببعضها وبيان خصائصها وطابعها .

٥ - وأخيرا موازنة كتاب القرن الرابع الهجري ببعضهم فقد احتلوا مكانة عالية

في تاريخ الأدب العربي ، وأضافوا إليه أجناسا جديدة يستحقون من

أجلها من يوازن بينهم من خلال أدبهم ذلك .

والله من وراء القصد وهو يهدي سوا السبيل .

عائش محمد الحارثي



- الأملى / لأبى على القالى ( ٣٥٦ هـ ) ، مطبعة دار الكتب مصر —  
١٣٤٤ هـ — ١٩٢٦ م
- الأمثال العربية القديمة / لرودف زلهام ، ترجمة رمضان عبد التواب  
دار الأمانة بيروت ( بدون تاريخ )
- الأمير سيف الدولة الحمدانى / لماريوس كانار طبع لتيوليوجول كربونيل  
الجزائر ١٩٣٤ م
- الأنساب / لأبى سمد عبد الكريم بن محمد التميمى السمانى ( ٥٦٢ هـ )  
ط ١ ، مطبعة دائرة المعارف الهند ١٣٨٥ هـ
- الأنساب المثقة / لأبى الفضل محمد بن طاهر القيسرانى ( ٥٠٧ هـ ) ،  
ليدن . هولندا ١٨٦٥ م

## — ب —

- بديع الزمان الهمذانى رائد القصة العربية / لمصطفى الشكمه — طبع  
دار الحماص القاهرة ١٩٥٩ م
- برد الأكباد فى الأعداد ( ضمن مجموعة خمس رسائل ) للشعالبى أبى منصور  
عبد الطك بن محمد بن اسماعيل ( ٤٢٩ هـ ) ط ١ الجوائب ١٣٠١ هـ  
بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطى ( ٩١١ هـ )  
مطبعة عيسى الحلبي مصر ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م
- بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب / لمحمود شكرى الألوسى البغدادى  
شرح وتصحيح محمد الأثرى ط ٣ مطابع دار الكتاب العربى  
مصر ١٣٤٢ هـ

- البيان والتبيين / لأبي عثمان الجاهظ ( ٢٥٥ هـ . ) تحقيق عبد السلام هارون — ط ٣ طبع مكتبة الخانجي والمثنى القاهرة .
- تاج التراجم في طبقات الحنفية / لأبي العدل قاسم بن قطلوبغا ( ٨٧٩ هـ ) — مطبعة المائى بغداد ١٩٦٢ م .
- ت —
- تاريخ أبي الفداء / المختصر في أخبار البشر / لأبي الفداء إسماعيل ابن نور الدين على ( ٧٣٢ هـ ) دار الفكر لبنان ١٩٥٦ م .
- تاريخ آداب اللغة العربية / لجرجى زيدان طبع دار الهلال مصر .
- تاريخ الأدب العربي / لكارل بروكلمان طبع دار المعارف بمصر ( بدون تاريخ ) .
- تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخورى — المطبعة البولسية بسبيروت .
- تاريخ الأدب العربي ( العصر العباسية ) لعمر فروخ . ط ٣ المطبعة الحسينية مصر ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٣ م .
- تاريخ الأدب العربي العصر العباسى الثانى / لشوقى ضيف / طبع دار المعارف مصر ١٩٧٣ م .
- تاريخ الأدب العربي فى العصر العباسى / للسباعى بيومى / طبع دار العلوم مصر ١٩٣٥
- تاريخ الأدب العربي ( للمدارس الثانوية ) لأحمد حسن الزيات ط ٢٥ دار نهضة مصر ( بدون تاريخ )



- تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق / لمحمد جمال الدين سـرور ط ٤  
 طبع دار الفكر العربي مصر ١٣٩٦ هـ . — ١٩٧٦ م .
- تاريخ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري / لآدم متز / ط ٤ دار  
 الكتاب العربي بيروت ١٣٨٧ هـ . — ١٩٦٧ م .
- تاريخ بغداد / لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ( ٤٦٣ هـ . )  
 طبع أوفست كونرو غرافيت ، الناشر الكتاب العربي بيروت .
- تاريخ اللغة العربية في العباسي <sup>المصر</sup> / لأحمد الاسكندري / ط ١ مطبعة  
 السعادة مصر ١٩١٢ م .
- تاريخ النقاظ في الشهر العربي / لأحمد الشايب ط ٣ طبع دار الاتحاد  
 العربي مصر ١٩٦٦ م .
- تنمة اليتيمة / للشعالبي . . تحقيق عباس اقبال / طبع فرديــــن ،  
 طهران ١٣٥٣ هـ .
- تكملة تاريخ الطبري / لمحمد بن عبد الملك الهمداني ( ٥٢١ هـ . ) تحقيق  
 يوسف كنعان ط ٢ / طبع المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦١ م .
- تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون / لخليل بن ايبيك الصفدي ( ٧٦٤ هـ )  
 تحقيق / عبد الفتاح الحلو — طبع دار الفكر العربي مصر ١٣٨٩ هـ . — ١٩٦٩ م .
- تهذيب سيرة ابن هشام / لعبد السلام هارون / تعليق محمد قلمه جـ  
 نشر وتوزيع ربيع حلب ( بدون تاريخ ) .
- ث —
- الشعالي ناقدًا وأديبًا / لمحمود عبد الله الجادر / دار الرسالة للطباعة  
 بغداد ١٣٩٦ هـ . — ١٩٧٦ م .

— شمار القلوب في المضاف والمنسوب / للشعالبي تحقيق أبو الفضل إبراهيم  
مطبعة المدني مصر ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م

— ج —

— جمع الجواهر في الطح والنواذر / لأبي اسحاق إبراهيم بن علي الحمصري  
القيرواني ( ٤٥٣ هـ ) / تحقيق علي الجاوي ط ١ مطبعة عيسى البابي  
العلبي / مصر ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م

— جمهرة أشعار العرب / لأحمد زكي صفوت ط ٢ مطبعة البابي الحلبي مصر  
١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م

— ح —

— حكاية أبي القاسم البغدادي / لأبي المطهر أحمد بن محمد الأزدي /  
مطبعة كرل ونتر هيدلبرج ١٩٠٢ م

— حلية الكميث / لشمس الدين محمد بن الحسن النواجي ( ٨٥٩ هـ )  
المطبعة الأميرية ببولاق مصر ١٢٧٦ هـ

— حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء / لأبي محمد عبد الله بن محمد  
الزوزني ( ٤٣١ ) تحقيق محمد المصبيد . مطبعة دار الحريسة  
بغداد ١٩٧٣ م

— خ —

— خاص الخاص / للشعالبي / دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٦ م

— خزائن الكتب العربية في الخافقين / لفيليب دي طرازي / مطابع جـوزف  
سليم بيروت ١٩٤٧ م

— خمس رسائل / للشعالبي ، ط ١ مطبعة الجوائب (١٣٠٠هـ).

— د —

— دائرة المعارف / للبستاني / مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان / تهران  
ناصر خسرو والمطبعة الأدبية بيروت ١٨٨٧م.

— دائرة معارف القرن العشرين / لمحمد فريد وجدى / ط ٢ دار المعرفة  
للطباعة والنشر لبنان ١٩٧١م.

— ديوان ابن زيدون ورسائله / لابن زيدون تحقيق عبد العظيم / طبع  
مكتبة نهضة مصر ١٩٥٧م.

— ديوان الممانى / لأبى هلال المسكرى / نشر مكتبة القدسى القاهرة  
(٣٩٥هـ) ١٣٥٢هـ.

— الدويلات الاسلامية فى الشرق / لمحمد على حيدر / نشر عالم الكتب  
القاهرة ١٩٧٤م.

— ر —

— رسائل بديع الزمان الهمداني / لبديع الزمان (٣٩٨هـ) ط ١ ،  
مطبعة الجوائب الاستانة ١٢٩٨م.

— رسائل الجاحظ / لأبى عثمان عمرو الجاحظ (٢٥٥هـ) طبع دار النهضة  
الحديثة بيروت ١٩٧٢م.

— رسائل الخوارزمى / لأبى بكر محمد بن المباس الخوارزمى / المطبعة  
العثمانية مصر ١٣١٢هـ.

- رسالة التواضع والزواجع / لابن شهيد الأندلسي ( ٤٢٦ هـ ) / تحقيق بطرس البستاني / مطبعة المناهل بيروت .
- الرسالة الحاتمية / لأبي علي الحاتمي ( ٣٨٨ هـ ) / طبع الجوائب القسطنطينية ١٣٠٢ هـ .
- الرسالة الموضحة / لأبي علي الحاتمي / تحقيق محمد يوسف نجس — دار صادر بيروت ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م .
- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات / للميرزا محمد باقر الاصفهاني مطبعة مهراستوار طهران ١٣٩٢ هـ .
- ربحانة الأدباء وزهرة الحياة الدنيا / لشهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي ( ١٠٥٩ هـ ) / تحقيق أبو الفضل ابراهيم — ط ١ مطبعة عيسى الحلبي مصر ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٧ م .
- ز —
- زهر الآداب وثمر الألباب / لأبي اسحاق ابراهيم بن علي الحضري القيرواني ( ٤٥٣ ) ط ٢ مطبعة عيسى الحلبي مصر ( بدون تاريخ ) .
- س —
- سحر البلاغة / للشعالبي ط ١ مطبعة الترقى بدمشق .
- ش —
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب / لأبي الفلاح بن العماد الحنبلي ( ١٠٨٩ هـ ) / طبع كونروغرافير . بيروت .
- التبيان على ريوان أبي الطيب / منسوب لأبي البقاء المكبري ( ٦١٦ هـ ) طبعة سنة ١٢٨٧ هـ .

— شرح ديوان أبي الطيب / لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدى ( ٥٤٦٨ هـ )  
نشر فريد ر. دييهن برلين ١٨٣١ م .

— اشرح المضمون به على غير أهله / لمبيد الله بن عبد الكافى العبيدى  
تحقيق اسحاق المقدسى ط ١ مطبعة السمارة مصر ( ١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م )

— شفاء الفليل فيما فى كلام العرب من الدخيل / لأحمد الخفاجى المصرى  
( ١٠٦٩ هـ ) تحقيق عبد المنعم خفاجى / المطبعة المنيرية بالأزهر  
ط ١ مصر ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .

— ص —

— الصحاب بن عباد . حياته وأدبه / لمحمد حسن آل ياسين ط ١ مطبعة  
المعارف بغداد ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .

— الصبح المنبى عن حمشة المتنبى / ليوسف البديعى ( ١٠٧٣ هـ ) ،  
طبعة الاعتدال ١٣٥٠ هـ . دمشق .

— الصناعتين الكتابة والشعر لأبى هلال العسكري ( ٣٩٥ هـ ) تحقيق على  
البحاوى وزميله ط ٣ طبع عيسى الحلبي مصر ( بدون تاريخ )

— ط —

— طبقات الشافعية الكبرى / للسبكي ( ٧٧١ هـ ) طبع الهابى الحلبي  
مصر ١٩٦٥ م .

— طبقات النحاة واللفويين / لابن قاضى شهبه الأسدى الشافعى ( ٨٥١ هـ )  
تحقيق محسن غياض طبع النعمان العراق .

— طيف الغيال / لعلو بن الحسين الخقب بالشريف المرتضى ( ٤٣٦ هـ )  
تحقيق محمد كيلاني ط ١ مطبعة مصطفى الحلبي مصر ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م

— ظ —

— ظهر الاسلام / لأحمد أمين ج ٢ ط ٤ النهضة المصرية القاهرة  
١٩٦٦ م

— ع —

— العقد الفريد / لأحمد بن عبد ربه ( ٣٢٨ هـ ) ط ٢ المطبعة الأزهرية  
مصر ١٣٤٦ هـ — ١٩٢٨ م

— عيار الشعر / لمحمد بن أحمد بن طباطبا الملوي ( ٣٢٢ ) تحقيق طه  
الحاجري وزميله طبع شركة فن مصر ١٩٥٦ م

— ف —

— فقه اللغة وسر العربية / للثعالبي تحقيق مصطفى السقا وزميله / مطبعة  
الباي الحلبي مصر ١٣٩٢ — ١٩٧٢ م

— الفن ومذاهبه في النثر العربي / لشوقي ضيف ط ٧ دار المعارف  
مصر ( بدون تاريخ )

— فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين / لمصطفى الشكعة / مطبعة المعرفة  
١٣٧٨ هـ — ١٩٥٨ م

— فهرس دار الكتب المصرية مطبعة دار الكتب مصر ١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م

— في الأدب العباسي / لمحمد مهدي البصير ط ٣ مطبعة النعمان العراق  
١٩٧٠ م

- ق -

- القاموس المحيط / للفيروز بادى )

ط ٣ المطبعة الحسينية مصر ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م

- الكامل في اللغة وادب / لتيمرد (٢٨٥) - المكتبة الحارثية مصر

- الكامل في التاريخ / لأبي الحسن علي بن أبي الكرم ابن الاثير ( ١٠٦٣٠ هـ )

دار صادر بيروت ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م

- الكشكول / بهاء الدين العاطى ( ١٠٣١ هـ ) تحقيق طاهر الزاوى /

مطبعة عيسى الحلبي مصر ( بدون تاريخ )

- كشف الثنون عن أسامى الكتب والفنون / لحاجى خليفة ( ١٠٦٧ هـ )

طبع مكتبة المثنى بفداد ( بدون تاريخ )

- الكشف عن مساوى شعر المتنبى / للمصاحب أبى القاسم اسماعيل بن عباد

( ٣٨٥ هـ ) تحقيق محمد آل ياسين مطبعة المعارف بفداد

١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

- كمال البلاغة / لشمس الممالى بن ووشمكير ( ٤٠٣ هـ ) / المطبعة

السلفية مصر ١٣٤١ هـ

- ل -

- اللباب في تحرير الأنساب / لابن الأثير على بن أبى الكرم الجزرى ( ٦٣٠ )

طبع مكتبة القدسى ١٣٥٧ هـ

- لب اللباب في تحرير الأنساب / لجلال الدين السيوطى ( ٩١١ ) طبع

مكتبة المثنى بفداد .

— اللطائف والظرائف / جمع أحمد عبد الرزاق المقدسي ( جمع فيه بين كتابي اللطائف والظرائف واليوافيت في بعض المواقيت للشمالي ) / طبع

سنة ١٢٩٦ م . مصر .

— لطائف المعارف / للشمالي / طبع عيسى الحلبي مصر .

— ٤ —

— مثالب الوزيرين / لأبي حيان التوحيد ( ٤١٤ هـ ) / نشر وتوزيع

دار الفكر بدمشق .

— مجمع الأمثال / لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني ( ٥١٨ ) تحقيق

محمد عبد الحميد / مطبعة السنة المحمدية مصر ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م

— مجاني الأدب في حدائق العرب / للأب لويس شيخو اليسوعي المطبعة .

الكاثولوكية بيروت ١٨٩٩ م

— محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء / لأبي القاسم حسين بن محمد

( الراغب الأصفهاني ) . مطبعة ابراهيم المويلحي مصر ١٢٨٧ هـ .

— مرآة الجنان وعبرة اليقظان / لمحمد بن عبد الله اليافعي اليمني ( ٧٦٨ هـ )

مطبعة المعارف حيدرآباد ١٣٣٨ هـ .

— المرشد الي فهم أشعار العرب وصناعتها / لمحمد الله الطيب

ط ١ مطبعة الدار السودانية - الخرطوم ١٩٧٠ م

— المرقصات والمأثورات / لنور الدين علي بن الوزير أبي عمران ( ٦٧٣ هـ ) .

ط ٢ نشر دار حمد ومحيو ١٩٧٣ م

— مصارع العشاق / لأبي محمد جعفر بن أحمد السراج ط ١ مطبعة الجوائب

١٣٠١ هـ .



- مطالع البدور في منازل السرور / لملاء الدين علي بن عبد الله البهائي  
الفضولي / ط ١ طبع ادارة الوطن .
- المطالعة المختارة / من مطبوعات الادارة العامة لملكيات والمعاهد  
الملكية ط ٣ الرياض ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .
- معالم الشمر وأعلامه في مصر العباسي الأول / لمحمد نبيه حجاب - دار . .  
المعارف مصر ١٩٧٣ م .
- معجم الأدباء / لياقوت أبي عبد الله الرومي البغدادي ( ٦٢٦ هـ ) ،  
مطبعة عيسى الحلبي الطبعة الاخيرة مصر ( بدون تاريخ ) / ومطبعة  
هندي بالموسكي ط ٢ مصر ١٩٢٤ م .
- معجم البلدان / لأبي عبد الله ياقوت الحموي / دار صادر بيروت  
بيروت ( بدون تاريخ ) .
- معجم المؤلفين / لعمركهالة / مطبعة الترقى دمشق ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م
- معجم المطبوعات العربية والمصرية / لهوفغالياس سرقيس / طبع سرقيس  
مصر ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م .
- مقامات بديع الزمان الهمذاني / لبديع الزمان / المطبعة الكاثوليكية بيروت  
( بدون تاريخ ) .
- مقدمة ابن خلدون / لعبد الرحمن بن خلدون المصري ( ٨٠٨ هـ ) /  
طبع دار التحرير مصر ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .
- مقدمة في صناعة النظم والنشر / لمحمد بن حسن النواجي / تحقيق  
محمد عبد الكريم . منشورات مكتبة الحياة بيروت .
- المكارم والمفاخر / منسوب لأبي بكر الخوارزمي ( ٣٨٢ هـ ) شرح عزت  
القطار القاهرة ١٩٣٥ م .

- ملحق فهرس المخطوطات العربية بالمتحف البريطاني : ( انجلىزى ) ،  
 طبع لندن ١٨٩٤م .
- مناظرات فى الأدب / جمع وشرح عزت المطار القاهرة ١٩٣٤م .
- المنتحل للشمالى ط ١ الطبعة التجارىة مصر ١٣١٩هـ .
- المنتظم فى تاريخ الطوك والأم / لابن الجوزى عبد الرحمن بن علس  
 ( ٥٩٧ هـ . ) / طبع دائرة المعارف العثمانىة حيدرآباد الهند  
 ١٣٥٧ هـ .
- مواسم الأدب وآثار العجم والمرب / لجمفر محمد البى العلوى ط ١  
 مطبعة السعادة مصر ١٣٢٦هـ .
- الموشح / لأبى عبد الله محمد بن عمران المرزبانى ( ٣٨٤ هـ . ) / تحقيق  
 على الجاوى / طبع لجنة البيان العربى مصر ١٩٦٥م .
- ن —
- النشر الفنى / لزكى هارك / دار الكتاب العربى للباعة والنشر  
 القاهرة ( بدون تاريخ ) .
- نشر النظم / للشمالى / ط ١ الطبعة الأدبىة مصر ١٣١٧ هـ .
- نزهة الألباء فى طبقات الأدباء / لعبد الرحمن بن محمد الأنباى ( ٥٥٧ هـ )  
 طبع مطبعة المدنى مصر .
- نشوا المعاصرة وأخبار المذاكرة / لأبى على المحسن بن على التوخى ( ٣٨٤ )  
 تحقيق عبود الشالجبى . ١٣٩١ - ١٩٧١م .
- نقد النشر / لقدامة بن جمفر البفدادى ( ٣٣٧ هـ . ) / تحقيق  
 طه حسين وزميلة . مطبعة مصر . مصر ١٩٣٨م .

— نفحة الريحانة / لمحمد أمين المحبى / ط ١ طبع عيسى الحلبي

مصر ١٣٨٩ — ١٩٦٩ م

— ه —

— هدية المارفين فى اسماء المؤلفين وآثار المصنفين / لاسماعيل البفدادى

مكتبة المشنى بفداد ١٩٥٥ م

— و —

— الوافى بالوفيات / لملاح الدين الصفدى ( ٧٦٤ هـ ) / ط ٢ ،

فرانز شتاير بقيس يادن ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م

— الوساطة بين المتنبى وخصومه / لعلى بن عبدالمزىز الجرجانى ( ٣٩٢ هـ )

تحقيق أبو الفضل ابراهيم وزميله . مطبعة عيسى الحلبي مصر ١٩٦٦ م

— الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه أحمد الاسكندرى ومصطفى عنانى طبع

دار المعارف بمصر الطبعة الخامسة عشر .

— وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان / لابن خلكان ( ٦٨١ هـ ) فى

٤ مجلدات طبع دار الثقافة بيروت ( بدون تاريخ )

— ى —

— يتيمة الدهر فى محاسن أعمل العصر / للشعالبي ( ٤٢٤ هـ ) /

تحقيق محمد عبد الحميد .

ط ٣ مطبعة السعادة مصر ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م

المجلات

---

- مجلة الأزهر الشريف  
المجلد الثالث السنة الرابعة والثلاثون  
أكتوبر ١٩٦٢ م .
- مجلة الرسائل  
المجلد الثاني عدد ٣٣٧  
سنة ١٩٣٩ م .
- مجلة المجمع العلمي العربي دمشق  
المجلد ٢٣  
مطبعة الترقى دمشق ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م .

فهرس المخطوطات

- الاعجاز والايجاز / للشعالى / مكتبة حكومت عارف المدينة المنورة  
رقم المخطوط ٢١ / ١٤
- الأمثال / للشعالى استانبول غزته رقم المخطوط ١١٥٠ / ٣
- الأمثال للخوارزمى استانبول فيض الله رقم المخطوط ٢١٣٣
- بدائع الطح / لقاسم بن الحسين بن محمد الخوارزمى ( صدر الافاصل )  
استانبول لاله لى رقم المخطوط ١٧٥٠
- تحسين الفيج وتقبيح الحسن / للشعالى ضمن مجموعة فيض الله ٢١٣٣
- تحفة الوزراء / للشعالى / القاهرة دار الكتب المصرية رقم المخطوط  
٦٣٣٣ وانظر مجموعة فيض الله ( ٢١٣٣ )
- التوضيح فى شرح المقامات الحريرية / للقاسم بن الحسين الخوارزمى  
نسخة لندن ( لدى الزميل عبد الرحمن المشيمين ) .
- رسائل أبى بكر الخوارزمى / للخوارزمى المدينة المنورة المكتبة العمامة  
رقم المخطوط ٨١١ / ٢٢
- سر الحقيقة / للشعالى . . استانبول فيض الله ضمن مجموعة  
فيض الله ٢١٣٣
- كتاب الآداب / للشعالى المدينة المنورة مكتبة حكومت عارف رقم  
المخطوط ٧ تم نسخه سنة ١٢٦٦ هـ .
- الكتاب اليمينى فى شرح أحوال السلطان عبد الله أبى القاسم محمود  
ابن سيكتكين / لأبى نصر المتبى ألف سنة ٤٥٨ وتم نسخه سنة ٧٠٢ هـ .
- بدار الكتب المصرية رقم المخطوط ٧١٥٦

مقامات بديع الزمان المهذب <sup>ابن</sup> استانبول نور عثمانية رقم المخطوط ٤٢٧٠

تم نسخه ١١٢٦ هـ .

مناظرة الامامين الجليلين أبي بكر الخوارزمي وبديع الزمان المهذب <sup>ابن</sup>

استانبول عاطف أفندي رقم المخطوط ٢٢٧٢

نسخها ١١٤٢ عبد الله المؤذن .

المنتخب سنن العرب ( ضمن مجموعة فيض الله ٢١٣٣ ) .

من غاب عنه المطرب / للشمالي المدينة المنورة مكتبة حكمت عارف رقم المخطوط ١٧٧

المهذب من اختيار شمر أبي الطيب المتبى وأحواله وسيره وما جرى بينه

وبين الملوك والشعراء للشمالي .

القاهرة مكتبة الازهر .

رقم الخطوط ١٨١٩٤ تم نسخه ١٠١٥ هـ .

=====

XXXXXXXX

\*\*

لمهريس الموضوعات

رقم الصفحة

- أ - ٥ : مقدمة : موضوع البحث - سبب اختياره - منهجه ومصادره  
٦ - ١ : تمهيد : نشأة الأوطان السياسية في العصر العباسي الثاني .....

الباب الأول

- ( ٣٣ - ٧ ) ..... ( عصره الأدبي )  
الفصل الأول : بيئات الأدب في عصره ..... ( ١٨ - ٨ )  
أ - بيئة فارس وخراسان ..... ( ١٢ - ٨ )  
ب - بيئة العراق ..... ( ١٤ - ١٢ )  
ج - بيئة الشننم ..... ( ١٨ - ١٤ )  
الفصل الثاني : ظاهرة المناظرات الأدبية والعلمية في العصر الثاني ( ٢٠ - ٣٣ )

الباب الثاني

- ( ٦١ - ٣٥ ) ..... ( حياته العامة )  
الفصل الأول : أصله ونسبه وموطنه ..... ( ٤٧ - ٣٥ )  
مولده ووفاته ..... ( ٤١ - ٣٧ )  
ثقافته وأسافته وتلاميذه ..... ( ٤٧ - ٤١ )  
الفصل الثاني : رحلاته الأدبية وصلاته بالأدباء والكتاب ..... ( ٦١ - ٤٨ )  
في حلب ( سيف الدولة ) ..... ( ٥١ - ٥٠ )  
في بخارى ( الهلمسى ) ..... ( ٥٢ - ٥١ )  
في نيسابور ( أبو نصر العمكالي ) ..... ( ٥٦ - ٥٦ )  
في سجستان ( طاهر بن محمد ) ..... ( ٥٣ - ٥٢ )  
في أصفهان ( صاحب بن عباس ) ..... ( ٥٧ - ٥٤ )  
في شيراز ( عضد الدولة ) ..... ( ٦١ - ٥٨ )

### الباب الثالث

رقم الصفحة	
( ٢٤٦-٦٣ )	( أدبه وأسـلـوبه )
( ٧٩-٦٣ )	: مصادر أدبه المطبوع منها والمخطوط
( ١٨٥-٨٠ )	: النشر
( ١٢٦-٨٠ )	أ - رسائله الواردة في ديوانه وأغراضها المختلفة
( ١٢٩-١٢٦ )	ب - رسائله التي لم يحوها الديوان
( ١٣٤-١٣٠ )	ج - المقال
( ١٧٥-١٣٥ )	د - مناظرته لبديع الزمان
( ١٨٥-١٧٦ )	هـ - خصائص نشره ومدارسته التي ينتمى إليها
( ٢٢١-١٨٦ )	: الشعر
( ٢١٧-١٨٩ )	أفراض شعره
( ٢٢١-٢١٨ )	خصائصه الفنية
( ٢٣١-٢٢٣ )	: الخوارزمي والنقيد
( ٢٤٦-٢٣٢ )	: مكانته وموازنته بأدباء عصره
( ٢٥٥-٢٤٧ )	: تلخيص البحث والمقترحات
( ٢٦٩-٢٥٦ )	: فهرس المراجع
( ٢٧٠-٢٧٠ )	: فهرس المجلات
( ٢٧٢-٢٧١ )	: فهرس المخطوطات
( ٢٧٤-٢٧٣ )	: فهرس الموضوعات

